تأليف

دكتور / رأفت غنيمي الشيخ
أستاذ التاريخ الحديث المعاصر
عميد كلية الآداب - جامعة الزقازيق

التاريخ المعاصر

للأمة العربية الإسلامية

١٤١٢ - ١٩٩٢

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ ش سيف الدين المهراني الفجالة
القاهرة ت/ ٩٠٤٦٩٦

التاريخ المعاصر

للأمة العربية الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

التاريخ المعاصر

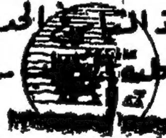
للأمة العربية الإسلامية

تأليف

دكتور / رأفت غنيمي الشيخ

أستاذ الت[illegible] الحديث المعاصر

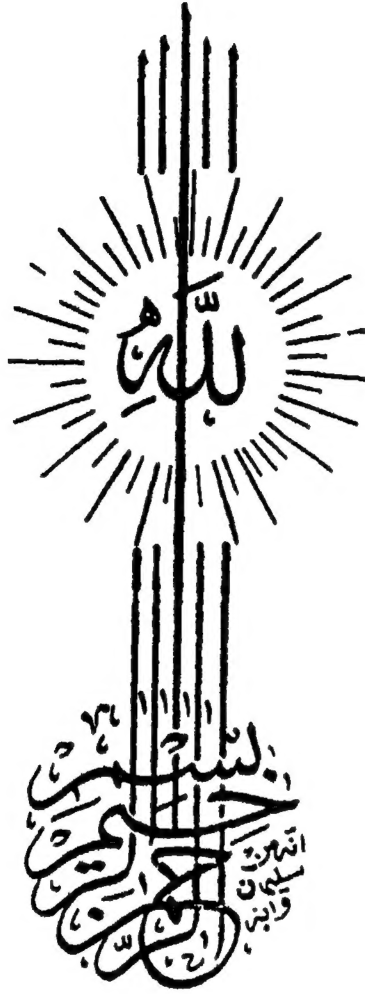
عميد كلية [illegible] - جامعة الزقازيق



دار الثقافة للنشر والتوزيع

٢ سيف الدين المهراني الفجالة

القاهرة ت/ ٩٠٤٦٩٦



قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا
إنك أنت العليم الحكيم

صدق الله العظيم

مقدمة

أحمد الله أن هيأ لهذه الموضوعات أن تتكامل وتخرج إلى القراء سواء من أبنائنا الطلاب أومن محبى الدراسات التاريخية الجادة ولقد دارت هذه الموضوعات حول فكرة إرتباط العروبة بالإسلام منذ ظهرت الرسالة المحمدية.

وعلى هذا فإن موضوعات هذا الكتاب تنقسم إلى ثلاثة أبواب، يناقش الباب الأول موضوع الأمة العربية الإسلامية من خلال العصر الإسلامى المبكر والعصر العثمانى، ويتناول الباب الثانى عصر إستقلال الأقطار العربية سواء عن الأستعمار البريطانى أوالأستعمار الفرنسى أوالأستعمار الإيطالى.

كما يتناول الباب الثالث الأقطار العربية المعاصرة كالمملكة العربية السعودية واليمن وسلطنة عمان، ثم العلاقات العراقية الكويتية.

وهكذا تأتى هذه الموضوعات فى تاريخ العرب المعاصر لتلبى حاجة فى المكتبة العربية تقوم على تكامل وتتابع التاريخ المعاصر للأقطار العربية.

وعلى الله قصد السبيل ومنه التوفيق

الزقازيق ٥ أكتوبر ١٩٩١

دكتور رأفت غنيمى الشيخ

البـاب الأول

الأمة العربية الإسلامية

- مقدمـــة
- الفصل الأول: العصر الإسلامى المبكر
- الفصل الثانى: العصر العثمانى

■ الفصــل الأول ■

العصر الإسلامي المبكر

- مقدمــة
- الأمة العربية الإسلامية:
  - عوامل قوة الدولة العربية الإسلامية.
  - عوامل تفكك الدولة العربية الإسلامية.

وفى ذلك يقول ابن خلدون: إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لايصبح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه.

ويضيف ابن خلدون بأنه لابد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف، وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا فى الدفع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه.

ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه، وتم عمران العالم بهم، فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، وليست السلاح التى جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية فى دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم، فلابد من شىء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم، فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة (*).

ومعنى هذا أن ابن خلدون يفسر قيام الدول ونشوء المجتمعات بحاجة الأفراد إلى التجمع من أجل تحقيق التكامل فى المأكل والملبس والمسكن، وما يترتب على ذلك من ظهور صناعات ومن قبول سلطة أعلى تنظم العلاقات وتتولى قيادة الأفراد من أجل تحقيق الاحتياجات ومن أجل الدفاع، هذه السلطة تتمثل فى يد الملك أو الحاكم الذى يرأس الدولة التى تكونت لتلبية احتياجات الأفراد.

ويحدد ابن خلدون الأطوار التى تمر بها الدول فى ثلاثة أطوار متعاقبة أو دورية تبدأ بالبداوة ثم يكون طور التحضر، ثم طور التدهور. وقد نظر ابن خلدون إلى الدولة على أنها كائن حى يولد وينمو ثم يهرم ليفنى، فللدولة عمر مثلها مثل الكائن الحى تماما، وقد حدد عمر الدولة بمائة وعشرين سنة، وهى تتكون من ثلاثة أجيال. وفى ذلك يقول: أن الدولة فى الغالب

(*) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة.

لاتعدو أعمار ثلاثة أجيال ، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر المتوسط فيكون أربعين الذى هو انتهاء النمو والنشوء (١).

والأطوار التى تمر بها الدول والحضارات هى :

أولا ـ طور البداوة :

يطلق ابن خلدون طور البداوة فى حياة الأمم والشعوب والدول على البدو الذين يعيشون فى قبائل بالصحراء، والبربر الذين يسكنون الجبال فى جماعات عشائرية وأسرية ، والتتار الذين يسكنون السهول فى عصبيات قوية ، وهؤلاء لا يخضعون لقوانين متحضرة ولا تحكمهم سوى حاجاتهم وعاداتهم ، وهم يعيشون مرحلة من الحياة البشرية تسبق مرحلة التحضر.

وأن اجتماع هؤلاء (البدو، البربر، التتار) إنما هو للتعاون على تحصيل معاشهم والابتداء بما هو ضرورى منه قبل الكمالى، ويكون تعاونهم بالمقدار الذى يحفظ الحياة، وتحكم أفراد البدو رابطة العصبية حيث نصرة ذوى الأرحام والأقارب ومايلزم عنها من تعاضد وتناصر، وكلما كانت القرابة بين الأفراد البدو أكثر أصالة وأشد نقاوة ، كانت العصبية فيهم أقوى ، وبالتالى الرياسة فيهم على سائر البطون والقبائل التى تختلط فيها الأنساب ، وتحتفظ القبيلة بالسلطة ما احتفظت بعصبيتها ، ويدعم العصبية عاملان : احترام القبيلة لشيخها ثم حاجتها للدفاع والهجوم.

ويذكر ابن خلدون أن حياة التقشف تسبغ على البدو أخلاقا فاضلة كالدفاع عن النفس والنجدة والشهامة والغيرة على الأستقلال ، وتهدف رابطة العصبية فيهم إلى الملك أى التغلب والحكم بالقهر، فإن كانت بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلابد أن تتغلب أقوى عصبية فتلتحم بها سائر العصبيات ثم تطلب الغلبة على القبائل القاصية حتى تستتبعها وتلتحم بها .

---

(١) نفس المرجع .

ويضيف ابن خلدون إذا اتسعت أحوال القبائل البدوية وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والترف دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، ثم تزيد أحوال الترف والدعة فيتخذون القصور والمنازل، وهؤلاء هم الحضر (٢).

ثانيا ــ طور التحضر:

وفى هذا الطور يتحقق الملك وتؤسس الدولة وينتقل المجتمع من الحياة البدوية الخشنة أومن العمران البدوى إلى الحياة المتمدينة المترفة أوالعمران الحضرى، وتم ذلك بعد تغلب القبيلة بالعصبية الصاعدة على دولة مجاورة فى دور هرمها يصير الملك لها.

ويعدد ابن خلدون عوامل قيام الدول وتحضرها فيما يلى:

(أ) عامل الدين:

يدفع عامل الدين أهل القبيلة إلى البذل من أجل تحقيق غايتهم فضلا عن أنه يذهب التنافس ويزيل الاختلاف فيحصل التماسك. ويضرب ابن خلدون المثل على أثر عامل الدين فيذكر أنه بينما تكون الدولة المغلوبة فى طور هرمها نتيجة فتور الإيمان فى نفوس أهلها، ويتخاذلون عن الدفاع حرصا على الحياة ويزيدها ضعفا ان كانت الدولة مؤلفة من شعوب متباينة، ولذا فإن فتح المسلمين للشام والعراق وفارس ومصر مع خضوع هذه الأقاليم لدولتين عظيمتين هما الفرس والروم كان أيسر من فتح شمال أفريقية التى يسكنها بربر لهم عصبية متينة، بل لم يستطيع الرومان قبل ذلك إخضاعهم (٣).

ويفسر ابن خلدون نجاح العرب فى الفتح الإسلامى فيذكر أن العرب (البدو) لا يحصل لهم الملك إلا بصفة دينية من نبوة أوولاية أوأثر عظيم من الدين على الجملة، حيث يعمل الدين أن يؤلف كلمتهم لاظهار الحق، ويتم إجتماعهم ويحصل لهم التغلب والملك.

---

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع.

(ب) عامل السياسة:

إنّ الدعوة السياسية أو المذهب السياسى تدفع القبيلة إلى الفتح والتغلب على الأمصار. ذلك أن أهل القبيلة بعضهم اقتدروا على دولة مجاورة فى دور هرمها بفقدان الحامية فهى نهب لهم وطعمة لأكلهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم إلى أن يصبح أهلها مغلبين لهم.

(جـ) عامل الاقتصاد:

إن الحاجة الاقتصادية التى تدفع القبيلة إلى الدفاع عن نفسها أولا ثم إلى الغزو ثانيا هى التى تدفعها حين تستقر إلى أن تحسن وسائل هذا العيش، ومن مظاهر ذلك أن تتخذ لها مقرا ثابتا، ومن ثم فإنه بعد تأسيس الدولة تلجأ إلى تشييد المدن، وتأسيس الدولة سابق على تشييد المدن لأنه يحتاج إلى المال والأدوات وقوى عاملة ضخمة لا يمكن أن يسخرها إلا الملك. ومعنى هذا أن الناحية الاقتصادية هى التى تحدد طبيعة الحياة الاجتماعية (٤).

ويتوقف تقدم الحضارة فى الدولة على ثلاثة أشياء هى:

١ ــ مزايا الأرض:

اعتبر ابن خلدون الأرض مصدر الانتاج، وأن التحضر يأتى نتيجة عمل منظم متواصل لنشاط الإنسان المتمركز فى استثمار الأرض، وأن المزارعين فى الأرض السهلية والجبلية أهم قسم من أقسام الشعوب فى الانتاج، ويأتى بعدهم البدو الرحل ثم سكان المدن.

٢ ــ مزايا الحكومة:

يعتبر ابن خلدون الحكومة القوية أساساً آخر من أسس التحضر، ذلك أن الإنسان المستقر يحتاج إلى التنظيم والحماية حتى يطمئن على ثمار عمله فيزيد من إنتاجه، كما أنه يحتاج إلى حكومة عادلة تحقق الأمان والعدالة وإلى حكومة قوية تستطيع الدفاع عن مصالحه، وإلى حكومة واعية بأهمية التجارة الخارجية فتشجعها وتحميها.

---

(٤) نفس المرجع.

ان حكومة بهذه المواصفات تساعد على الأستقرار فى الوطن وإلى تماسك المواطنين وإلى إنصرافهم إلى الإنتاج، وبالتالى تصبح الدولة من الغنى ما يجعلها تسعى إلى تحديث وسائل إنتاج ومعيشة المواطنين، أى بمعنى آخر توصف بأنها دولة متحضرة إنتقلت من طور البداوة إلى طور التحضر.

٣ـ كثرة السكان:

يرى ابن خلدون أنه إذا كانت الحكومة تدعم قيام الحضارة فإن كثرة السكان تخلقها لأن إجتماع عدد من السكان وتنسيق جهودهم وتوزيع العمل بينهم يجعل ثمرة جهودهم تفوق حاجاتهم فلا يستهلكون إلا جزءا يسيرا، ويزيد الباقى عن حاجاتهم يستثمرونه فى الترف كثر التناسل فتقوى العصبية (٥).

ثالثاـ طور التدهور:

يحدث تدهور الدولة أو الحضارة عندما تتوفر العوامل الآتية:

(أ) العصبية والموالى:

يعتبر ابن خلدون العصبية والموالى والصنائع من عوامل تدهور الدولة، وفى ذلك يقول: حيث أن بالعصبية تتم الرياسة والملك فأن صاحب الرياسة يطلب بطبيعته الإنفراد بالمجد، إذ أن من الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والأنفة، فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة فى استتباعهم والتحكم فيها، ويجيء خلق التأله الذى فى طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام فيجدع حينئذ أنوف العصبيات.

ويضيف ابن خلدون أنه حين الانفراد بالملك فإنه يدافع الأقارب مستعينا بالأباعد فيركب صعبا من الأمر، أنه أمر فى طبائع البشر لابد منه من كل الملوك الذين يستظهرون على عصبياتهم بالموالى والمصطنعين. وعلى هذا يمكن القول أن الحاكم إذا استخدم الموالى والصنائع وقدمهم على أهل عصبيته كان هؤلاء الموالى والصنائع من عوامل ضعف الدولة لأن أهل عصبيته سيصبحون من بعض أعدائه فيحتاج فى مدافعتهم عن الأمر إلى أولياء

---

(٥) نفس المرجع.

آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم ، فيكونون أقرب إليه من سائرهم فيستميتون دونه فى مدافعة قومه عن الأمر الذى كان لهم فيستخلصهم صاحب الدولة ويخصهم بمزيد من التكرمة والأيثار ويقلدهم جليل الأعمال والولايات (٦).

وهنا يكون الخطر، ذلك أن الموالى والصنائع الذين أصبحوا أقرب إلى الحاكم من عصبيته يكونون خطرا على الدولة ، ويكون ذلك مؤذنا ــ كما يقول ابن خلدون ــ باهتضام الدولة ، وعلامة المرض المزمن فيها لفساد العصبية التى كان بناء الغلب عليها ، ومرض قلوب أهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة السلطان فيتربصون به الدوائر، ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع فى برئها من هذا الداء لأنه مامضى يتأكد فى الأعقاب إلى أن يذهب رسمها (٧).

(ب) الترف:

يذكر ابن خلدون أنه إذا كان للموالى والصنائع دور فى إنهيار الدولة ، فان الترف هو العامل الحاسم فى ضعف الدولة وتدهور الحضارة . ويفسر لنا ابن خلدون دور الترف فى تدهور الدولة من خلال العوامل الاقتصادية والأخلاقية والنفسية .

فالعامل الاقتصادى يتمثل فى الإسراف فى الترف من حيث النزوع إلى رقة الأحوال فى المطعم والملبس والفرش والآنية ، ومن حيث تشييد المبانى الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهياكل المرتفعة ، ومن حيث إجازة الوفود من أشراف الأمم ووجوه القبائل مع التوسعة فى الأعطيات على الصنائع والموالى وإدرار الأرزاق على الجند ، وقد يستحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية يضربها على البياعات ليفى الدخل بالخراج حتى تثقل المغارم على الرعايا ويكسد الأسواق ، ولا يزال الأعمار فى نقص والترف فى ازدياد حتى ينتقص العمران ويعود وبال ذلك على الدولة .

---

(٦) نفس المرجع .

(٧) نفس المرجع .

كما يتمثل العامل الأخلاقى النفسى فى عوائد الترف تؤدى إلى العكوف على الشهوات وتثير مذمومات الخلق، فتذهب عن أهل الحضر طباع الحشمة ويقذعون فى أقوال الفحشاء، فضلا عن أن الترف يذهب خشونة أهل البداوة ويضعف العصبية والبسالة حتى أنغمسوا فى النعيم فأنهم يصبحون عيالا على الدولة كأنهم من جملة النسوان والولدان المحتاجين إلى المدافعة عنهم. كما أن الترف مفسد لبأس الفرد ولشكيمة الدولة، والترف مفسد للخلق بما يحصل فى النفس من ألوان الفساد والسفه، والترف مظهر لحياة السكون والدعة ودليل ميل النفس إلى الدنيا والتكالب على تحصيل متعها حتى يتفشى الخلاف والتحاسد، ويفت ذلك فى التعاضد والتعاون ويفضى إلى المنازعة ونهاية الدولة (٨).

◘ الأمة العربية الإسلامية ◘

هذه صفحات لابن خلدون سقتها كفاتحة ومقدمة توضيحية لهذا الكتاب الذى أحاول فيه التعمق فى تاريخ الأمة العربية الإسلامية الحديث والمعاصر ومحاولة استقراء أحداثه لإبراز أن دوام الحال من المحال وأن الدول والحضارات تمر بمراحل وأطوار فى حياتها، فالدولة تبدأ صغيرة ثم تنمو وتقوى حتى تصبح أكثر تحضرا وأقوى تنظيما، ثم تتجه نحو التدهور والإنهيار بفعل عوامل متعددة.

لقد صدق ابن خلدون فى كثير مما ذكره فى مؤلفه القيم، وهذا شىء طبيعى لأن ابن خلدون استنتج ما توصل إليه من أفكار من دراسته للتاريخ وللأمم والشعوب التى عرفها أوخبرها ومن هنا وجدنا فى تاريخ العرب فترات ازدهار وفترات تدهور وإنهيار كما هو حال تاريخ الأمم والشعوب الأخرى فى العالم.

لما كان لكل حادثة أوواقعة بداية وذروة ونهاية، ونهاية الحادثة أوالواقعة بداية لأخرى فإن تاريخ الأمة العربية الإسلامية الحديث يستند إلى بداية

---

(٨) نفس المرجع.

تكوين الدولة العربية الإسلامية زمن الرسول محمد بن عبدالله عليه صلاة الله وسلامه منذ أربعة عشر قرنا.

واستنادا إلى ماجاء فى كتاب الله الكريم فى قوله سبحانه وتعالى: «والله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبا».. صدق الله العظيم.. فان كل دولة تبدأ صغيرة شأنها شأن الطفل من حيث الضعف وقلة الامكانيات ولكنها متطلعة إلى الكبر والقوة والاتساع وكثرة الامكانيات، وعندئذ تصل إلى مرحلة القوة وكالشاب والإنسان فى دور الرجولة الكاملة بالنسبة للفتى والأنوثة الكاملة بالنسبة للفتاة فتصبح الدولة من القوة وتوفر الامكانيات ما يتيح لها التوسع وفرض السلطة والنفوذ على الدول المجاورة الأضعف واستيعابها أو اهتضامها كما يقول ابن خلدون.

ولما كان الإنسان بعد الفتوة والشباب والاكتمال يسير نحو الهرم والشيخوخة وهى سنة الله فى خلقه، فكذلك الدولة تسير بعد قوتها واتساعها إلى الهرم والإنهيار وعندئذ تكتمل دورة النمو لهذه الدولة لتبدأ دورة نمو أخرى لدولة أو حضارة أخرى..

■ **عوامل القوة:**

ومن هنا نقول أن الدولة العربية الإسلامية بدأت صغيرة متمثلة فى حكومة الرسول محمد بن عبدالله عليه صلاة الله وسلامه وتميزت باجتماع السلطتين الدينية والزمنية فى يد هذه الحكومة المستندة إلى دستور سماوى هو القرآن الكريم بتعاليمه.

ولكن هذه الحكومة العربية الإسلامية الصغيرة ما لبثت أن كبرت وقويت واتسعت لتشمل أقطارا عديدة كانت تخضع لامبراطوريات قديمة وأعنى بها امبراطورية الروم فى الغرب وامبراطورية الفرس فى الشرق. وتميزت هذه الدولة العربية الإسلامية الكبيرة بالامتداد لتشمل أقطارا فى آسيا وأفريقيا وأوروبا، كما تميزت بالتحضر حيث نفض العرب عصر البداوة لبناء دولة متحضرة سبقت العالم المعاصر آنذاك وأصبحت دمشق

وبغداد والقاهرة على سبيل المثال حواضر متمدينة تموج بالعلماء فى مختلف فروع المعرفة وبالعمران البشرى والمادى..

ولنا أن نتساءل عن العوامل المسئولة عن وصول الدولة العربية الإسلامية الصغيرة البدوية إلى مرحلة القوة والتحضر.. وللإجابة نحدد هذه العوامل فيما يلى:

أولاً ـ عدم التناقض بين العقيدة الإسلامية والعلم والحديث:

يمتلىء القرآن الكريم بالآيات التى تتناول المعرفة الإنسانية وتحض على التعلم وسبر أغوار العلم الحديث من ذلك **«إقرأ بأسم ربك الذى خلق»** و**«علم الإنسان مالم يعلم»** و**«وفى أنفسكم أفلا تبصرون»** و**«أفمن يعلم كمن لايعلم»**. ومن هنا أخذ المسلمون بكثير من العلوم العقلية حتى التى عربها علماؤهم عن اليونان والرومان وغيرهم، ولم يكد يأت القرن الرابع الهجرى ـ العاشر الميلادى ـ حتى كانت الحضارة الإسلامية قد وصلت أوج عظمتها، وكان من بين رواد العلوم العقلية علماء من مختلف الشعوب التى اعتنقت الدين الإسلامى فى المشرق والمغرب الإسلاميين (٩).

ويمكن لنا إدارك أهمية ذلك وأثره إذا عرفنا موقف الكنيسة الغربية فى روما العدائى من مناهج المدارس الفلسفية وإحراق مؤلفاتها وإصدار قرارات الحرمان ضد مؤلفيها، ومنع جامعات العصور الوسطى من تدريسها.

ثانيا ـ الاعتراف بالديانات الكتابية السابقة:

كان اعتراف الاسلام بالرسالات والكتب السماوية السابقة عليه واعتبارها من التنزيلات الإلهية واحترام وتقدير رسلها وأنبيائها من بين العوامل التى حببت الكثيرين من أصحاب هذه الديانات فى الإسلام وتوجيههم إلى اعتناقه والأخذ بمبادئه.

وقد ساعد على تفهم كثير من الشعوب لمبادىء العقيدة الإسلامية واعتناقها إنتشار اللغة العربية بانتشار الفتوحات الإسلامية وتعلم هذه

---

(٩) د. عبد الشافى غنيم ود. رأفت الشيخ: قضايا إسلامية معاصرة ص١٦.

الشعوب لها وقراءة القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكتب الفقه والشريعة .

ثالثا ـ النظرة الشمولية للحياة فى الإسلام :

تناول القرآن الكريم وتناولت السنة النبوية الشريفة كل مايمس جوانب حياة الناس والعلاقات بين الأفراد والمجتمع مع الأهتمام بالجوانب الخلقية والسلوكية والثقافية لتكوين الشخصية الحضارية المسلمة مع التركيز على تقنين وتنظير كل هذه المعاملات فى إطار من الرقابة التنظيمية المرتبطة بالمنهج العلمى الصحيح . ومن هنا وجدت الشعوب فى الإسلام سلطة واحدة تشرف على الشئون الدينية والزمنية معا (١٠) .

رابعا ـ الافادة من الحضارات السابقة وامتصاصها :

إيمانا بأن الأحتكاك الحضارى بين الشعوب يؤدى إلى التقدم لم يفرض الإسلام والمسلمون ما سبق من نظم سياسية وقيم حضارية ونظريات علمية ، بل لقد استفادت الدولة الإسلامية من كل النظم والحضارات السابقة ، واضطر علماء المسلمين فى سبيل ذلك إلى إجادة اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية ونقل تراث ومؤلفات هذه الحضارات والثقافات إلى اللغة العربية ، ولم يكتف المسلمون بمجرد ترجمة ونقل هذا التراث وإنما أضافوا وحذفوا وابتكروا كثيرا من الحقائق والمعلومات .

خامسا ـ الأخذ بمبادىء العدل والحرية والمساواة :

كان إصرار رسول الله محمد بن عبد الله عليه صلاة الله وتسليمه منذ فجر الدعوة على تحرير المسلم من عبودية الجاهلية بمختلف صورها أول دروس الإنسانية فى إدراك مفهوم العدالة والحرية والمساواة ، ذلك الشعار الذى بدأ المفكرون فى نشره منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى . و يرجع كثير من المستشرقين المنصفين دوافع إنتشار الإسلام بهذه السرعة المذهلة إلى هذا المبدأ الأساسى من مبادىء الدولة فى الإسلام (١١) .

---

(١٠) نفس المرجع ص ١٧ ـ ١٨ .

(١١) نفس المرجع ص ١٨ ـ ١٩ .

سادسا ــ الدور الذاتي في الدعوة إلى الإسلام:

لم تعتمد العقيدة الإسلامية فى إنتشارها فى أرجاء القارات على مؤسسات منظمة وبعثات تبشيرية تخطط لها وميزانيات معتمدة تستهدف إغراء الناس لاعتناق الإسلام، ولكنها إعتمدت على الجهود الذاتية المنبعثة عن عمق العقيدة فى قلوب أصحابها نخص من هؤلاء علماء الإسلام وفقهاؤه والرحالة والتجار والجغرافيون والمعلمون المسلمون كما اعتمدت أيضا على إهتمام التجمعات الإسلامية فى كل الأمصار بإنشاء المساجد والمدارس والكتاتيب وغيرها من الأبنية الدينية والتعليمية التى كانت تقوم أساسا على الجهود الذاتية والتبرعات المادية والعينية.

ولعل مما يثير التساؤل عند المفكرين ظاهرة عمق العقيدة الإسلامية فى بلاد لم تطأها قدم جندى إسلامى واحد فى شرق وغرب وجنوب أفريقيا وجنوب آسيا، حتى أن هؤلاء المسلمين خاضوا ومازالوا يخضون لعدة قرون حروبا ضد المستعمرين والأغلبيات المسيحية المتعصبة والوثنيين على الرغم من عدم التكافؤ فى المال والسلاح (١٢).

سابعا ــ غلبة الإيمان بالعقيدة على الحركات الإنفصالية:

تأثرت القوة السياسة للدولة الإسلامية سلبا بظهور حركات إنفصالية فى العصر العباسى الثانى خاصة بعد أن سيطرت على عاصمة الخلافة بغداد عناصر تركية، ولكن هذا التأثير لم تمتد إلى الجوانب العقيدية والفكرية، حتى أن القيادات الإدارية والتنظيمية للدويلات الإسلامية فى المشرق والمغرب الإسلاميين كانت شديدة الولاء والانتماء للعقيدة الإسلامية، حيث أنها تعتبر هذا الإيمان جسر بقائها واستمرارها فى قواعدها. وكانت وسيلتها إلى تمكين هذا التعبير تكمن فى كثرة اهتمامها ببناء المؤسسات الدينية واجتذاب الفقهاء وغيرهم من علماء الدين، والأهتمام بنشر الديانة الإسلامية.

---

(١٢) نفس المرجع ص ٢٠.

ثامنا ــ وحدة مصادر التشريع فى الإسلام:

كان القرآن الكريم وكانت السنة النبوية الشريفة مصدر التشريع الموحد فى الدولة الإسلامية ، ولذلك لم يتأثر بالضعف السياسى الذى إنتاب الدولة فى بعض مراحل وجودها وإنما كان فى كثير من الأحيان يشكل عامل التوازن بين الصعود والأفول فى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية بل إنه كان الزاد الذى تنهل منه الأقليات الإسلامية أينما وجدت.

تاسعا ــ التكوين الحضارى للشخصية الإسلامية:

حين يصل المسلم إلى حقيقة التعرف على شخصيته فى إطار عقيدة تحترم وجوده وكيانه وإستقلاله وحريته يصعب على أية قوة مهما كان حجمها أن تقف فى طريقه ، وهكذا كان إكتشاف المسلمين لحقيقة شخصياتهم فى ظل الإسلام عاملا أساسيا فى ظاهرة التوسع الإسلامى الشامل عقيديا وسياسيا وعسكريا وحضاريا (١٣).

عوامل التفكك:

ولكن الدولة الإسلامية العربية تعرضت منذ العصر العباسى الثانى لعوامل تفكك سياسى من داخل الدولة ومن خارجها أدى بها للمرور فى طور الهرم والتدهور، وهذه العوامل هى:

أولا ــ العوامل الداخلية:

تمثلت العوامل الداخلية التى أصابت الدولة الإسلامية العربية وعرضتها للضعف والتدهور فى:

١ ــ الخلافات الحزبية والمذهبية:

رغم ما بذله رسول الله محمد بن عبد الله صلاة الله عليه وسلامه من جهود لتحقيق وحدة العقيدة للمسلمين وتغليب العقيدة الإسلامية على ما عداها من الصرعات الحزبية أو المطامع الدنيوية فإن الدولة الإسلامية العربية بعده تعرضت لظهور بعض الاتجاهات الحزبية والمذهبية مثل

---

(١٣) نفس المرجع ص ٢١ ــ ٢٥.

السبئية([14]) والكيسانية والقرامطة والشيعة والخوارج وغيرها مما أثر فى وحدة العقيدة الإسلامية العربية سياسيا ولم يؤثر فى وحدة العقيدة عند المسلمين.

٢ ـ العصبيات القبلية:

أكد الإسلام على ضرورة التخلى عن العصبية وإحلال الوحدة العقيدية والإيمانية مكانها، ولكن هذه العصبية ظهرت فى عهد الأمويين متمثلة فى إنقسام المسلمين بين يمنيين ومضريين ذلك الأنقسام الذى أدى إلى تدهور الدولة الإسلامية العربية والذى امتد ليشمل المشرق العربى والمغرب العربى وفى الأندلس ([15]).

٣ ـ الشعوبية:

هى حركة عدائية للعرب والعروبة وتزعمها الفرس والترك، وأخذت الشعوبية تنتقل من مجرد نقد العرب والتحدث عن مثالبهم إلى محاولة الحط من شأنهم والحديث عن جهالتهم وجلافتهم وسوء تدبيرهم، وأخذت كتب الشعوبيين فى مثالب العرب ونقائصهم تبرز إلى الوجود، ثم تطور الأمر إلى إنتقال الشعوبية إلى مرحلة الزندقة والتطاول على الديانة الإسلامية ونقد القرآن الكريم، والعودة إلى إيقاظ الديانات والمذاهب المجوسية القديمة، وظهور الحركات العدائية للإسلام والمسلمين وفى مقدمتها حركات البابكية والخرمية والمقنعية والخراسانية الفاطمية التى تنتمى إلى فاطمة بنت الخراسانى، وغير ذلك من الحركات الهدامة فى جسم الدولة.

٤ ـ طموحات العناصر الداخيلة:

وقد تمثلت هذه العناصر بطموحاتها فى زعماء الخراسانيين ثم تسلط الأتراك والبويهيين وغيرهم الذين تحولوا بعيدا عن سماحة الإسلام وعدم التمييز

---

(١٤) السبئية تنتسب إلى عبدالله بن سبأ وهو يهودى من أصل يمنى ادعى الإسلام وبدأ يستغل المرارة التى كانت عند بعض العلويين الذين كانوا يؤمنون بأحقية سيدنا على بن أبى طالب فى الخلافة وينحرف بها إلى منعطفات واتجاهات رفضها الامام على وكذلك أنصاره ومن بين ما نادى به ابن سبأ مبدأ الرجعة والوصاية والحلولية وانفراد على بالإمامة، وقد انضوى تحت لوائه كثير من السطحيين المتعصبين الذين لعبوا دوراً كبيراً فى إثارة الأمصار الاسلامية على الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

(١٥) المرجع السابق ص ٢٠ ـ ٢٢.

بين المسلمين بسبب اللون أو الجنس أو اللغة، إلى أدوات لإضعاف نظام الدولة الإسلامى حتى إنتهى الأمر بإضعاف الخلفاء العباسيين وإنهاء الدولة العباسية على المغول عام ٦٥٦هـ الموافق عام ١٢٥٨م. ولقد كانت أطماع قيادات هذه العناصر فى العصر العباسى الثانى عاملا ليس فقط فى إضعاف أمر الخلفاء العباسيين وإنما فى المساعدة على خلق كيانات ودويلات مستقلة أضعفت من وحدة الدولة الإسلامية (١٦).

٥ ـ ظهور العديد من الدويلات الإسلامية المستقلة:

كان من نتيجة الحركات الشعوبية وطموحات زعامات العناصر الدخيلة أن تفككت عرى وحدة الدولة الإسلامية العربية شرقا وغربا وأخذت الصراعات تقوم بين هذه الدول وبعضها، ومايقال عن الدويلات الإسلامية فى المشرق العربى يقال عن مثيلاتها فى المغرب العربى التى كانت مظهرا لتفكك الدولة الإسلامية الكبرى، وهى الأندلس خاصة بعد سقوط الخلافة الأموية الأندلسية عام ٤٢٢هـ الموافق ١٠٣٠م وقيام الدويلات المستقلة فى ظل نظام إقطاعى أتاح فى النهاية للقوى المسيحية المعادية إنهاء الوجود الإسلامى فى الأندلس.

٦ ـ عدم الإدارك الواعى لفلسفة العقيدة والفكر الإسلاميين:

الدين الإسلامى دين شمولى يجمع بين الدين والدنيا مصداقا لقول صلى الله عليه وسلم: «أعمل لدينك كأنك تموت غدا وأعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا». وهذا التصور الشمولى غاب عن البعض الذين أعتقدوا أن الدين الإسلامى يقتصر على مجرد العبادات الظاهرة وأنه يتعارض مع مظاهر التطور العلمى والفكرى الإنسانى.

ونحن لا ننكر على الدولة العثمانية مثلا دورها القيادى فى الذود عن كثير من الأراضى الإسلامية ضد الهجمات الصليبية الآتية من جانب الأسبان والبرتغال، ولكن عدم الأدارك الحقيقى لفلسفة وفكر الإسلام وقف حائلا دون عمليات التطور الفكرى والحضارى، فى وقت بدأت فيه الحركات السياسية والانقلابات الصناعية تجتاح أوروبا مما أدى إلى إصابة

---

(١٦) نفس المرجع ص ٢٣ ـ ٢٥.

العالم الإسلامى بظاهرة التخلف الحضارى، وقد أتاح ذلك للإستعمار الأوربى استغلال هذا التخلف والجمود لبسط ظلاله على كثير من البلاد الإسلامية الواقعة فى إطار الدولة العثمانية (١٧).

ثانيا ـ العوامل الخارجية:

من المعلوم أن الضعف الداخلى يجذب القوى الخارجية لتحقيق أهدافها، وبمعنى آخر أن تفكك المجتمع من الداخل يتيح للغزو الخارجى فرصة لتحقيق أطماعه، فجسم الإنسان الضعيف قليل المناعة يتيح للميكروبات أن تنفذ إلى الجسم فتصيبه بالعلل والأمراض، وضعف الوحدة الوطنية فى دولة ما يسمح للأعداء بالوثوب لاحتلال البلاد، ولبنان حاليا خير مثل على صدق هذه المقولة.

وحين توفرت داخل الدولة الإسلامية عوامل رأيناها تصيب وحدة هذه الدولة فى مقتل، فقد ظهرت عوامل خارجية استفادت من العوامل الداخلية لكى تساهم فى تدهور الدولة وإنهيارها سياسيا وإن كانت قوة العقيدة الإسلامية قد عصمت الدولة الإسلامية من الأنهيار الشامل الكامل.

وأهم العوامل الخارجية هى:

١ ـ العدوان الصليبى:

ظهرت فى أوروبا موجة صليبية عاتية تتجه للقضاء على الكيان الإسلامى، وهى ذات أهداف إستعمارية وإن اتخذت الصليب شعارا لتجمع الناس حولها. وقد وجهت هذه الموجة أول ضرباتها فى المغرب العربى الإسلامى وفى الأندلس فى محاولة للقضاء على الوجود الإسلامى فى شبه جزيرة ايبيريا وملاحقته فى المغرب العربى الإسلامى.

وفى نفس الوقت كانت الحملات الصليبية العسكرية تتابع واحدة بعد الأخرى بدعوى السيطرة على الأماكن المقدسة بفلسطين وتخليصها من أيدى المسلمين. ورغم عدم نجاح المسلمين فى الوقوف ضد العدوان الاستعمارى الصليبى فى شبه جزيرة أيبيريا عام ١٤٩٢م، فقد نجح المسلمون فى وقف

---

(١٧) نفس المرجع السابق ص ٣٥ ـ ٣٦.

المد الصليبى فى المشرق العربى الإسلامى بل وتصفية الوجود الصليبى هناك على يد صلاح الدين الأيوبى ثم على يد سلاطين المماليك حكام مصر وبلاد الشام .

٢ـ العدوان المغولى:

تعرضت الدولة العربية الإسلامية فى القرن السابع الهجرى الموافق للقرن الثالث عشر الميلادى لعدوان المغول الزاحفين من وسط آسيا على جناح الدولة فى المشرق والذين دمروا بغداد عاصمة الخلاف العباسية عام ٦٥٦هـ الموافق عام ١٢٥٨م(١٨) .

ورغم نجاح المغول فى الإستيلاء على الجناح الشرقى من الدولة الإسلامية وسقوط الخلافة العباسية فى بغداد بعد أن استمرت فى الحكم نحو خمسة قرون ونصف مما أدى إلى إنتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة ، إلا أنهم ـ أى المغول ـ فشلوا فى الإستيلاء على بلاد الشام والامتداد إلى مصر وإلى بقية أقطار الدولة الإسلامية بالمغرب العربى ، بسبب وقفة السلاطين المماليك حكام مصر وبلاد الشام الذين استطاعوا هزيمة المغول فى موقعة عين جالوت بفلسطين عام ٦٥٨هـ الموافق لعام ١٢٦٠م فأوقفوا زحفهم وإن لم يقضوا على خطرهم القضاء الكامل . وظل تدمير المغول لبغداد عاصمة الخلافة العربية الإسلامية علامة على تدهور وإنهيار الدولة العربية الإسلامية سياسيا .

وقد هيأت العوامل الداخلية المسئولة عن تفكك الدولة الإسلامية سياسيا للعوامل الخارجية التى سقناها ـ وأعنى العدوان الصليبى والعدوان المغولى ـ أن تضرب ضربات مؤثرة فى جسم الدولة حتى رأينا دولة سلاطين المماليك فى مصر والشام التى نجحت فى الوقوف أمام العدوان الصليبى ثم العدوان المغولى ينهار عام ١٥٠٩م أمام سفن البرتغاليين فى المحيط الهندى أمام مدينة بومباى الهندية فيما عرفت بموقعة ديو البحرية ، كما انهارت أمام زحف العثمانيين إلى بلاد الشام عام ١٥١٦م وإلى مصر عام ١٥١٧م .

---

(١٨) نفس المرجع السابق ص ٤٦ـ٤٧ :

■ الفصـل الثانى ■

العصر العثمانى

- مقدمـــة
- أولا: الحكم العثمانى فى الوطن العربى:
  - أ ــ نظام الحكم العثمانى
  - ب ــ تأثيرات نظام الحكم العثمانى:
    - التأثيرات الإيجابية.
    - التأثيرات السلبية.
- ثانيا: العصبيات المحلية:
  - أ ــ العصبيات المحلية فى المشرق العربى.
  - ب ــ العصبيات المحلية فى المغرب العربى.
  - جـ ــ العصبيات المحلية فى مصر.

■ مقدمـــة ■

يضم الوطن العربى الوحدات السياسية المعروفة حاليا فى قارتى آسيا وأفريقيا فى جناحين يشتمل الجناح الأسيوى على ماعرف بالهلال الخصيب وماعرف بالمربع العربى ، والهلال الخصيب يتكون من : الجمهورية العراقية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية اللبنانية ، المملكة الأردنية الهاشمية ، فلسطين ، و يتكون المربع العربى من : المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية اليمنية (الشمالية) ، جهورية اليمن الديموقراطية (الجنوبية) وقد اتحدتا تحت أسم الجمهورية اليمنية ، سلطنة عمان ، دولة الأمارات العربية المتحدة ، دولة قطر ، دولة البحرين ، دولة الكويت .

أما الجناح الأفريقى من الوطن العربى فيضم كلا من : جهورية مصر العربية ، جمهورية السودان الديموقراطية ، جهورية الصومال الديموقراطية ، جمهورية جيبوتى ، الجماهيرية العربية الليبية ، الجمهورية التونسية ، الجمهورية الجزائرية ، المملكة المغربية ، الجمهورية الموريتانية الإسلامية .

ورغم هذا التعدد فى الوحدات السياسية العربية فإن الوحدة الثقافية التى تظلل أقطار الوطن العربى من أهم عوامل الوحدة بين تلك الأقطار ، ذلك أن اللغة العربية هى لغة كل العرب وهى اللغة السائدة فى مشرق الوطن العربى ومغربه ، أى فى جناحه الأسيوى والأفريقى ، ولا يقلل من

قوة عامل اللغة وجود لهجات محلية مشتقة من اللغة العربية ذاتها أو لهجات أخرى كتلك التى يتكلم بها الأكراد فى شمال العراق وسوريا وتلك التى يتحدث بها البربر فى المغرب العربى.

كما أن الدين الإسلامى دين غالبية العرب فى الوطن العربى حيث تصل نسبة المسلمين العرب أكثر من ٩٠٪ من عدد سكان الوطن العربى، وبذلك يعتبر الدين الإسلامى عاملا ثقافيا من عوامل الوحدة بين الأقطار العربية، ورغم وجود أقلية مسيحية وأقلية يهودية من سكان الوطن العربى، فإن ذلك لم يقلل من الوحدة العربية حيث يتحدث المسيحيون واليهود اللغة العربية كالمسلمين.

وكانت الوحدة الثقافية العربية مستندة إلى الأسس التالية:

١ـ الوحدة الروحية التى تجمع شعوب المنطقة العربية الإسلامية.

٢ـ إرتباط السلطة الدينية بالسلطة الزمنية، فقد كان الخليفة هو الزعيم السياسى إلى كونه الزعيم الدينى للمسلمين.

٣ـ شيوع مبادىء الأخاء والمساواة التى تحطم الحواجز بين الناس دون النظر إلى جنس أولون، وهذه المبادىء تستند إلى شرائع الدين الإسلامى.

وتعتبر حضارة الوطن العربى الإسلامية العربية خلاصة تفاعلات بين ثقافات واتجاهات وأجناس وشعوب مختلفة تآلفت وامتزجت فى ظل الخلافة الإسلامية التى ظهرت أولا فى شبه الجزيرة العربية عندما ظهر الإسلام وأنتشر فى عهد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين، ثم فى ظل دمشق عاصمة الخلافة الأموية فبغداد عاصمة الخلافة العباسية، ثم فى ظل القاهرة عاصمة آخر خلافة عربية.

وقد تعرض الوطن العربى لانقسامات داخلية بعد ضعف الخلافة العباسية حيث رأينا دويلات إسلامية تقوم هنا وهناك فى أنحاء الوطن العربى ولكنها لم تنفصل عن الخلافة الإسلامية، كما لم يضع حكام هذه الدويلات أية قيود أوحواجز تحول دون إنتقال المواطن العربى من قطر عربى لآخر أوتحول دون إتصال العرب فى المغرب بأخوتهم عرب المشرق،

بل استمرت وحدة العرب الشعبية وان اختلفت حكوماتهم وتعددت دولهم فبلاد العرب لكل العرب.

وفى الوقت الذى أخذت الأمارة العثمانية تتكون بآسيا الصغرى وتتوسع على حساب الامبراطورية البيزنطية ى البلقان قبل أن تتجه إلى الشرق العربى كانت أقطار الوطن العربى تعيش مرحلة من التفتت والضعف، حيث كانت سلطنة المماليك فى القاهرة تحكم كلا من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن، وقد بدأ الضعف يدب فى هذه السلطنة حتى هزم أسطولها أمام سفن البرتغاليين بمياه الهند عام ١٥٠٩م، بعد أن كانت هذه السلطنة قد نجحت فى طرد بقايا الصليبيين من فلسطين، وهزمت المغول فى عين جالوت بفلسطين عام ١٢٦٠م.

كما أن العراق الذى ظل تحت حكم المغول منذ عام ١٢٥٨م سقط فى قبضة الشاه إسماعيل الصفوى شاه فارس عام ١٥٠٨م، بينما ظلت مشيخات الخليج العربى تعيش فى ظل التنظيمات القبلية، حيث مارست القبائل العربية النازحة من وسط شبه الجزيرة العربية إلى سواحل الخليج حياة الرعى والتجارة والغوص على اللؤلؤ. وكان الائمة الزيديون يحكمون اليمن يعترفون لسلاطين مصر بالسيادة عليهم شأنهم فى ذلك شأن أشراف مكة فى الحجاز، وكانت نجد والأحساء تعيش فى ظل تنظيمات قبلية ولم تخضع لسلطة سياسية من دولة خارجية.

وفى الجناح الأفريقى من الوطن العربى، ظهرت بالسودان أول سلطنة إسلامية فى سلطنة الفونج فى سنار عام ١٥٢٢م التى حاولت توحيد كل أقاليم السودان فى دولة إسلامية عربية بعد أن تعددت ممكالكاته. وفى ليبيا سادتها دويلات صغيرة حتى احتلها الأسبان عام ١٥١٠م ثم أهدوها لفرسان القديس يوحنا فى مالطة عام ١٥٣٥م إلى أن طردهم منها الأتراك والعثمانيون عام ١٥٥١م.

وفى تونس حكمتها الأسرة الحفصية من عام ١٢٢٨م التى امتدت سلطتها فى بعض فترات التاريخ شرقا إلى طرابلس وإلى الأندلس غربا حتى سارت ولاية عثمانية منذ عام ١٥٣٤م، وأما الجزائر فقد حكمتها أسرة بنو عبد الوديد الذين اتخذوا من تلمسان مركزا لدولتهم منذ عام ١٢٣٥م. وأما مراكش

فقد عاشت تحت حكم أسرة بنى واطس ومركزهم مدينة فاس عام ١٤٧٠م ومارسوا الجهاد البحرى الإسلامى ضد سفن الأسبان وفرسان القديس يوحنا.

نظر العرب إلى انتصارات الأتراك العثمانيين على البيزنطيين نظرة فرح واستبشار وعدوها انتصارات للمسلمين، وعندما سقطت مدينة القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية فى أيدى العثمانيين عام ١٤٥٣م سرت رنة الفرح وسرور بين العرب وأقيمت الاحتفالات فى كل من القاهرة ودمشق، وغيرها من المدن العربية.

ولكن مع أوائل القرن السادس عشر تحول العثمانيون للزحف نحو المشرق العربى والسيطرة على كل من العراق وبلاد الشام ومصر والحجاز، ثم امتداد السيطرة العثمانية على كل من الجزائر وتونس وليبيا من أقطار المغرب العربى وإن لم ينجحوا فى فرض سيطرتهم على مراكش أوموريتانيا.

فلماذا كان هذا الزحف العثمانى والسيطرة على أقطار الوطن العربى؟ أوبعبارة أخرى ما هى الأسباب التى دفعت العثمانيين إلى التحول لفرض السيادة العثمانية على أقطار الوطن العربى فى المشرق والمغرب؟ سوف نحاول الإجابة على هذه التساؤلات فى الصفحات التالية:

وما هو نظام الحكم الذى وضعه سلاطين آل عثمان وبصفة خاصة سليمان بن سليم الأول الذى عرف بسليمان القانونى؟ وما شكل هذا الحكم وتنظيماته فى الوقت الذى كانت فيه الأقطار العربية التى خضعت للحكم العثمانى وتنظيماته ـــ وفى مقدمة هذه الأقطار، مصر بطبيعة الحال أكثر تحضرا من الدولة العثمانية؟ الإجابة على هذه التساؤلات ستظهر فى الصفحات التالية:

وهل التنظيمات التى وضعها العثمانيون لحكم الأقطار العربية تعد أثراً من تأثيرات بيئة الأتراك العثمانيين الأصلية فى وسط آسيا أم دخلت عليها تأثيرات من حضارات أخرى احتك بها العثمانيون فى انتقالهم من وسط آسيا إلى هضبة الأناضول بآسيا الصغرى، كالحضارة الفارسية والحضارة البيزنطية والثقافة العربية الإسلامية؟ الإجابة على هذه التساؤلات سنراها فى الصفحات التالية:

خضعت الأقطار العربية للحكم العثمانى حوالى أربعة قرون من ١٥١٤ إلى ١٩١٤م، فهل كانت تأثيرات العثمانيين طوال هذه الفترة إيجابية كلها أوسلبية كلها؟.. سوف نحاول الإجابة على هذا التساؤل فى الصفحات التالية:

فلنحاول فى هذا الفصل الإجابة على كل التساؤلات المثارة فى هذه المقدمة على أمل استجلاء الحقائق وتوضيح الأمور بموضوعية..

أولا الحكم العثمانى فى الوطن العربى

تنسب الدولة العثمانية إلى الأمير عثمان الأول مؤسسها بوسط آسيا الصغرى فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ــ وبالتحديد عام ١٢٩٩م وهو عام ارتقاء عثمان الأمارة ــ وفى عصورها الأولى أطلق عليها المؤرخون العثمانيون اسم «دولت عليه» أى الدولة العلية، ثم أطلقوا عليها اسم: «سلطنت سنية» أوالسلطنة السنية، كما أطلق عليها بعد إتساع ممتلكاتها فى أوروبا وآسيا وأفريقيا أسم «امبراطور لق عثمانلى» أى الامبراطورية العثمانية، وعرفت أيضاً بالاسم الذى ارتاح له الأتراك العثمانيون وهو «دولت عثمانلى» أى الدولة العثمانية. وكان العثمانيون يتمسكون بكلمتى «عثمانى» و«عثمانيين» لقبا مميزاً لهم تعبيراً عن إعتزازهم بانتسابهم إلى عثمان الأول ــ كما ذكرنا ــ من ناحية، وستعلاء على هذه الأجناس التركية الأسيوية المتبربرة فى نظرهم من ناحية أخرى. وظل ذلك الموقف العثمانى من لفظة تركى حتى أوائل القرن العشرين، على الرغم من أن لغتهم كان يطلق عليها فى جميع العصور التاريخية التركية(١).

لقد جاء بناء الدولة العثمانية الفتية، أوروبيا، حيث أنطلقت من جزيرة آسيا الصغرى وانقضت على الدولة البيزنطية الهرمة المتاخمة لها فى شبه جزيرة البلقان، وأخذت تهزمها فى كل الميادين حتى إستطاع السلطان محمد

---

(١) د. عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية.. ص ١١ ــ ١٢.

الثانى فتح مدينة القسطنطينية عاصمة الأمبراطورية البيزنطية عام ١٤٥٣م واتخذها عاصمة لدولته وأطلق عليها أسم استانبول (٢). ولم يتوقف العثمانيون فى زحفهم بشرق أوروبا إلا بعد أن وصلوا إلى أبواب مدينة «فيينا» عاصمة النمسا عام ١٥٢٩م.

وكانت أقطار الوطن العربى والإسلامى تنظر إلى إنتصارات العثمانيين وفتوحاتهم على حساب الامبراطورية البيزنطية نظرة ملؤها الأحترام والحماس والتأييد، فى الوقت الذى جعلت هذه الأنتصارات العثمانيين ينظرون إلى أنفسهم نظرة حماة الدين الإسلامى والأقطار الإسلامية.

ولكن الدولة العثمانية بعد أن زادت فى التوسع غربا توقف الزحف أوكاد، وفى مقابل ذلك وجدناها تتجه شرقا وتزحف نحو أقطار الوطن العربى لتستولى عليها .. وإذا كانت ظروف الدولة العثمانية القوية قد هيأت لها التوسع، فإن ظروف أقطار الوطن العربى قد سهلت على الدولة العثمانية تحقيق إتجاهها للتوسع.

فقد كانت كل من فارس والعراق تعانى من الدمار والفوضى نتيجة للاغارات المغولية الشىء الكثير حتى استطاعت الدولة الصفوية فى أوائل القرن السادس عشر (١٥٠٨م) تكوين وحدة سياسية من العراق وفارس على أساسى دينى شيعى يعادى المذهب السنى الذى تدين به الدولة العثمانية الفتية.

وإذا كانت مصر وأقطار الشام قد نجت من الاغارات المغولية المخربة على يد سلاطين المماليك، إلا أن دولة المماليك رغم ضخامتها ــ حيث كانت لها السيادة على الحجاز إلى جانب كل من مصر وأقطار الشام ــ كانت فى أوائل القرن السادس عشر قد وصلت إلى حالة من الأعياء الشديد بسبب تحول تجارة الهند والشرق الأقصى عن طريق مصر والبحر الأحمر إلى طريق رأس الرجاء الصالح، وبسبب حروب المماليك المستمرة وبصفة خاصة ضد الزحف البرتغالى على منافذ البحار العربية الجنوبية، وليس أدل على ضعف

---

(٢) د. الشناوى: المرجع السابق ص ١٦ــ١٧.

المماليك من هزيمتهم أمام البرتغاليين فى مياه الهند فيما عرف بمعركة ديو البحرية عام ١٥٠٩م ــ كما ذكرنا ــ، ولذلك كانت مقاومتهم للزحف العثمانى نحو أقطار الشام ومصر مقاومة غير عنيدة بل كانت قوتهم مفككة.

أما أقطار الوطن العربى فى شمال أفريقيا : الجزائر، طرابلس الغرب، تونس، فقد دخلت تحت السيادة العثمانية دون مقاومة من سكانها بل رغبة من بعض أهلها للتخلص من تهديدات أسبانيا ذات السياسة الصليبية، وتهديدات فرسان القديس يوحنا القراصنة، بل ورغبة من مواطنى هذه الأقطار العربية فى أن تقضى الدولة العثمانية الإسلامية الفتية على السيطرة المسيحية فى مياه هذه الأقطار العربية وبعض شواطئها.

وقد سارعت الدولة العثمانية إلى بسط سيادتها على أقطار الوطن العربى الثلاثة المشار إليها ــ الجزائر، طرابلس الغرب، تونس ــ فى المغرب العربى حتى تحكم الحلقة حول البحر الأبيض المتوسط، وتكتمل السلسلة العربية من الأقطار الداخلة فى حوزة السلطنة العثمانية سواء المشرقية أو المغربية.

حدث إذن زحف وتوسع عثمانى على الأقطار العربية، نتيجة توفر عوامل أو ظروف هيأت لهذا الزحف والتوسع سواء فى داخل الدولة العثمانية أو أقطار الوطن العربى، وقد استمرت السيطرة العثمانية طوال أربعة قرون تعرضت فيها الأقطار العربية لتطورات وعوامل داخلية وخارجية كظهور العصبيات المحلية وسيطرتها على الحكم فى بعض الأقطار العربية، وقيام الدعوات السلفية ذات البرامج الإصلاحية الدينية اصطدم بعضها بالدولة العثمانية، إلى جانب الثورات المحلية ضد الحكم العثمانى، بالإضافة إلى الزحف الإستعمارى الأوروبى على معظم أقطار الوطن العربى التى هى ولايات عثمانية.

أما المدة التى بقيت فيها أقطار الوطن العربى خاضعة للحكم العثمانى، فإنه رغم أن السيطرة العثمانية إستمرت لمدة أربعة قرون كما ذكرت، إلا أن إستمرار هذه السيطرة العثمانية طوال هذه القرون الأربعة حدثت فى أقطار دون أخرى وأعسى فى الأقطار التى لم تتعرض لغزوات إستعمارية

أوروبية والتى بقيت تحت السيطرة العثمانية حتى قيام الحرب العالمية الأولى.

أ ــ نظام الحكم العثمانى:

وضع السلطان سليمان القانونى أو المشرّع لحكم الولايات العثمانية ــ ومنها الأقطار العربية نظاما للحكم يقوم على توزيع السلطة بين ثلاث قوى كانت على النحو الآتى:

١ ــ الوالى وهو نائب السلطان فى حكم الولاية.

٢ ــ رؤساء الجند وهم قادة الفرق أو الأوجاقات العثمانية.

٣ ــ العصبية المحلية وتتمثل فى الزعمات المحلية التى حكمت البلاد قبل مجيء العثمانيين مثل المماليك فى مصر والقبائل العربية فى الشام.

ب ــ تأثيرات نظام الحكم العثمانى:

كان العرب يشكلون الجزء الإسلامى الأكبر فى مجموعة ولايات الدولة العثمانية، وبذا كانوا أكثر الولايات العثمانية تأثيرا بالتنظيمات العثمانية إيجابا وسلبا، وكان العرب ينظرون إلى الدولة العثمانية قبل زحفها وتوسعها شرقا نظرة إكبار وفخار لما كسبته للمسلمين من فتوحات فى بلاد الروم، كما ظل العرب بعد خضوعهم للحكم العثمانى ينظرون إلى العثمانيين باعتبارهم حماة الدين الإسلامى، بل وباعتبارهم المحافظين على الخلافة الإسلامية.

وقد تأثر العرب بنظام الحكم العثمانى بتأثيرات إيجابية وتأثيرات سلبية نسوقها بإيجاز على النحو الآتى:

التأثيرات الإيجابية:

يمكننا أن نحدد التأثيرات الإيجابية لنظام الحكم العثمانى على العرب فيما يلى:

١ ــ الوحدة السياسية الإسلامية.

٢ ــ مواجهة الصفويين الشيعة فى إيران.

٣ ــ التصدى للبرتغاليين فى المياه الجنوبية.

٤ـ التصدى للإسبان وفرسان القديس يوحنا فى البحر المتوسط.
٥ـ منع المراكب المسيحية من دخول البحر الأحمر.
٦ـ تقوية الحياة الإسلامية فى نفوس العرب.
٧ـ تأخير الغزو الإستعمارى الأوربى للأقطار العربية.
٨ـ كان الحكم العثمانى للوطن العربى حكما غير مباشر.

وباستعراض التأثيرات الإيجابية للحكم العثمانى على أقطار الوطن العربى خلال أربعة قرون يتضح ما يلى:

١ـ لم يكن الحكم العثمانى سيئا بالصورة التى ألصقها به أعداؤه، بدليل أن الأقطار العربية استفادت بصورة أوبأخرى وبدرجات متفاوتة من هذا الحكم كما رأينا.

٢ـ أن معظم التأثيرات الإيجابية للحكم العثمانى على الأقطار العربية لم تكن مقصودة أو مخطط لها لخدمة تلك الأقطار وإنما حدثت لخدمة الدولة العثمانية كامبراطورية تمتلك أو تفرض سيادتها على تلك الأقطار.

٣ـ أن الدولة العثمانية ظلت قوية طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر فى ممارسة سلطتها على ولاياتها العربية وغير العربية، ومن هنا كانت تأثيراتها الإيجابية قوية ومؤثرة، وعندما بدأ الضعف يدب فى أوصال الدولة إبتداء من القرن الثامن عشر وظهور العصبيات المحلية فى الأقطار العربية ضعفت التأثيرات الإيجابية للدولة على الأقطار العربية.

٤ـ أن بعض التأثيرات الإيجابية للحكم العثمانى فى الوطن العربى لم تكن إيجابية تماما وإنما شابتها سلبية أضعفت من إيجابيتها كالوحدة السياسية، وتقليد منع المراكب المسيحية من دخول مياه البحر الأحمر.. وغيرها..

التأثيرات السلبية:

يمكن لنا تحديد التأثيرات السلبية لنظام الحكم العثمانى على أقطار الوطن العربى فى النقاط الآتية:ـ

١ــ الفهم القاصر والناقص لوظائف الدولة ومسئوليات الحكومة.

٢ــ تقسيم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الحكام الأتراك وطبقة المحكومين العرب

٣ــ الشك وعدم الثقة فى ممثلى السلطة بالولايات.

٤ــ الرجعية وعدم التجديد سمة الحكم العثمانى.

٥ــ الطابع العسكرى لنظام الحكم العثمانى.

٦ــ سوء الادارة العثمانية.

٧ــ الامتيازات الأجنبية للأوروبيين فى الأقطار العربية.

٨ــ فرض العزلة على الأقطار العربية.

مما سبق يتضح ما يأتى:

أ ــ أن الحكم العثمانى فى الوطن العربى لم يكن إيجابيا كله وسلبيا كله.

ب ــ أن معظم التأثيرات السلبية للحكم العثمانى فى الوطن العربى لم تكن مقصورة ولا مباشرة وإنما حدثت بسبب ظروف العصر الذى وجدت فيه.

جـ ــ أن التأثيرات السلبية للحكم العثمانى فى الأقطار العربية كانت أبقى أثراً وأشد تأثيراً من التأثيرات الإيجابية وهذا ما دعا البعض إلى القول بأن العثمانيين سبب تخلف العرب.

د ــ ساعد على سلبية الحكم العثمانى فى المجتمعات العربية أن العثمانيين لم يكن لهم رصيد حضارى يقدموه للحياة العلمية فى الولايات العربية، فلم يتعلم العرب اللغة التركية ولم يدخلوا اللغة التركية فى الكتاتيب (٣).

ثانيا: العصبيات المحلية

رأينا فى الصفحات السابقة كيف أدت تأثيرات الحكم العثمانى السلبية على أقطار الوطن العربى إلى ضعف وتخلف هذه الأقطار بل والعودة بها إلى التفكك كما حدث للخلافة العباسية فى العصر العباسى الثانى حيث ظهرت دويلات فى المشرق الإسلامى ودويلات فى المغرب الإسلامى..

(٣) د. محمد أنيس: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة جـ٣ ص١١٠٧.

ونتج عن هذه التأثيرات السلبية ظهور العصبيات المحلية فى الولايات الخاضعة للحكم العثمانى تلك العصبيات التى لم تكن لتظهر لولا ما أصاب الدولة العثمانية من مظاهر الضعف والإفلاس الإدارى والفقر الحضارى.

ويذكر بعض المؤرخين أن ظهور العصبيات المحلية يرجع إلى ظلم الولاة العثمانيين وثقل وطأة الحكم العثمانى ورجاله على الشعوب العربية، مما دفع بالبعض من المغامرين أو المتطلعين إلى الزعامة إلى إستغلال ضيق الشعوب فأظهروا الرغبة فى التصدى للمظالم الواقعة على العرب بهدف الحصول على مساندة أهالى الولايات لارتقاء كرسى الباشوية.

كما يذكر البعض الآخر من المؤرخين أن ظهور العصبيات المحلية فى الأقطار العربية يرجع إلى نزعات فردية ومطامع شخصية تتصل برغبة أصحابها فى السيطرة على أقليم من الأقاليم العربية لتحقيق مكاسب مادية والحصول على سلطة كاملة تحقق له أملا أوحلما راوده منذ صغره كما فى حالة المماليك.

ومما يجب ملاحظته أن معظم العصبيات المحلية كانت تركية الجنسية على الرغم من قيامها فى ولايات عربية، باعتبار القائمين بها أتراكا يعملون فى خدمة الدولة العثمانية وطمعوا فى حكم وراثى طويل.

ومع التسليم بهذا القول فقد كانت هناك حركات عربية تمثلت فى ثورات القبائل العربية فى الولايات ضد الحكم العثمانى، وثورات دروز لبنان، وحركة الشيخ ظاهر العمر فى جنوب سوريا وهذا فى نظر بعض المؤرخين دليل على حيوية الشعوب العربية وعدم استسلامها لسلبيات الحكم العثمانى.

ومما تجب ملاحظته كذلك أن معظم العصبيات المحلية ظهرت فى العالم العربى خلال القرن الثامن عشر الميلادى وهو القرن الذى شهد إنهيار التوازن الذى حرص على وجوده السلطان سليمان القانونى فى تشريعات الحكم بين الوالى من ناحية والعصبيات المحلية وقادة الأوجاقات العثمانية من ناحية أخرى.

وقد ظهرت عصبيات محلية فى المشرق العربى تمثلت فى ثورة المعنيين بجبل لبنان، وآل العظم فى بلاد الشام والشيخ ظاهر العمر فى جنوب سوريا وحكم المماليك فى العراق.

كما ظهرت عصبيات محلية فى مصر ـ قلب المنطقة العربية ودرة الولايات العربية تحت الحكم العثمانى ـ تمثلت فى حركة على بك الكبير، ثم أسرة محمد على.

ولم تكن سياسة الدولة العثمانية حيال هذه العصبيات المحلية سوى تعبير عن الأفلاس الذى أصاب الحكم العثمانى، فكانت تلجأ إلى إرسال الحملات العسكرية للقضاء على ثورات القبائل العربية، وإذا فشلت فى ذلك لجأت إلى سياسة تغيير الباشوات أوتضطر إلى تثبيت الباشا لمدة طويلة وتقبل حكم أسرته وراثيا إذا أثبت أفراد هذه الأسرة طاعة وخضوعا وقدموا الأموال الكافية للسلطان العثمانى ورجال دولته.

كما أن الشعوب العربية لم تعضد هذه العصبيات المحلية نظرا لأن هذه الشعوب لم تجد فارقا كبيرا بين زعماء هذه العصبيات وبين الحكم العثمانى المباشر، ولذلك نجد أهالى الولايات العربية كانوا يطلبون من السلاطين العثمانيين ـ عندما تفسد الأمور فى بلادهم فى ظل هذه العصبيات ـ عزل أصحاب هذه العصبيات.

أ ـ العصبيات المحلية فى المشرق العربى:

شهد المشرق العربى فى ظل الحكم العثمانى ظهور عصبيات محلية متعددة فى جبل لبنان وبلاد الشام والعراق وجنوب سوريا ونحن لسنا فى مجال ذكر هذه العصبيات فى تلك الأقطار العربية تفصيلا، بل نوردها لتدلل على سلبيات الحكم العثمانى ومساوىء التنظيمات العثمانية فى المشرق العربى.

١ ـ المعنيون والشهابيون فى جبل لبنان ١٥١٦ ـ ١٨٦٤م.
٢ ـ آلالعظم فى الشام من ١٧٢٤ ـ ١٧٨٦م.
٣ ـ ظاهر العمر فى فلسطين من ١٧٣٣ ـ ١٧٧٥م.
٤ ـ أسرة حسن باشا ومماليك العراق من ١٧٠٤ ـ ١٨٣١م.

ب ـ العصبيات المحلية فى المغرب العربى:

شهدت منطقة المغرب العربى الكبير عصبيات محلية كان أبرزها الحسينيون فى تونس والقرمانليون فى ولاية طرابلس الغرب (ليبيا).

١ ـ الأسرة الحسينية فى تونس من ١٧٠٥ ـ ١٩٥٨م.

٢ ـ الأسرة القرمانلية فى طرابل الغرب من ١٧١١ ـ ١٨٣٥م.

جـ ـ العصبية المحلية فى مصر:

١ ـ حركة على بك الكبير من ١٧٦٣ ـ ١٧٧٣م.



الباب الثانى

عصر الاستقلال

- مقدمة
- الفصل الثالث: استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار البريطانى
- الفصل الرابع: استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار الفرنسى
- الفصل الخامس: استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار الإيطالى

تعرضت أقطار الوطن العربى فى القرن التاسع عشر لأطماع الدول الأوروبية بهدف استعمار هذه الأقطار لمصلحة الدول الاستعمارية، وقد تسابقت الدول الأوروبية لأقتطاع أجزاء من قارتى آسيا وأفريقيا العربية وغير العربية والسيطرة عليها واستغلال إمكاناتها الطبيعية والبشرية.

وقد حدثت حركة الأستعمار الأوروبى فى القرن التاسع عشر نتيجة توفر عوامل فى أوروبا وفى الدولة العثمانية وفى الأقطار العربية ذاتها، فقد كان لازدهار التصنيع فى أوربا أثره فى بحث الدول الأوروبية عن أماكن لجلب المواد الخام منها ولتسويق المصنوعات، فجاءت حركة الأستعمار لتحقيق مطالب الدول الصناعية الكبرى فى أوروبا.

كما كان لظهور عوامل الضعف التى ألمت بالدولة العثمانية منذ القرن الثامن عشر نتيجة لإفلاس نظام الحكم العثمانى وضعف القوة العثمانية وتخلف نواحى البناء العثمانى السياسى والأقتصادى والثقافى فى مواجهة الحضارة الأوروبية المزدهرة.. كان لكل ذلك أثره فى إغراء الدول الإستعمارية لاقتطاع الأقطار العربية الخاضعة للحكم العثمانى تحت مقولة أن الدولة العثمانية صارت فى القرن التاسع عشر رجل أوروبا المريض.

كما كان للضعف الذى ألمّ بالأقطار العربية سواء تلك التى خضعت للحكم العثمانى أوتلك التى لم تخضع منذ القرن التاسع عشر أثره فى إغراء الدول الأوروبية لاستعمار تلك الأقطار التى لم تكن لديها القوة المادية لمقاومة الأستعمار وإفشال خططه.

وعلى هذا تحققت السيطرة الاستعمارية البريطانية على مصر والسودان والصومال الشمالى والعراق وأقطار الخليج والجنوب العربى، كما تحققت تلك السيطرة على كل من فلسطين وشرق الأردن.

كما فرضت فرنسا سيطرتها الاستعمارية على كل من الجزائر وتونس ومراكش وموريتانيا وجيبوتى وسوريا ولبنان خلال مائة عام تقريبا من عام ١٨٣٠م إلى عام ١٩٢٠م. وأما إيطاليا فقد فرضت سيطرتها الاستعمارية على كل من أريتريا والصومال الجنوبى وولاية طرابلس الغرب (ليبيا).

وفى هذا الباب نعالج جذور السيطرة الاستعمارية الأوروبية على الأقطار العربية، وكيفية مقاومة الشعوب العربية ضد السيطرة الإستعمارية حتى تحقق الإستقلال لهذه الشعوب وظهور دول عربية مستقلة ذات سيادة لها مكانتها الدولية.



■ الفصل الثالث ■

استقلال الأقطار العربية عن الأستعمار البريطانى

ــ مقدمــة

ــ أولا : مصر والسودان .

ــ ثانيا : العراق .

ــ ثالثا : أقطار الخليج والجنوب العربى .

ــ رابعا : الأردن .

■ مقدمـــة ■

كانت بريطانيا أول دولة أوروبية يتحقق فيها الازدهار الصناعى نتيجة نجاح الثورة الصناعية فيها منذ القرن الثامن عشر حتى عرفت بريطانيا بأنها مصنع العالم، ومن ثم كانت أولى الدول التى اتجهت لتكوين مستعمرات لها فيما وراء البحار من أجل ضمان الحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة لتشغيل مصانعها، وفتح أسواق للمصنوعات البريطانية.

وهكذا ركزت السياسة الاستعمارية على الأقطار التى تحقق ضمان المواد الخام والأسواق للمصنوعات البريطانية، فكان الاستعمار البريطانى لكل من مصر والسودان والصومال الشمالى والعراق وأقطار الخليج والجنوب العربى وكلها ترتبط بالمصالح الإستعمارية البريطانية فى الهند وشرق أفريقيا، هذا إلى جانب فلسطين والأردن.

ومن الثابت أن هذه الأقطار العربية حصلت على استقلالها بعد كفاح طويل ضد الاستعمار البريطانى حتى تحققت لها السيادة الكاملة على أرضها وتمتلك إرادتها السياسية وإمكاناتها الأقتصادية التى مكّنت لها مكانة دولية.

وفى الصفحات التالية عرض لجذور الإستعمار البريطانى فى الوطن العربى وكفاح شعوب الأقطار العربية التى خضعت لهذا الأستعمار حتى تم الاستقلال الكامل لهذه الأقطار.

أولا : مصر والسودان

فترة الاستعمار:

كانت انجلترا أسبق الدول الأوروبية اهتماما بالمنطقة العربية وبالتالى فرض السيطرة الاستعمارية على أجزاء كثيرة فى الوطن العربى. ففى مصر تم تعيين أول قنصل لانجلترا عام ١٦٩٧م بالقاهرة ووكيلاً له بالاسكندرية، وحصل الانجليز على امتيازات من السلطان العثمانى فى مصر، ومن ثم دخل الانجليز فى منافسة مع الفرنسيين فى مصر.وفى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر ازداد اهتمام انجلترا بمصر لا على أنها سوق تجارية ولكن لعاملين جديدين الأول ضعف الدولة العثمانية وهزائمها المتكررة فى البلقان وظهور الأطماع الفرنسية فى مصر بما يوحى بقرب غزو فرنسى لمصر، والعامل الثانى هو ظهور أهمية مصر كحلقة فى طريق المواصلات البرية والبحرية بين أوروبا والهند، فقد انتزعت انجلترا من فرنسا أكبر مستعمراتها فى الهند فى صلح باريس عام ١٧٦٣م، واتجه الاهتمام إلى تيسير المواصلات بين انجلترا وامبراطوريتها الهندية، ومن هنا انبعث التفكير إلى إحياء الطرق البرية القديمة وأهمها البحر الأحمر ومصر، وطريق الخليج والفرات(١).

وقد حاول الانجليز إحياء طريق التجارة عبر البحر الأحمر ومصر، وقاموا بمحاولات متعددة لذلك بعضها مع الباب العالى وبعضها مع أمراء المماليك، وبصفة خاصة على بك الكبير الذى كان قد استولى على الحجاز فرحب بالفكرة لأنها ستدر عليه دخلا كبيرا بوصول السفن التجارية الهندية إلى السويس ثم تمر عبر الاراضى المصرية إلى الإسكندرية حيث تحملها السفن إلى انجلترا.. وهذا المرور سوف ينعش مصر بعد أن تحولت التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح منذ أوائل القرن السادس عشر.

وهكذا تحكم فى السياسة الانجليزية نحو مصر والبحر الأحمر ما عرف بالعامل الهندى Indian Factor الذى استخدم الطريق البرى عبر مصر إلى الهند، وقد كان ذلك سبباً يدفع السياسة الخارجية الانجليزية إلى تقدير أهمية مصر من الناحية الجغرافية وتقدير أهمية موقعها بالنسبة

---

(١) د. عزت عبد الكريم وآخرون: دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة، ص ٢٢١.

للامبراطورية البريطانية فى الهند (٢). ولكن اضطراب الأحوال فى مصر فى عهد سيطرة الأميرين إبراهيم بك ومراد بك على الأمور دفع الانجليز إلى التخلى مؤقتا عن الاهتمام بمصر وبالطريق البرى عبرها.

ولكن حدوث الغزو الفرنسى لمصر عام ١٧٩٨ إلى عام ١٨٠١م قد نبه انجلترا إلى ضرورة الاهتمام بمصر، كلنا يذكر موقف انجلترا من هذا الغزو ومشاركتها فى إجلاء الفرنسيين عن مصر بالقوة عام ١٨٠١م، ثم محاولتها أن يكون لها النفوذ الأعلى فى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر لدرجة تحتضن فيها فريقا من الأمراء والمماليك على رأسهم محمد بك الألفى ليكونوا رجالها وعملاءها فى مصر. وقد حاول الانجليز مع السلطان العثمانى أن يعهد بالحكم فى مصر لمحمد بك الألفى، ولكن دون جدوى حتى توفى الألفى فى يناير ١٨٠٧م، ثم محاولة انجلترا احتلال مصر فيما عرف بحملة فريزر عام ١٨٠٧م أيضا التى فشلت وانسحبت تحت ضغط المقاومة الشعبية المصرية، ولكنها لم تقف مكتوفة اليدين أووقفت موقف المتفرج للبناء الحديث الذى يشيده محمد على معتمدا على الخبرة الفرنسية فى المقام الأول، إذا أنها أخذت ترقب الموقف إلى أن تتهيأ لها الفرصة لتضرب ضربتها.

ورغم أن محمد على شجع انجلترا على إعادة فتح الطريق عبر مصر والبحر الأحمر إلى الهند، فإن ابراهيم باشا عارض مشروعا انجليزيا عام ١٨٣٦م باستخدام السفن الانجليزية فى نهر الفرات لأن ذلك سوف يحد من امتداد الحكم المصرى إلى العراق، وكان ذلك من عوامل سوء العلاقة بين انجلترا ومحمد على، كما زاد العلاقة سوءا اتصال ابراهيم باشا بأمراء المشيخات العربية فى الخليج والجنوب العربى وحثه إياهم على توثيق العلاقات السياسية والحربية والاقتصادية مع مصر. ومن ثم توترت العلاقات بين الطرفين حتى أنذرت الحكومة الانجليزية بأنها لن تقف مكتوفة اليدين إزاء زحف من جانب محمد على تجاه بغداد والخليج. وأن أى اعتداء على عدن

---

(٢) Dr. M. Anis: England and the Suez-Route in 18th Century, p 16.

التى احتلتها انجلترا عام ١٨٣٩م ، يعد اعتداء على جزء من الأملاك البريطانية (٣).

واستمرت محاولات انجلترا من أجل فرض النفوذ فى مصر، ولم تكن هذه المحاولات تستقيم مع مشروعات محمد على الداخلية والخارجية ، ولذلك اتخذت انجلترا موقف المعارض لفكرة محمد على باعلان الاستقلال بمصر والانفصال عن الدولة العثمانية وأنها ترى من المستحيل تنفيذ هذه الفكرة وترى من نتائجها المحققة الدمار للباشا(٤) وقد استطاعت انجلترا أن تستغل رغبة محمد على فى تحسين علاقته معها فى توسيع تجارتها مع مصر، ذلك أن المصانع الانجليزية اعتمدت على القطن المصرى منذ عام ١٨٢١م . وقد أصبحت تجارة مصر مع انجلترا منذ عام ١٨٣٠م تفوق تجارتها مع أى بلاد أخرى ، حتى أنه فى سنة ١٨٤٩م ، التى توفى فيها محمد على بلغ ما استوردته مصر من بريطانيا ٤١ ٪ من وارداتها ، وما أرسلته إليها ٤٩ ٪ من صادرتها(٥) .

ورغم ذلك وقفت انجلترا موقفا عدائيا ضد مصر فى معركة نوارين البحرية ، وفى حروب الشام إلى جانب السلطان العثمانى ، وعملت على تأليب الدول الأوروبية ضد مشروعات محمد على حتى انتهى الأمر بفرض معاهدة لندن عام ١٨٤٠م على محمد على والتى أفقدته جهوده ومشروعاته العربية بل والداخلية بتخليه عن بلاد الشام والحجاز وكريت ، وبقتل التجربة الصناعية المصرية الحديثة والنهضة التعليمية العسكرية .

استطاعت انجلترا فى عهد عباس باشا أن تحصل على امتياز مد خط حديدى بين القاهرة وكل من الاسكندرية والسويس ، رغم كراهية الباشا للنفوذ الأوروبى ، وواضح من هذا الأمتياز المواقع التى تهتم بها انجلترا فى مصر لتشجيع تجارتها وتسويق صناعتها . ولكنها فقدت هذا النفوذ فى عهد محمد سعيد باشا ، ولكنها استطاعت إغراق الباشا فى الديون حتى تحكم

---

(٣) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ١٢٢ .

(٤) محمد رفعت : تاريخ مصر السياسى فى الأزمة الحديثة ص ١٢١ .

(٥) جورج كيرك : نفس المرجع ص ١٢٣ .

السيطرة على مصر كما استغلت حاجة الخديوى إسماعيل إلى الأموال لتحقيق مشروعات طموحة فى مصر فزادت من إقراضه حتى جاء الوقت لتتحكم اللجان المالية الانجليزية والفرنسية خاصة فى شئون الحكم، وذلك التحكيم الذى أفضى فى النهاية إلى حدوث الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢م.

حدث الاحتلال الانجليزى لمصر بدعوى إنقاذ مصر من الفوضى التى ضربت أطنابها فى طول البلاد وعرضها، وإعادة حياة الأستقرار والاطمئنان، وإدخال أساليب المدنية الحديثة إلى مصر ذات الحضارة القديمة، وحماية الأقليات والجاليات الأجنبية فى مصر والمحافظة على مصالحهم ثم وهو الأهم حماية المصالح الانجليزية الخاصة السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، هذه المصالح الناشئة من وقوع مصر فى ملتقى الطرق العالمية البرية والبحرية، ثم المحافظة على قناة السويس ومصالح البريطانيين التجارية والمالية (٦).

وسياسة الاحتلال البريطانى فى مصر قامت على قاعدتين متناقضتين فى الظاهر القاعدة الأولى أن الاحتلال موقت وسوف تجلو القوات البريطانية فى أقرب وقت تتهيأ الفرص لاستقرار الأمور فى مصر، والقاعدة الثانية إحكام السيطرة على كل الأمور فى مصر. ففيما يتعلق بالقاعدة الأولى لم تقم انجلترا بالحاق مصر إليها أوفرض حمايتها عليها، ولم تقم بتغيير وضع مصر الدولى والشرعى حتى عام ١٩١٤م بسبب التناقضات بين الدول الاستعمارية، وبقاء مصر جزءا من الامبراطورية العثمانية، وبقى الخديوى يترأس هيئات السلطة الرسمية فى مصر.

وفيما يتعلق بالقاعدة الثانية ألغت انجلترا المراقبة الثنائية على شئون مصر المالية ولم تشأ السماح بوجود مراقبين ماليين فرنسيين بعد أن أصبحت سيطرة الانجليز على البلاد كاملة، وحولت مصر إلى قاعدة لتزويد الصناعة البريطانية بالقطن، وزاد عدد الموظفين الانجليز وزاد نفوذهم فى مصر لدرجة التعالى وممارسة الضغط بصورة وصفها اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر فى تقريره سنة ١٩٠٣م بقوله: يحسن بكل بريطانى موظف فى

---

(٦) د. محمد مصطفى صفوت: الإحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى إزاءه ص ٣١٥.

الحكومة المصرية أن يعرف الظروف الخاصة التى يعمل بها فى هذه البلاد، وهذه الظروف ينتج عنها بالضرورة أن يكون الأوروبى متقدما والمصرى تابعا له حتى ولو كان الأوروبى دون منصب المصرى إسما، وأن القيادة للموظف الأوروبى بالضرورة(٧).

وكانت سيطرة لورد كرومر (سير إيفلن بارنج) على مقدرات الأمور فى مصر شديدة فقد حرم المصريين من كل سلطة واتخذ مواقف متشددة من الحركة الوطنية المصرية، ورسم سياسة إجلاء المصريين من السودان وإحلال السيطرة الانجليزية محلها، ولعل معنى تقديمه تقارير سنوية دورية عن الحالة فى مصر والسودان لوزير الخارجية الانجليزى ـ لا للسلطان العثمانى أو الخديوى ـ خير دليل على مدى سيطرة سلطات الاحتلال الإنجليزى على مقدرات الأمور فى مصر لمصلحة الدولة التى تحتل قواتها أرض مصر.

وفى مصر عملت انجلترا على فصل السودان عن مصر منتهزة فرصة الثورة المهدية عام ١٨٨١م وقد فرضت مصر سياسة إخلاء السودان عام ١٨٨٤م من المصريين عسكريين ومدنيين، ثم فرضت استرجاع السودان عام ١٨٩٦م بقوات مصرية انجليزية مشتركة، انتهت بعقد ما عرف باتفاق الحكم الثنائى عام ١٨٩٩م الذى جعل السودان تحت السيطرة الكاملة للانجليز.

وقد نصت الاتفاقية على تعيين حاكم عام للسودان تختاره انجلترا ويصدر قرار تعيينه من الخديوى، وتوضع فى يد هذا الحاكم جميع السلطات المدنية والعسكرية والتشريعية والتنفيذية. ووضع موظفون انجليز على رأس جميع مديريات السودان، وشغل عدد من الموظفين المصريين وظائف ثانوية واحتفظت مصر بكتيبة عسكرية فى السودان إلى جانب القوات الانجليزية كرمز للمشاركة فى الحكم نظير أن تدفع مصر ٧٥٠ ألف جنيه سنويا لسد

---

(٧) تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩٠٣ رفعه الإيرل كرومر قنصل جنرال دولة انكلترا ووكيلها السياسى فى مصر إلى جانب المركيز لنسدون ناظر خارجيتها.

نفقات إدارة السودان .. وظلت السيطرة الانجليزية على السودان حتى حصل على استقلاله بضغط وجهد من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بمصر..

وقد استمرت الدعاوى الانجليزية بأن الاحتلال موقت حتى شبت الحرب العالمية الأولى فانتهزت انجلترا فرصة اشتراك تركيا إلى جانب ألمانيا فى الحرب ضد الحلفاء وأعلنت الحماية البريطانية على مصر وفصلت مصر عن تركيا أى إلغاء السيادة التركية على مصر وعزلت الخديوى عباس حلمى الذى كان موجودا فى تركيا والمعين بفرمان سلطانى منذ عام ١٨٩٢م وعينت مكانه عام ١٩١٤م السلطان حسين كامل حتى عام ١٩١٧م ثم السلطان أحمد فؤاد، وكلا الأثنين كانا ألعوبة فى يد السلطات الانجليزية صاحبة الفضل فى تعيينهما..

وعندما انتهت معارك الحرب العالمية الأولى وشبت ثورة ١٩١٩م فى مصر بسبب تعنت سلطات الاحتلال الانجليزى فى رفض مندوبين عن الشعب المصرى للمطالبة بالغاء الحماية الانجليزية وخروج قوات الاحتلال واستقلال مصر والسودان كدولة واحدة، لجأت إلى المراوغة حتى صدر ما عرف بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م الذى ألغى الحماية واعترف باستقلال مصر دون السودان مع عدة تحفظات تنتقص من الأستقلال..

فترة الاستقلال

تحققت السيطرة البريطانية ــ كما أشرنا ــ فى بعض الأقطار العربية مثل مصر والسودان والعراق والأردن والصومال وعدن، ومن هنا ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى بصفة أساسية حركات وطنية فى هذه الأقطار عملت بالكفاح على إنهاء السيطرة الاستعمارية البريطانية، وبذلك ظهرت فى النهاية هذه الأقطار ذات سيادة ومستقلة لتؤكد إرادة المواطنين العرب وتصميمهم على نيل حقوقهم.

أولا ــ مصر والسودان:

لا يمكن معالجة تاريخ السودان بعيدا عن كفاح مصر فكما ربط نهر النيل بين القطرين طبيعيا وارتبط السكان فى شمال وادى النيل مع

السكان فى جنوب الوادى بروابط اجتماعية قوية ، فإن القطرين تعرضا طوال تاريخهما الحديث والمعاصر لعوامل واحدة سواء على المستوى الداخلى أوعلى المستوى الخارجى.

فإذا أخذنا الثورة العرابية فى مصر كمثل على مقاومة الشعب المصرى ضد التدخل الأجنبى الأوروبى، فإن الثورة المهدية فى السودان كانت تعبيرا عن رفض السودانيين لمساوىء الحكم وأدواته الأجنبية الأوروبية ، أى أن الشعبين المصرى والسودانى تعرضا لعوامل التدخل الأوروبى بما يحقق مصالح المستعمرين ويحرم المواطنين من حقوقهم المشروعة ..

ولذلك لا نعجب أن يتطلع أهل شمال الوادى فى مصر إلى زعيم ينقذهم مما هم فيه فوجدوه فى صورة زعيم عسكرى هو أحمد عرابى و يتطلع أهل جنوب الوادى فى السودان إلى زعيم يخلصهم من المساوىء التى يتعرضون لها فوجدوه فى صورة زعيم دينى هو محمد أحمد بن عبدالله المهدى.

(أ) مصــر:

أعقب الثورة العرابية فى مصر حدوث الاحتلال البريطانى، ولكن المصريين لم يستسلموا وبقيت الجذوة الوطنية موجودة فى نفس كل مصرى ليحملها من جاء بعد أحمد عرابى من قادة، وأدرك الشعب المصرى أن فى مقدرته الأستمرار فى تبنى المطالب الوطنية التى سبق ونادى بها أحمد عرابى.

وليس أدل على صدق ما نقول من كلمات عبد الله النديم فى مذكراته التى سجلها بعد عشر سنوات من بدء الاحتلال البريطانى موجها حديثه لأحمد عرابى المنفى فى سيلان (٨)، وأدرس أحوال مصر فى المدرسة التى أسستها وأحفظ تاريخ الأمة التى أسستها، فما كان فيه كانَ مدرسة ابتدائية، ونحن الآن فى التجهيزية، وسندخل إن شاء الله المدرسة العليا .... الخ.

---

(٨) بلغت مدة النفى التى قضاها أحمد عرابى فى سيلان ١٩ سنة انتهت عام ١٩٠١م.

وقد صدقت نبوءة عبد الله النديم، فقد تولى مصطفى كامل زعامة الحركة الوطنية المصرية فى التسعينات من القرن التاسع عشر حتى وفاته فى فبراير عام ١٩٠٨م، بعد أن نجحت سلطات الاحتلال البريطانى فى السيطرة على مقدرات الأمور فى مصر بصورة أشاعت روح اليأس فى نفوس المواطنين حتى كادوا لا يرون فكاكاً من هذه السيطرة، إلى أن جاءت خطب ومقالات مصطفى كامل الموجهة إلى عواطف ومشاعر المصريين لتجد الشعور الوطنى فى مصر.

وكانت سياسة مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد تهدف إلى تحقيق ثلاث غايات هى:

١ ــ كراهية الاحتلال البريطانى ورفض احتماله والسكوت عليه واعتباره بلاء وكارثة وعارا.

٢ ــ إقناع المصريين بأن إجلاء الاحتلال البريطانى عن مصر ممكن ومن هنا جاءت صيحة مصطفى كامل: لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة.

٣ ــ أن مصر عظيمة وجليلة ورائعة وجديرة بكل حب وولاء ووفاء(٩).

ورغم نجاح الاحتلال البريطانى بعد وفاة مصطفى كامل فى التضييق على الحركة الوطنية المصرية مما أدى إلى نفى محمد فريد إلى أوروبا عام ١٩١٢م إلى أن توفى ببرلين فى ١٥ نوفمبر عام ١٩١٩م، وإعلان الحماية البريطانية رسميا وعلنا فى ١٨ ديسمبر عام ١٩١٤م بحجة وجود حالة الحرب الناتجة عن دخول تركيا الحرب ضد دول الوفاق وإلى جانب ألمانيا والنمسا، وبذلك تحولت الحماية المقنعة القائمة منذ الاحتلال البريطانى لمصر إلى حماية معلنة (١٠).

رغم ذلك فقد تحمل الشعب المصرى تحت نظام الحماية الكثير من الويلات مما دفعه إلى رد الفعل على الاجراءات البريطانية، فقامت مظاهرات طلابية وحدثت محاولات متكررة لاغتيال السلطان حسين كامل،

---

(٩) فتحى رضوان: مصطفى كامل ص ٣٩٠.

(١٠) Chirol, V.: The Egyptian Problem. p. 296.

وحدوث مظاهرة الرديف أمام قصر عابدين فى ٢٩ يناير عام ١٩١٦م، واعتذار الأمير كمال الدين حسين عن قبول العرش الذى خلا بوفاة والده فى ٩ أكتوبر عام ١٩١٧م، مما حدا بالسلطات البريطانية إلى اختيار أحمد فؤاد سلطاناً على مصر يوم ١٠ أكتوبر فى ظل الحماية البريطانية.

وإذ كان التحدى هو إعلان الحماية البريطانية على مصر والاجراءات التى اتخذتها سلطات الاحتلال البريطانى فقد استجاب الشعب المصرى بردود فعل قوية أشرنا إليها كانت قمتها إنفجار فى ثورة عارمة ضد كل ما هو بريطانى على أرض مصر فى مارس وأبريل عام ١٩١٩م، ثم استمرت حتى ديسمبر من نفس العام وشملت كل مدن مصر وقراها كانت مفاجأة مذهلة للبريطانيين لأن المصريين ظلوا طوال سنوات الحرب العالمية الأولى مسالمين وساعدوا البريطانيين حتى أحرزوا النصر (١١).

وجاءت استجابة الاحتلال البريطانى للموقف المصرى فى عام ١٩١٩ صدور ما عرف باسم تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م الذى كانت أهم إيجابياته:

١ ـ إلغاء الحماية البريطانية على مصر.

٢ ـ الاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة.

٣ ـ إعادة وزارة الخارجية.

٤ ـ إنشاء برلمان.

٥ ـ تأييد حكومة دستورية.

٦ ـ إلغاء الأحكام العسكرية (١٢).

ومع هذه الإيجابيات لتصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢م فقد كانت هناك ما عرف بإسم التحفظات الأربعة والتى تمثلت فى:

(أ) ضمان مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر.

(ب) الدفاع عن مصر ضد كل أنواع العدوان أوالتدخل مباشرا أوغير مباشر.

(جـ) حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات.

(د) السودان.

---

(١١) Op. Cit., p. 297.

(١٢) د. عبدالعظيم رمضان: الجيش المصرى فى السياسة ص ١٤٧.

وكان معنى هذه التحفظات الأربعة الحقيقي أنه لن يكون هناك استقلال بالمعنى الصحيح سواء فى الشئون الداخلية أوالخارجية، و كانت هذه التحفظات موضع مفاوضات متوالية ومضنية خلال الثلاثين عاما التالية. وإن كان التحفظ الثالث قد تم إلغاؤه بعد معاهدة ١٩٣٦م وعقد مؤتمر منترو بسويسرا عام ١٩٣٧م أى أن هذه التحفظات كانت التحدى الذى واجه الحركة الوطنية المصرية(١٣).

أستمر التحدى بين الحركة الوطنية المصرية والسلطات البريطانية بعد إصدار دستور عام ١٩٦٣ وتشكيل أول وزارة دستورية هى وزارة سعد زغلول فى أول عام ١٩٢٤م بعد أن فاز حزبه ـ حزب الوفد ـ فى الانتخاب، ثم جاءت حادثة مصرع السردار السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى الحاكم وحاكم عام السودان فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٢٤م لتجهض أول وزارة دستورية فيستقيل سعد زغلول لتظل مصر تحكم بواسطة وزارات لا تحصل على الأغلبية البرلمانية حتى عقدت معاهدة عام ١٩٣٦م.

ورغم أن معاهدة عام ١٩٣٦م بين مصر وبريطانيا أكدت المطالب المصرية بالتخلص من سيطرة وتدخل الموظفين البريطانيين فى شئون الجيش والبوليس المصرى ومن إدارة الأمن العام، وأن مسئولية حماية أرواح وممتلكات الأجانب تقع على عاتق الحكومة المصرية وحدها دون سواها، وأكدت أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة وأصبح المندوب السامى البريطانى فى مصر سفيرا، فإن بقاء قوات الاحتلال البريطانى فى مصر واستمرار بقاء السودان خاضعا لاتفاقية الحكم الثنائى كان التحدى الذى أوجب على الحركة الوطنية المصرية أن تواجهه.

وقد ناضلت الحركة الوطنية المصرية من أجل جلاء الاحتلال البريطانى عن أرض مصر وشهدت هيئة الأمم المتحدة نضالا وطنيا سياسيا، كما شهدت هئية الأمم المتحدة نضالا وطنيا سياسيا، كما شهدت منطقة السويس والمدن المصرية بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية ومن عام ١٩٤٥م مظاهرات تهتف بالجلاء الكامل عن مصر والسودان، كما شارك

---

(١٣) Holt, p M.: Egypt and the Fertile. Crescent, p. 298.

الشباب فى عمليات فدائية ضد معسكرات البريطانيين فى منطقة قناة السويس من عام ١٩٥١م وحتى عقدت معاهدة بين مصر وبريطانيا فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م نصت على جلاء القوات البريطانية جلاء تاماً عن مصر خلال فترة عشرين شهراً، وتحتفل مصر فى ١٨ يونيو من كل عام بذكرى جلاء القوات البريطانية الذى حدث فى ١٨ يونيو عام ١٩٥٦.

(ب) السودان:

فرضت على شطرى وادى النيل مصر والسودان ما عرف بإتفاقية الحكم الثنائى التى قلبت إسم السودان إلى السودان المصرى البريطانى، بخضوعه لنظام فى الحكم ليس له سوابق فى تاريخ الفكر السياسى، وقد ظل السودان خاضعا لهذا النظام منذ عام ١٨٩٩م كان للبريطانيين السلطة العليا فى تدبير أمور ذلك القطر حيث تولى الحاكم العام البريطانى دائما السيطرة المطلقة دون مصر.

ورغم محاولات البريطانيين فى كبت الحركة الوطنية السودانية بالعنف، ورغم نجاحهم فى خلق طبقة المشايخ والنظار والأعيان على ولاء تام للسلطات البريطانية وكانت من أهم أسلحة بريطانيا للقضاء على الحركة الوطنية، فإن هذه الحركة أشتدت فيا بين عامى ١٩١٩و١٩٢٤م (١٤)، متأثرة بأحداث مصر بدءا بثورة عام ١٩١٩م.

وكان تطبيق إتفاقية الحكم الثنائى فى السودان هو التحدى الذى إستجاب له السودانيون بحركات ثورية فردية وجماعية من أمثلتها حركات أنصار المهدية عام ١٨٩٩، وحركة على عبدالكريم بأم درمان أول عام ١٩٠٠ وكان من أنصار المهدية، وحركة الشريف محمد الأمين البرناوى الذى أعلن نفسه مهديا بجبال تقلى بشرق كردفان فى أبريل عام ١٩٠٣م، وحركة «محمد ود آدم» عام ١٩٠٤م الذى أدعى أنه النبى عيسى، وثورة «تالودى» عام ١٩٠٦م التى تقع فى جبال النوبا جنوب كردفان بزعامة «أحمد المدير» وحركة «موسى أحمد» من قبيلة «بورنو» عام ١٩٠٦م

---

(١٤) د. يونان لبيب: السودان فى عهد الحكم الثنائى الأول ١٨٩٩ـــ١٩٢٤م ص١٧٦.

أيضا ، وثورة «عبد القادر محمد إمام ود حبوبة» من قبيلة الحلاوين ومن أكثر أنصار المهدى قوة فى ثورته ، وذلك عام ١٩٠٨م ، وحركات أخرى كانت فى أغلبها ذات صبغة دينية مثل حركة «محمد الراضى» ، وحركة «الشريف مختار الهاشمى» عام ١٩١٠م ، ثم كانت ثورة «على دينار» فى دارفور أحد رجال المهدية البارزين فى عام ١٩١٥م حتى قتل عام ١٩١٦م .

وكانت الحركة الوطنية السودانية الجماعية متأثرة بمثيلتها فى مصر، حيث ظهر تعبير وحدة وادى النيل فى الشارع السودانى كما هو فى الشارع المصرى بمفهوم جديد لا يعيد السودان إلى ما كان عليه حاله قبل الثورة المهدية بمعنى استقلال كل من مصر والسودان عن السيطرة البريطانية ومن ثم تحقيق وحدة بين شطرى وادى النيل المستقلين تربطهما علاقات قديمة وحديثة معاً قوامها الجنس والدين واللغة والتاريخ المشترك والترابط الاجتماعى .

وقد شاركت الوحدات العسكرية السودانية فى الثورة على السيطرة البريطانية ، وقد اتهمت السلطات البريطانية الضباط والجنود المصريين العاملين فى السودان بأنهم وراء ثورات الضباط والجنود السودانيين ، من أمثلة هذه الثورات عصيان الأورطة الرابعة عشرة السودانية المعسكرة فى أم درمان ورفضها الرضوخ لأوامر الكولونيل «ماكسويل» قائد القوات المعسكرة فى الخرطوم ، وذلك فى يناير عام ١٩٠٠م وما بعده (١٥) .

كما كانت لأحداث ثورة عام ١٩١٩م فى مصر تأثيراتها على الحركة الوطنية السودانية فشهدت مدن السودان المظاهرات التى طالبت بالاستقلال التام لمصر والسودان ، وشارك فيها الضباط المصريون ، ورجال السكك الحديدية وموظفو البريد والبرق وغيرهم ، إلى جانب الضباط والمثقفين والطلاب السودانيين .

ثم أخذت الجمعيات السرية السودانية دورها فى الحركة الوطنية للإستجابة للتحدى ضد السيطرة البريطانية الغاشمة ، من أمثلة هذه

---

(١٥) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٤٤٢ .

الجمعيات « جمعية الأتحاد السوداني » التى ظهرت للوجود عام ١٩٢١م وتشكلت من أعضاء ينتسبون إلى كلية غوردون وخريجى المدارس وبعض الشباب العاملين فى مجالات الأعمال الحرة الذين كانوا يجتمعون فى نادى الخريجين أى خريجى كلية غوردون بأم درمان ، وكان شعار الجمعية « السودان للسودانيين والمصريين أولى بالمعروف » (١٦) .

وتعددت الجمعيات السرية الوطنية فى السودان مثل جمعية الأعمال المسلحة ، وجمعية العلماء ، واليد السوداء ، واليد البيضاء ، وجمعية العمل على خلاص البلاد ، وجمعية الدفاع عن الدين فى السودان ، وكل هذه الجمعيات استخدمت سلاح المنشورات والخطب والمقالات الصحفية والمظاهرات وكلها تهاجم السيطرة البريطانية وتدعو للتعاون مع الحركة الوطنية المصرية ضد العدو المشترك .

وكانت أشهر الحركات الوطنية السودانية جمية اللواء الأبيض برئاسة الضابط السودانى على عبداللطيف ، وجمعية الأتحاد القبلى عام ١٩٢١م . وجمعية الدفاع عن السودان ، وجمعية إتحاد السودان ، وكانت هذه الجمعيات وعلى رأسها اللواء الأبيض تسعى إلى إنهاء السيطرة البريطانية وتحقيق وحدة وادى النيل مع مصر وكان لهذه الجمعية أنصار بين كل فئات الشعب السودانى والشعب المصرى (١٧) .

كما ظهرت جمعيات وطنية سودانية مصاحبة لجمعية اللواء الأبيض ومتعاونة معها ومتفقة وإياها فى برامجها ، مثل جمية قبيلة الجعليين التى تمثل إتحاداً قبلياً ، وجمعية العمال التى تضم الحرفيين ، وجمعية وحدة السودان ، هذا إلى جانب الثورات الوطنية العارمة ضد البريطانيين خلال عام ١٩٢٤م وشارك فيها الوطنيون فى كل مدن السودان وكان أخطرها ثورة طلاب المدرسة الحربية بالخرطوم فى أغسطس من نفس العام .

ورغم أن السلطات البريطانية إنتهزت فرصة حادثة مصرع السردار السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان فى ١٩ نوفمبر عام

---

(١٦) نفس المرجع ص ٤٨٨ .

(١٧) ضرار صالح : تاريخ السودان الحديث ص ٢٤٦ .

١٩٢٤م وحاولت وأد الحركة الوطنية السودانية فقد إستجاب السودانيون لهذا التحدى بتنظيم صفوفهم من جديد من خلال ما عرف بإسم نادى الخريجين الذى لعب دورا بارزا فى الحركة الوطنية السودانية فى الثلاثينات والأربيعينات من القرن العشرين حتى تحقق للسودان إستقلاله. وقد اقتنع رئيس الوزراء المصرى على ماهر فى زيارته للسودان أواخر فبراير ١٩٤٠م بأن مؤتمر الخريجين يمثل المعارضة للإدارة البريطانية (١٨).

ثم ظهرت أحزاب وطنية تتطلع إلى مصر ابتداء من عام ١٩٤٢ مثل حزب الأشقاء الذى ضم قيادة مؤتمر الخريجين، وحزب الاتحاديين، وحزب الأحرار وحزب وحدة وادى النيل، فى مقابل حزب الأمة تحت رعاية عبدالرحمن المهدى المطالب باستقلال السودان عن مصر و بريطانيا، وظل هذا الوضع قائما حتى استطاعت الحكومة المصرية بعد ثورة ١٩٥٢م الحصول على حق تقرير المصير للسودانيين من بريطانيا بموجب إتفاقية ١٢ فبراير عام ١٩٥٣م، والتى أدت إلى إعلان إستقلال السودان نهائياً وإعتباره دولة مستقلة ذات سيادة فى أول يناير عام ١٩٥٦م.

وجدير بالذكر أن علاقة المهدية بانجلترا بدأت منذ كان بعض الموظفين الخديو يين الإنجليز يتولون وظائف الإدارة والحكم فى السودان منذ عهد الخديوى إسماعيل وقد كره السودانيون شطط هؤلاء الموظفين الإنجليز فى محاربة تجار الرقيق بشكل فيه قسوة وظلم صارخ، إلى جانب الروح الإستعمارية التى عمل بها هؤلاء الموظفون فى مديرياتهم: غوردون فى خط الاستواء ثم حكمدار للسودان بأكمله، لبتون فى بحر الغزال، ومن قبلهم صمو يل بيكر. وغيرهم الذين أساءوا إلى وجه الحكم المصرى عند السودانيين فكرهوا هؤلاء وكرهوا معهم الحكم المصرى وشملت الثورة دعوة لأنهاء الحكم المصرى فى السودان الذى أتى بأجانب ليسيئوا معاملة السودانيين.

وعندما احتلت انجلترا مصر عام ١٨٨٢م كانت ثورة المهدى مشتعلة فى السودان، فاتخذت الحكومة الأنجليزية قرارين ـ أصدرهما الخديوى بناء على

---

(١٨) المرجع السابق.

نصيحة انجلترا ــ يقضيان بحل الجيش المصرى (جيش العرابيين الثائر على الخديوى)، وبيع أسلحته أوتدميرها .وكان لهذين القرارين أثرهما الخطير على الموقف فى مصر والسودان فى الوقت الذى تحتاج فيه حكمدارية الخرطوم إلى قوات مسلحة لتقضى بها على الثورة المهدية. ولكن انجلترا التى سيطرت على مقدرات الأمور فى مصر والسودان كان لها راى آخر.

اكتفت سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر بمعرفة حقيقة مايدور فى السودان فأرسلت بعثة برئاسة الكولونيل «ستيوارت» منذ ديسمبر ١٨٨٢م، فى الوقت الذى كان فيه عبدالقادر باشا حلمى بالخرطوم، فأرسل إلى الخديوى تقريرا فى ٣٠ ديسمبر عن تصرفات ستيوارت جاء فيه: من اختبار أحوال المومى إليه ــ ستيوارت ــ تبين لنا أنه يريد إظهار سطوتهم بهذه الجهات، وبناء عليه قد نصحناه بالمحسوس بتعريفه أن الحركات الحاصلة هى تحركات دينية، وأن ذلك يفتح باباً للشقى ــ المهدى ــ لتأييد مايوهم به على العربان ويوجههم للثبات على تصديقه واتباعه(١٩). فكلف الخديوى ياوره أحمد حمدى بالتوجه إلى الخرطوم ومعه تعليمات للحكمدار «بالاتحاد مع الكولونيل استاورت ــ ستيوارت ــ فى الآراء النافعة وأن يجاريه فى طلباته ولا يحصل له منه مايتظاهر منه النفور أو التقصير(٢٠).

وفى الوقت الذى أظهرت فيه سلطات الاحتلال الانجليزية رغبتها فى عدم التدخل فى السودان سمحت لضباط انجلترا بالعمل فى السودان وكان جنرال هيكس أحد هؤلاء الضباط الذين استفاد المهديون من وجودهم على رأس القوات المصرية فى إثارة الروح الوطنية والدينية عند السودانيين، فى الوقت الذى انغمس فيه هيكس فى خلافات مع القادة المصريين فى السودان من أجل أن ينفرد بالقيادة والسيطرة، فكان مصيره كما رأينا فى موقعة شيكان فى نوفبر ١٨٨٣م فكان هذا الموقف الانجليزى مبعث الكارثة

---

(١٩) وثائق السودان/ ١ تلغرافات حكمدارية السودان.

(٢٠) وثائق السودان/ ١ مأمورية أحمد حمدى بك إلى السودان/ ١ بخصوص بعثة ستيوارت.

التى وقعت لجنرال هيكس، كما كان كذلك مبعث الكارثة الأدهى الأخرى بمقتل جنرال غوردون فى يناير عام ١٨٨٥م (٢١).

وكانت كارثة هيكس سببا فى أن الحكومة البريطانية تقرر سياسة إخلاء السودان وإرسال غوردون إلى السودان لتنفيذ هذه السياسة، وإجبار الحكومة المصرية على قبولها فى الوقت الذى كانت فيه الحكومة المصرية قد وصلت إلى قرار بالمحافظة على الخرطوم وإعادة فتح الطريق بين سواكن وبربر (٢٢). ولكن إختيار غوردون لم يكن إختياراً موفقاً ذلك أن «جراهام» الذى كان يلازم غوردون أثناء وجوده بالقاهرة أوضح أن غوردون أعتقد أن المهدى مجرد رمز وأنه ليس فى إستطاعته الهجوم طالما أن أتباعه لن يتقدموا بعد حدودهم القبلية وربما كان هذا أكبر عدم إدراك وتقدير للموقف الذى قاسى منه غوردون (٢٣).

وعندما كان غوردون فى الخرطوم و يتعرض لحصار من المهديين أرسل مدير دنقلة إلى المعية السنية ـ بلاط الخديوى ـ بأن المسموع عن الخرطوم أن العدو ـ المهديين ـ محاصرها وممنوع وصول المئونة إليها، وأن المتمهدى مؤكد على جيوشه المحاصرين بضبط غوردون باشا حيا لإجعاله أسير مقابلة أسر الانجليز إلى عرابى، وأبلغه أن غوردون باشا قال بأنه إن لم تحضر إليه إمدادية من دولة الانجليز يسلم و يسلم للمتمهدى، والمأمول أنه إذا حضرت قوة كافية فيكون متكفل بإنقاذهم بشرط أن يكون هو قايدهم» (٢٤)..

و بعد سقوط الخرطوم فى يد المهدى وظهور نوايا الدول الأوروبية وأطماعها فى اقطاع أجزاء من السودان وملحقاته اتخذت انجلترا سياسة متناقضة، فبينما كان الانجليز يحاولون رد عدوان بعض الدول الأوروبية التى تطمع فى اقتطاع أجزاء من جنوبى السودان زاعمة أن تلك الأصقاع لم تكن ملكا لأحد Res Nullius أو أرضا فضاء يستطيع أن يستحوذ عليها من

---

(٢١) Shibeika: British Policy in the Sudan. p. 79.

(٢٢) Cromer: Modern Egypt. p. 291.

(٢٣) Shibeika: Ibid. p. 168.

(٢٤) وثائق السودان ـ تلغرافات ومكاتبات تتعلق بثورة المهدى ٢/٢/٤.

يشاء (وكانت خاضعة للسيادة المصرية) كانوا فى الوقت نفسه يحاولون أن يتخذوا من حقوق مصر فى السيادة على السودان رغم إخلائه تكئة يستندون إليها فى عقد اتفاقيات مع بعض الدول الأخرى لتقسيم الممتلكات المصرية ذاتها فى السودان الشرقى وعلى طول الساحل الصومالى ([٢٥]).

وعندما تم استرجاع السودان بقوات مصرية إنجليزية مشتركة و بقيادة جنرال كتشنر الانجليزى أمر القائد بتدمير قبة المهدى فى أم درمان وتعقب المهديين ومصادرة أموالهم، وهو يقصد بذلك أن يثير نفوس السودانيين من المصريين، رغم أن الضباط المصريين استاءوا جدا لرفع العلم الانجليزى ــعلى سراى الحكومة بالخرطوم إلى جانب العلم المصرىــ واحتجوا على ذلك([٢٦]) ثم لم تلبث الحكومة البريطانية أن أبلغت الحكومة المصرية أن لانجلترا حق الأشتراك فى حكم السودان بما ضحت فيه من المال والرجال.

كان على المهدية ــبعد وفاة المهدى بصفة خاصةــ مواجهة الأطماع الاستعمارية فدارت المعارك بين الدراويش والأحباش والايطاليين وهى معارك غير حاسمة فى الوقت الذى ظهرت فيه أطماع ليوبولد ملك بلجيكا وصاحب دولة الكنغو فى بحر الغزال، وفرنسا فى أعالى النيل. وقد عبر الرئيس الفرنسى «كارنو» لوزير المستعمرات الفرنسى وذكر له: أننى سأكون مسرورا لأثارة المسألة المصرية، فالسودان المصرى إنما هو أرض خلاء، وأن فرنسا فى حاجة إلى منفذ على النيل لأملاكها فى «أوبانجى» وأطلعهم على تقرير حول التقدم نحو فاشودة التى تقرب من روافد السوباط والنيل، و بواسطة هذا الموقع فأن فى استطاعة فرنسا أن تعوق البلجيكيين، وفى نفس الوقت تخيف البريطانيين خارج مصر بالتهديد بقطع مياه النيل عن مصر ([٢٧]).

---

(٢٥) د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسيادة على السودان ص ٦١.

(٢٦) أحمد شفيق بك: مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ص ٢٨٨.

(٢٧) Langer: Diplomacy of Imperialism p. 129.

وفى فاشودة يحدث الصدام بين القوات الفرنسية التى سبقت واحتلت البلدة فى ١٠ يوليو ١٨٩٨م ورفعت العلم الفرنسى عليها، والقوات المصرية بقيادة كتشنر الانجليزى التى وصلت إلى البلدة فى ٢١ سبتمبر بعد استرجاع الخرطوم، لولا تراجع فرنسا فتأمر بسحب قواتها ــ خلافات بين الاستعمار لمصلحة استعمارية لامصلحة المصريين أو السودانيين ــ ووجه الأهمية فى حادث فاشودة أنه كان أحد مظاهر المنافسة الشديدة وقتئذ بين انجلترا وفرنسا على الاستعمار فى أفريقيا عموما وحوض النيل خصوصا على حساب حكومة المهديين، وهى كذلك مظهر للنزاع الفرنسى والانجليزى حول المسألة المصرية مسألة الاحتلال الانجليزى.

وحادث فاشودة كذلك أثار مسألة حقوق السيادة للفصل فيما إذا كان الخليفة عبدالله أقام دولة لها كل حقوق السيادة على الأراضى الداخلة فى نطاقها، وفيما إذا كانت نظرية الملك المباح هذه إنما تنطبق على كل السودان بما فى ذلك الأقاليم موضع النزاع فى حوض النيل الأعلى وبحر الغزال، أوفيما إذا كان لايمكن مطلقا اعتبار السودان ملكا مباحا لأن المهدية حركة ثورية اغتصبت السلطة من الحكومة الشرعية فى البلاد، وأن كل الأثر الذى ترتب عليه إخلاء المصريين للسودان أن حقوقهم فى السيادة عليه صارت معطلة فقط، وفيما إذا كانت مصر تمارس حقوقا فى السيادة على السودان بسبب استرجاعها لهذه البلاد نتيجة للعمليات العسكرية التى انتهت بالفتح الجديد.

ومنذ أنهت موقعة أم درمان حكومة الخليفه عبد الله التعايشى استأثر السودان باهتمام الانجليز كمجال لاستعمارهم، وذلك بتنظيم حكم هذا الأقليم بصورة تتيح لهم السيطرة الكاملة على إدارته، وإبعاد تركيا عن ممارسة حقوق السيادة القديمة التى كانت لها، والسماح لمصر بالمشاركة فى الحكم على أساس أن مصر صاحبة سيادة قديمة منذ الفتح وجديرة باشتراك قواتها فى حملات الاسترجاع. ولقد توصل المسئولون الانجليز إلى تدبير هذا النظام الذى يكفل كل الأغراض التى ذكرناها والذى عرف باسم النظام الثنائى للحكم

فى السودان عام ١٨٩٩م، وكان اللورد كرومر ــ المعتمد البريطانى فى مصر ــ هو المسئول الأول عن ابتكار هذا النظام (٢٨).

ويدافع كرومر عن نظامه بقوله: إن مصر جنت فوائد ليس فى الاستطاعة تقديرها بالأرقام فقد زال خطر الغزو لمصر من الجنوب نهائيا وبذا تخلصت مصر من نفقات عسكرية باهظة. وكذلك ضمنت موارد مياهها، وكان من المحتمل أن تقام مشروعات رى كبرى فى السودان تجعل حياة مصر الزراعية فى خطر، كذلك انتعشت التجارة بين القطرين، وبعد ذلك كله يحق لمصر أن تفخر كما لبريطانيا أيضا بأن أعادت السودان إلى حظيرة المدنية والحضارة(٢٩). وهو دفاع لا يستند على أسس منطقية فضلا عن أنه يكشف النوايا الاستعمارية التى رأت أن الادارة الجديدة فى السودان يجب أن تسيطر عليها أيادى بريطانية حتى لا تعود المظالم التى ارتكبت فى العهد الماضى والتى يرى أنها رمت بالبلاد فى أتون الثورة المهدية(٣٠).

ثانيا ــ العراق

يمثل العراق بحكم موقعه على طريق الهند مركز اهتمام كبير ومتزايد لانجلترا منذ وطئت أقدام الانجليز الأرض الهندية واستغلال شعبها بصورة وصفها أهل البلاد من التجار أواخر القرن ١٨ بقولهم أن مصانع السادة الانجليز كثيرة كما أن كثيرا من مخازنهم التجارية موجودة فى كل مكان بكل قرية، بل تكاد تكون موجودة لكل أرجاء البنغال، وهم يتجرون فى جميع أنواع الحبوب والمنسوجات وكل نوع آخر من أنواع السلع يوجد بالبلاد (٣١).

ومن الطبيعى أن ينطلق الانجليز من سيطرتهم على الهند التى استغرقت حوالى مائة عام ١٧٤٨ ــ ١٨٤٨ والتى أسسوها بحد السيف ولا ينازعهم فيها منازع، وأصبحت شركة الهند الشرقية البريطانية هى المسيطرة حتى عام

---

(٢٨) د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسودان ص ٥٤٤.

(٢٩) مكى شبيكة: السودان فى قرن ص ٤٧٥.

(٣٠) نفس المرجع ص ٤٦٣.

(٣١) ك. م بانيكار: آسيا والسيطرة الغربية ص ١٠٤.

١٨٥٨م عندما اضطلعت الحكومة البريطانية بالادارة المباشرة لبلاد الهند(٣٢). ولما كانت حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية قد وزعت ممتلكاتها على الحكومات الرئيسية الثلاث التى أقامتها فى الهند وهى حكومات البنغال ومدراس وبومباى، فقد كان من الطبيعى أن يدخل النشاط البريطانى فى الخليج العربى ضمن اختصاص حكومة بومباى(٣٣).

وكان النشاط الأوروبى بصفة عامة يسعى إلى فتح أسواق تجارية فى أقطار الخليج العربى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ولكن ما أن نشبت الحرب الطويلة بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٧٩٣م بقيام الثورة الفرنسية حتى تسابق الفريقان المتحاربان إلى إكتساب نفوذ سياسى وعسكرى فى بعض هذه الأقطار، واتضح هذا الاتجاه بصفة خاصة عند غزو الفرنسيين لمصر(٣٤).

ويمكن القول أن أول نشاط دبلوماسى بريطانى مع عرب الخليج ومسقط بالذات جاء حيث كان يتنافس على مركز الصدارة فيها الفرنسيون والانجليز، أى حين صار الخطر الفرنسى واضحا على طريق الهند وعلى الهند ذاتها فى الفترة النابليونية ١٧٩٨ ـ ١٨١٠م وتمثل فى سفن القرصنة الفرنسية التى كانت تعمل فى أعالى البحار فى طريق الهند، ومحاولات فرنسا لكسب نفوذ سياسى ظهر فى كتابات نابليون من مصر ـ ١٧ يناير ١٧٩٩م ـ إلى كل من صاحب مسقط سلطان بن أحمد، وإلى تيبو صاحب فى الجنوب العربى(٣٥).

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر كانت شركة الهند الشرقية البريطانية قد أنشأت خطوطا بريدية منتظمة عبر العراق، وكان البريد ينقل بواسطة السفن البحرية من بومباى إلى البصرة ومن هناك يمر بمدن بغداد فحلب حتى يصل إلى استانبول عبر طريق البر على ظهور الدواب. ومن ثم أهتم الانجليز بأن يكون لهم النفوذ الأعلى فى العراق. واستطاعوا بالفعل منافسة

---

(٣٢) نفس المرجع ص ١٠٧.

(٣٣) د. محمد أنيس ود. رجب حراز: المرجع السابق ص٩٨.

(٣٤) د. صلاح العقاد: التيارات السياسية فى الخليج العربى ص ٦٠.

(٣٥) د. أحمد أبو حاكمة: تاريخ شرق الجزيرة العربية فى العصور الحديثة ص ١٨٠.

النفوذ الفرنسي هناك ويرغموا الباشوات المماليك فى العراق على إعطاء الشركة امتيازات واسعة بل وعدم التدخل فى نشاطها فى العراق.

ومنذ عام ١٧٦١ انتقل المركز الرئيسى للتجارة الانجليزية فى الخليج إلى البصرة حيث رفع مركز المقيم الممثل لشركة الهند الشرقية إلى مرتبة قنصل. وقد أصبح مركز بريطانيا التجارى فى الخليج لايضارع وأخذت تجنى من ورائه نفوذا سياسيا أيضا ازداد على مر الأيام (٣٦). وهى فى هذا قد ورثت النفوذ البرتغالى والهولندى والفرنسى، وقد وجد الانجليز العراق والخليج وبلاد العرب الجنوبية الخط الأمامى الذى يمكن بالمحافظة عليه أن يدرءوا به الخطر عن الهند كما يمكن أن يكون نقطة خطر عليها إذا كان النفوذ فيه لأمة أخرى تطمع أن تنتزع تلك الدرة ـ الهند ـ من التاج البريطانى (٣٧).

وكان مما ساعد على تقوية نفوذ شركة الهند الشرقية البريطانية فى العراق والخليج والهند أيضاً أفول نجم الامبراطورية الهولندية وانحسار نفوذها فى جزر الهند الشرقية، وكذلك انهيار النفوذ الفرنسى فى الهند بمعاهدة باريس عام ١٧٦٣م وهى المعاهدة التى تخلت بمقتضاها فرنسا عن أغلب ممتلكاتها فى الهند(٣٨). حتى أن نائب الملك فى الهند يكتب بعد مائة عام ـ ١٨٨٢م يقول: تدخل بغداد بصورة غير مباشرة ضمن قواعد الخليج، ويجب أن تضم إلى منطقة النفوذ البريطانى المطلق(٣٩).

وكتبت جريدة الديلى ميل الانجليزية فى ٢٩ مارس عام ١٩١٥م تقول: أن حوض مابين النهرين يجب أن يكون ملكا بريطانيا ومنفذا طبيعيا للانتقال من الهند. وعندما ظهرت المشاريع الألمانية فى العراق ذكرت صحيفة التايمز فى نفس الشهر ونفس العام تقول أن من الواجبات الأولى علينا لأجل المحافظة على الهند ألا نرى فى الخليج قوة مسلحة ماعدا

---

(٣٦) جورج كيرك: المرجع السابق ص١٠٦.

(٣٧) د. عزت عبد الكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٢٦١.

(٣٨) د. محمد أنيس ود. رجب حراز: المرجع السابق ص٩٩.

(٣٩) د. حسين فوزى النجار: الشرق العربى بين حربين ص٥٤.

القوة البريطانية، ويجب أن نعلم أن جميع الدلائل تهدينا إلى أن نوايا خط بغداد ليست اقتصادية وإنما هي سياسية صرفة (٤٠).

وبهذا الفهم دخلت كل مناطق العراق لا البصرة فقط فى نطاق الأهتمام الاستراتيجى لانجلترا ومن ثم حرصت على أن تؤكد فى اتفاق سايكس ــ بيكو مع فرنسا عام ١٩١٦م على دخول العراق تحت الانتداب الانجليزى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، لأن العراق بموقعه مركز هام فى شبكة المواصلات البرية والجوية بين الشرق والغرب، ثم كان ظهور البترول وماله من أهمية إستراتيجية كمادة أولى فى تسيير آلة الحرب الميكانيكية الحديثة، وأهمية إقتصادية فى استثمار رؤس الأموال الانجليزية، والعراق خزان هائل لهذه المادة الهامة التى تعتبر وحدها عصب الحضارة فى القرن العشرين. وكان إهتمام انجلترا بالعراق بعد الحرب العالمية الأولى قائما على تقديرهم لهذه العوامل الجديدة مجتمعة فعملوا على أن يمتد نفوذهم الجديد على العراق كله (٤١).

انتهى الحكم التركى فى العراق بانتهاء الحرب العالمية الأولى، وقد حرصت بريطانيا على أن تؤكد فى اتفاق «سايكس ــ بيكو» مع فرنسا عام ١٩١٦م على دخول العراق تحت انتدابها لموقع العراق الهام بين الشرق والغرب ولاكتشاف البترول فى أرضيه.

وقد وقع العراق فى يد القوات البريطانية عام ١٩١٧م، وقد حكم البريطانيون العراق حكما مباشرا متناسين وعودهم بتحرير العراق، ووعدوا الأكراد بنوع من الحكم الذاتى ومنحوا شيوخ القبائل العربية سلطات أكثر إتساعا.

ونتيجة لفرض الأنتداب الانجليزى على العراق ثار العراقيون عام ١٩٢٠م ثورة عنيفة كانت نتيجتها قيام حكومة ملكية برلمانية دستورية تعمل فى إطار الأنتداب البريطانى على العراق. وعين فيصل بن الشريف حسين ملكا على العراق.

---

(٤٠) د. عزت عبدالكريم وآخرون: المرجع السابق ص٢٦٦.

(٤١) Holt, P.M.: A Modern History of the Sudan, P. 141.

ولكن الوطنين العراقيين ساءهم أسلوب البريطانيين فى معاملة العراقيين ولذلك استمروا يطالبون بالإستقلال الكامل، وقد نجحت الضغوط الوطنية فى التمسك بإقليم الموصل وإنهاء الادعاءات التركية على الاقليم وجاء ذلك بتدعيم من بريطانيا مما فتح الباب أمام كل من العراقيين والبريطانيين لتوقيع معاهدة عام ١٩٣٠م التى قننت وضع الانجليز فى العراق.

ولكن التيار الوطنى لم يرض بشروط معاهدة ١٩٣٠م ومن هنا قاد «بكر صدقى» أحد ضباط الجيش العراقى انقلابا على الحكومة العراقية الموالية للانجليز وعلى الزعامات العراقية التقليدية التى رحبت بالمعاهدة العراقية البريطانية وكان ذلك عام ١٩٣٦م، إلا أنه تم اغتيال قائد الإنقلاب وعاد الزعيم السياسى التقليدى لحكم العراق وهو نورى السعيد.

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الثانية تبنى التيار الوطنى فكرة استغلال اشتراك بريطانيا فى الحرب للضغط عليها لكى تمنح العراق استقلال تاما، وقاد هذا التيار رشيد الكيلانى فى مواجهة الانجليزومواجهة الزعماء التقليديين أمثال نورى السعيد الداعين للوقوف إلى جانب بريطانيا حتى النصر ثم المطالبة بعد ذلك بالاستقلال.

وقد نجح رشيد عالى الكيلانى فى تولى مسئولية الوزارة واتخذ سياسة متشددة إزاء الوجود البريطانى فى العراق، وتحالف معه الجيش العراقى عندما قاد أربعة من الضباط العراقيين –عرفوا بالمربع الذهبى– انقلابا فى أول أبريل ١٩٤١م حيث فر من البلاد الوصى على العرش الأمير عبد الاله كما فر الزعيم التقليدى نورى السعيد.

وتطلع التيار الوطنى بزعامة رشيد عالى الكيلانى إلى ألمانيا لكى تقف بجانب العراق ضد التهديدات البريطانية، ولكن الألمان لم يتحركوا إلا بعد الصدام الذى أنهى حركة رشيد عالى الكيلانى وأعاد نورى السعيد والأمير عبد الاله إلى مكانها بالعراق، ومن ثم أعلن نورى السعيد الحرب على المحور عام ١٩٤٣م إلى جانب بريطانيا ولذلك صار رجل الانجليز الأول فى المشرق العربى.

وفى نفس السنة ـــ ١٩٤٣م ـــ زار نورى السعيد مصر والتقى برئيس الوزراء المصرى مصطفى النحاس للترويج لمشروع الهلال الخصيب الذى يضم العراق وشرق الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين فى اتحاد عربى بزعامة العراق، ولم ينجح نورى السعيد فى مسعاه هذا وكان البديل هو ظهور جامعة الدول العربية على أرض مصر التى ضمت كلا من العراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن والمملكة العربية السعودية واليمن ومصر بمقتضى برتوكول الاسكندرية سبتمبر/أكتوبر ١٩٤٤م وميثاق مارس ١٩٤٥م الذى تم توقيعه بمدينة القاهرة.

وبعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية قاد التيار الوطنى العراقى مرة أخرى فكرة الاستقلال التام وإلغاء معاهدة ١٩٣٠م خاصة بعد اشتراك العراق فى حرب فلسطين التى شوهت سمعة الزعماء التقليديين فى العراق، وبعد قيام محمد مصدق فى إيران بحركته الوطنية ضد الاحتكارات البترولية الغربية فى الفترة من ١٩٥١ ـــ ١٩٥٣م، وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م فى مصر ضد النظام الملكى، وبعد ظهور تيارات سياسية سرية وعلنية يسارية.

ونتيجة للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م وأشتراك حكومة العراق التقليدية قبل ذلك ـــ عام ١٩٥٥ ـــ فى حلف بغداد مع دولتين من الدول المعتدية على مصر وهما بريطانيا وفرنسا، ونتيجة لإعلان الوحدة الكاملة بين مصر وسوريا فى فبراير ١٩٥٨م وقيام الجمهورية العربية المتحدة، ثار الجيش العراقى فى ١٤ يوليو ١٩٥٨م منهيا النظام الملكى.

وعلى الرغم من نجاح ثورة ١٤ تموز ـــ يوليو ـــ فى العراق فى إنهاء الوجود البريطانى المادى والمعنوى، إلا أن الخلاف الذى حدث بين قائد الثورة عبد الكريم قاسم ورفاقه شغل العراقيين عن تحقيق طموحاتهم فى الديموقراطية وفى الوحدة العربية، ولم تنجح محاولة عبد السلام عارف الذى أطاح بعبد الكريم قاسم فى فبراير ١٩٦٣م وتحقيق هذا الطموح رغم مشروع اتفاق الوحدة الثلاثى بين العراق ومصر وسوريا الذى ظل مشروعا لم يتم تنفيذه بسبب موقف حزب البعث من عبد الناصر وموقف عبد الناصر الرافض لسيطرة حزب البعث.

ولم تطل مدة حكم عبد السلام عارف الذى كان يميل بقوة نحو مصر ونحو فكرة الوحدة العربية، حيث توفى فى حادث تحطم طائرة مروحية فى ظروف غامضة تحيط بها الشائعات، وتولى رئاسة العراق بعده أخوه عبد الرحمن عارف الذى سقط فى انقلاب بعثى فى ١٤ يوليو ١٩٦٨م قاده أحمد حسن البكر وصدام حسين الذى يتولى الآن حكم العراق.

هذه حقائق النضال فى العراق ضد الانجليز أولا من أجل الاستقلال ثم ضد بعض القوى فى الداخل، ويعتبر حصول العراق على استقلاله التام إضافة لليقظة العربية، ذلك الاستقلال الذى جاء بعد كفاح طويل سقط من أجله الشهداء...

ثالثا ــ أقطار الخليج والجنوب العربى

أخذ الانجليز منذ أواخر القرن الثامن عشر يمارسون أنواعا من التدخل فى شئون إمارات الخليج. وجعلوا من مكافحة عمليات الجهاد البحرى وسيلة لعقد معاهدات مع شيوخ المقاطعات هناك، وأهم مايذكر فيها إنهم لايتنازلون عن شبر من أرضهم لأية دولة كانت ولايسمحون باعطاء أى حق فى أراضيهم لأحد ماعدا بريطانيا (٤٢). من أمثلة تلك المعاهدات المعاهدتين اللتين وقعتها انجلترا مع سلطان ابن أحمد صاحب مسقط فى أكتوبر ١٧٩٨م، ويناير ١٨٠٠م اللتين نصتا على إنشاء وكالة تجارية فى بندر عباس (وكانت تابعة لحاكم مسقط)، وتخلى مسقط عن أى اتصال بالفرنسيين أوالسماح لهم أولسفنهم بالنزول فيها فى حالة نشوب الحرب بين فرنسا وانجلترا، وسماح سلطان بن احمد للانجليز بارسال وكيل سياسى لهم فى مسقط، وعلى هذا يكون سلطان بن أحمد أول أمير عربى يدخل فى معاهدة مع الانجليز (٤٣).

وقد اتخذ الانجليز فى الخليج سياسة عنيفة لمقاومة عمليات الجهاد البحرى العربية هناك ضد السفن الأوروبية، ومن أمثلة ذلك إرسال حملة بحرية إلى

---

(٤٢) د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٢٦٥.

(٤٣) د. أحمد مصطفى أبوحاكمة: تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة ص ١٨١.

الخليج أجبرت القواسم فى رأس الخيمة على توقيع معاهدة مجحفة بهم فى ٦فبراير ١٨٠٦م تضمن عدم مهاجمتهم للسفن الانجليزية ، ومن أمثلة ذلك أيضا الحملة البريطانية التى هدفت إلى تدمير رأس الخيمة والقضاء كليا على نشاط القواسم فى مياه الخليج عام ١٨٠٩م ،و وحملة عام ١٨١٨م على رأس الخيمة وكان هدفها القضاء على عمليات الجهاد البحرى أولا فى الظاهر ثم مراقبة التحركات المصرية فى الباطن، وإبرام ١٨٢٠م مع رأس الخيمة وغيرها من موانىء الخليج ، ثم أعقب ذلك توقيع الهدنة البحرية وغيرها فى الثلاثينات من القرن التاسع عشر، وكل ذلك دليل على خشية الانجليز من الخطر المصرى فى الجزيرة (٤٤).

وطوال القرن التاسع عشر أخذ النفوذ البريطانى يتدعم فى الخليج فى ثلاثة صور هى: محاربة عمليات الجهاد البحرى التى كانت القواسم تمارسها من الساحل الداخلى لعمان، ومحاربة تجارة الرقيق التى وجدت لها سوقا رائجة فى شبه الجزيرة العربية ، وفرض الحماية البريطانية على أهم المشيخات العربية فى الخليج وهى مسقط والبحرين والكويت. فبدأت مشروعات انجلترا الاستعمارية مع مسقط منذ عام ١٨٥٤م بحصولها من سعيد بن سلطان حاكم مسقط على جزائر كوريا موريا ، ولم يأت عام ١٨٩٨م حتى وقعت المعاهدة المشهورة التى حددت بشكل نهائى الحماية البريطانية على مسقط وعمان ، وتعرف بمعاهدة الصداقة والتجارة والملاحة ، وهى تنص صراحة على أن يلتزم حاكم مسقط ــ فيصل بن تركى ــ هو وخلفاؤه بعدم التنازل عن أى أرض من أملاك مسقط إلا للحكومة البريطانية (٤٥).

وكانت النتيجة الثانية التى خضعت للحماية هى البحرين التى شاركت منذ عام ١٨٢٠م مع انجلترا فى عقد معاهدات لمحاربة تجارة الرقيق وأعمال الجهاد البحرى، وأمام رغبة تركيا فى ضم البحرين عام ١٨٧١م بعد استيلائها على الأحساء أعلن الانجليز فرض الحماية على البحرين ، وتم

---

(٤٤) نفس المرجع ص١٩٠.

(٤٥) د. أنيس. د. حراز: المرجع السابق ص١٠٩.

توقيع معاهدتين مع الشيخ عيسى فى عامى ١٨٨٠م، ١٨٩٢م تضع البحرين بمقتضاها تحت الحماية الانجليزية حيث تعهد الشيخ بالامتناع عن عقد معاهدات مع أية دولة أخرى إلا بموافقة الحكومة البريطانية، وألا يتنازل عن أية أرض فى البحرين إلا للحكومة البريطانية.

وكانت المشيخة الثالثة التى فرضت انجلترا عليها حمايتها هى الكويت، التى وصل إليها آل الصباح لأول مرة عام ١٧٥٠م قادمين من الجنوب بعد أن أمضوا على شاطىء الخليج بقطر والأحساء نحو نصف قرن (٤٦). ولقد كان لآل صباح علاقة طيبة مع الانجليز من ممثلى شركة الهند الشرقية الانجليزية الذين استفادوا من الكويت منذ عام ١٧٧٥م فى إرسال واستلام مراسلات الشركة، واستمرت العلاقات طيبة حتى نقلت وكالة الشركة من البصرة إلى الكويت، وساعدت الشركة آل صباح فى صد غارات الوهابيين على الكويت وأظهر شيخ الكويت استعداده للمشاركة مع الانجليز فى حملاتهم ضد القواسم.

واتساقا مع هذه العلاقات عرض الشيخ مبارك آل صباح منذ أن وصل إلى السلطة فى الكويت عام ١٨٩٦م أن يدخل فى حماية إنجلترا ورغم تردد انجلترا فى قبول هذا العرض حرصا على علاقتها مع تركيا، إلا أنها سارعت عام ١٨٩٩م إلى عقد معاهدة مع أمير الكويت على نفس نسق المعاهدات مع كل من مسقط والبحرين، تضع الكويت تحت حماية انجلترا، وجاءت هذه المسارعة الإنجليزية بسبب ظهور نشاط روسى فى الخليج عام ١٨٩٨م لمد خط حديدى من البحر المتوسط إلى الخليج، وبناء محطة للفحم وميناء فى الكويت.

كان لظهور النشاط الألمانى فى العراق وتوقع امتداده إلى الخليج، والمتمثل فى الامتياز الذى حصلت عليه ألمانيا من الدولة العثمانية بمد خط حديدى من برلين إلى بغداد فالبصرة، كان لذلك أثره فى تدعيم الوجود الانجليزى فى الخليج والعراق، فعقدت انجلترا مع الكويت عدت اتفاقيات أحكمت النفوذ الانجليزى هناك نظير اعتراف انجلترا بإمارة الكويت بحدودها

---

(٤٦) د. أحمد أبو حاكمة: المرجع السابق ص٦٧.

الحالية . واعترافها كذلك بآل الصباح حكاما يتوارثون السلطة هناك . وظل الحال كذلك أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها .

وكان نشاط انجلترا فى الجنوب العربى قد بدأ منذ عام ١٦١٨م بتأسيس مركز تجارى فى «مخا» وفى عام ١٧٧٠م هاجم الانجليز عدن انتقاما لإهانة لحقت بقائد سفينة انجليزية ، وعام ١٧٩٩م احتل الانجليز جزيرة بريم ، وفى عام ١٨٠٢م عقدت انجلترا مع سلطان عدن ــ أحمد بن عبد الكريم ــ معاهدة صداقة وتجارة ، وكانت هذه المعاهدة القنطرة الأولى للسيطرة على هذه المدينة التى تمت عام ١٨٣٩م بعد مقاومة عنيفة من أهلها وقصف بحرى شديد من قبل البريطانيين (٤٧) . وجاء احتلال عدن كخطوة مضادة للنفوذ المصرى فى اليمن على أيام محمد على (٤٨) .

ومن عدن انطلق الانجليز للسيطرة على بقية أجزاء الجنوب العربى باللين تارة وبالشدة تارة أخرى وأخذوا يعقدون المعاهدات التى تضع هذه الأجزاء تحت الحماية البريطانية . ولم يأت عام ١٨٩٥م حتى فرضت الحماية البريطانية على ميناءى المكلا وشحر ، ولحج وحضرموت والضالع ، والعوالق السفلى والحواشب وغيرها ، واستولت انجلترا على جزيرة سوقطرى عند مدخل البحر الأحمر الجنوبى ، وهكذا أصبح الجنوب العربى ملتحماً مع مسقط وعمان ممتداً مع مشيخات الخليج خاضعة كلها للسيطرة الانجليزية لا إلى نهاية الحرب العالمية الأولى فقط بل إلى أن حصلت على استقلالها مؤخراً .

وقد اعترفت بريطانيا باستقلال الكويت عام ١٩٦١م ، وأعلنت عام ١٩٦٨م بأنها تنوى الانسحاب من منطقة الخليج وتعترف باستقلال مشيخات الخليج العربية فى موعد لا يتجاوز نهاية عام ١٩٧١م . ومن ثم دارت مفاوضات بين الأمارات التسع وهى البحرين وقطر وأبوظبى ودبى والشارقة ورأس الخيمة وعمان والفجيرة وأم القوين لتكوين دولة اتحادية فيما بينها ، ولكن نظرا لبعض الصعوبات فقد أعلنت كل من البحرين وقطر استقلالها فى سبتمبر عام ١٩٧١م ثم تكوين اتحاد ضم الأمارات السبع

(٤٧) د. أحمد عبد الكريم وآخرون : المرجع السابق ص ٢٦٣ .

(٤٨) د. أنيس ، ود. حراز : المرجع السابق ص ١١٢ .

الباقية فى نفس العام تحت إسم دولة الإمارات العربية المتحدة برئاسة الشيخ زايد آل نهيان أمير أبو ظبى.

ويجب أن نذكر أن سلطنة عمان كانت على الرغم من معاهدة الحماية البريطانية تتمتع بشىء من الاستقلال أكثر من مشيخات الخليج الأخرى، وفى عام ١٩٧١م تمت تنحية السلطان سعيد بن تيمور لصالح ابنه السلطان قابوس بن سعيد الذى أنهى عزلة وانغلاق بلاده لتشهد نهضة عظيمة وتطوراً كبيراً.

كما يجب أن نلاحظ أن أقطار الخليج العربى الخمسة: الكويت والبحرين وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية كونت تنظيا إقليميا تحت إسم مجلس التعاون الخليجى منذ عام ١٩٨١م، وهو تنظيم ينسق العلاقات الأمنية والثقافية والاقتصادية لمصلحة تلك الأقطار، وهو بهذا إضافة لليقظة العربية.

وبالنسبة للجنوب العربى فقد كان لوجود الجيش المصرى فى اليمن منذ عام ١٩٦٣م لمساندة الثورة فى صنعاء تشجعت الحركة الوطنية فى عدن والجنوب فى مقاومة الوجود البريطاني ولقيت كل مساعدة من الجمهورية العربية اليمنية ومن مصر اضطرت انجلترا إلى الجلاء عن عدن وإعلان استقلالها مع مشيخات الجنوب تحت إسم جمهورية اليمن الجنوبية ـ فى نوفمبر عام ١٩٦٧م. ثم أعلنت الوحدة بين شطرى اليمن فى عام ١٩٩٠م تحت إسم جمهورية اليمن وعاصمتها صنعاء.

رابعا ـ شرق الأردن:

لم تكن شرقى الأردن قبل عام ١٩٢٠م سوى تعبير جغرافى يطلق على البلاد الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن، وكانت تابعة فى ادارتها للحكومة العثمانية بصفة تكاد اسمية. ثم انتقلت ادارتها إبتداء من عام ١٩١٨ إلى حكومة فيصل العربية بدمشق(٤٩).

---

(٤٩) جورج كيرك: المرجع السابق ص٢٤٧.

وكانت دول الوفاق قد رأت أن تستولى على تلك البلاد لقطع الطريق أمام جيش تركيا المتجة على مصر، فدخل الكولونيل البريطانى «لورنس» مدينة العقبة ١٩١٧م، وفى العام التالى نقل الأمير فيصل بن الحسين ــ وكان يقود جيشا يمثل الثورة العربية ــ إلى العقبة وتمكن مع أعوانه من احتلال قسم كبير من الأرض الأردنية، وذلك بعد معارك عديدة منها تخريب الخط الحجازى، وزحف الانجليز للفتك بالجيش التركى حتى احتلوا الأردن فى ٩ ديسمبر ١٩١٩م(٥٠).

وفى مؤتمر سان ريمو المنعقد فى إبريل عام ١٩٢٠م جعلت منطقة شرقى الأردن من نصيب بريطانيا كجزء من دائرة الوصاية على فلسطين مع الأحتفاظ بشرط أساسى هو أنه فى الأراضى الواقعة بين نهر الأردن والحدود الشرقية لفلسطين حسب تحديدها النهائى، يكون للدولة المنتدبة ــ انجلترا ــ الحق بموافقة مجلس عصبة الأمم فى تأجيل أووقف تنفيذ شروط الأنتداب التى ترى سريانها غير ملائم للظروف المحلية بهذه الجهات، وأن تعد تدابير الحكم التى تراها ملائمة لهذه الظروف(٥١).

وعندما وصل الأمير عبد الله بن الحسين إلى معان يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٠م قادما من مكة، وفى نيته التقدم نحو عمان، ومن معان بعث لأهل سوريا بمنشور هاجم فيه الغزو الفرنسى و يعضد السوريين فى كفاحهم ضد الفرنسيين. وعندما وصل إلى عمان رحبت به المجالس المحلية التى أقامها الانجليز والتى سيطر عليها الموظفون الانجليز، وقد عبر المندوب الانجليزى لرؤساء القبائل وشيوخ الشعب الأردنى حين زار مدينة السلط بقوله: تسألونى عن نوع المساعدة التى تريد انجلترا أن تقدمها لكم فأجيبكم بأنها لا تريد أن تضمكم إلى الادارة الموجودة الآن بفلسطين بل تنشىء لكم إدارة منفردة تساعدكم على أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم(٥٢).

---

(٥٠) د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٤٥٨ــ ٤٥٩.

(٥١) جورج كيرك: المرجع السابق ص ٢٤٧.

(٥٢) د. عزت عبد الكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٤٦٢.

وتحقيقا لنصوص الانتداب الذى صدر فى مؤتمر سان ريمو فقد اتفق الأمير عبدالله مع تشرشل وزير الخارجية عندما اجتمعا فى القدس على الأسس التى تقوم عليها إدارة شرق الأردن، وهى إقامة حكومة عربية وطنية هناك برئاسة الأمير عبدالله تكون هذه الحكومة مستقلة إستقلال إداريا ومع الاسترشاد برأى مندوب سامى بريطانى فى عمان، وأن يتعهد الأمير بالمحافظة على حدود سوريا وفلسطين من كل اعتداء على أن تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقات بين الأمير وبين سلطات الأحتلال الفرنسى فى سوريا، وأن تنشىء بريطانيا قاعدتين للطيران فى عمان والكرك.

ورغم اشتمال قرار الانتداب على شرق الأردن إلى جانب فلسطين، فقد استثنت بريطانيا شرق الأردن من التزامات الوطن القومى لليهود فى فلسطين بحصولها على هذا الأستثناء من عصبة الأمم فى سبتمبر ١٩٢٢م ثم اعترمت انجلترا فى العام التالى ـ ١٩٢٣م ـ بقيام حكومة مستقلة فى شرقى الأردن يرأسها الأمير عبدالله تحت الانتداب الانجليزى.

لقد أقامت انجلترا إمارة شرق الأردن تحقيقا لمآرب سياسية واستراتيجية تخصها من أهمها تأمين القطاع العربى فى الطريق البرى إلى الهند، فيما بين الخليج والبحر المتوسط خاصة بعد أن أثبتت وسائل المواصلات السريعة أهمية الوطن العربى بالنسبة لاتصالات انجلترا بالهند، وأيضا إنشاء قاعدة لنفوذها السياسى والاستراتيجى فى هذه المنطقة تشرف منها على بقية أجزاء الوطن العربى خاصة المشرقية وخاصة بعد ظهور البترول وازدياد المصالح البريطانية فى أقطار الوطن العربى.

واهتمت الحكومة البريطانية بتحديد كيان مستقل لإمارة شرق الأردن فحثت الأمير عبدالله على أن يطلب من أبيه الملك حسين فى الحجاز ضم عمان والعقبة إلى إمارته وكانتا تابعتين للحجاز، كما استطاعت نفس الحكومة أن تقنع الملك عبدالعزيز آل سعود بعد استيلائه على الحجاز بقبول الوضع القائم بها، وأقنعته بالتنازل عن ممر أرضى من شمالى نجد يضم إلى إمارة شرق الأردن يصل بينها وبين العراق ويفصل بين نجد وسوريا وحققت بريطانيا بذلك الوحدة الاستراتيجية التى تنشدها فى منطقة انتدابها

فى البلاد العربية ، وأصبح إشرفها على الطريق البرى بين الخليج والبحر المتوسط تاما كاملا(٥٣) .

وقد طلب الأمير عبد الله فى ٦يناير عام ١٩٤٢م من بريطانيا أن ترفع عنه الانتداب حتى يصبح مثل الدول الأخرى وليكون قادرا عى تحقيق وحدة الأردن وسوريا (٥٤). ولكن بريطانيا ردت بأنها مشغولة بالعمليات الحربية ، ولكن الأمير عبدالله ظل يرسل المذكرات للحكومة البريطانية لكى يحصل على الأستقلال ، وبالفعل تم التوقيع على معاهدة للتحالف بين الأردن وبريطانيا فى ٢٢مارس ١٩٤٦م اعترفت فيها بريطانيا باستقلال الأردن . وبعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨م . أعلنت الأردن ضم الضفة الغربية لنهر الأردن الفلسطينية إلى شرقى الأردن لتصبح عام ١٩٤٩م المملكة الأردنية الهاشمية وظلت كذلك حتى احتلت إسرائيل الضفة الغربية عام ١٩٦٧م .



---

(٥٣) د. حسين النجار: المرجع السابق ص٦٥.

(٥٤) عبد الحميد الموافى: مصر فى جامعة الدول العربية ص ٧٢.

■ الفصــل الرابع ■

استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار الفرنسى

ــ أقطار شمال أفريقيا:

أولا: فترة الأستعمار:

أــ الجزائر.

بــ تونس.

جــ مراكش (المغرب).

ثانيا: الاستقلال:

الجزائر وتونس ومراكش وموريتانيا وجيبوتى

ــ سوريا ولبنان:

أولا: فترة الأستعمار.

ثانيا: الاستقلال.

أقطار شمال أفريقيا
فترة الاستعمار

أولا ــ الجزائر:

كانت الجزائر جزءا من الامبراطورية العثمانية من عام ١٥١٨م، ولكن سلطة الدايات جعلت من البلاد دولة مستقلة يكاد يكون تاما حيث كان لهم حق عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية دون الرجوع إلى السلطان العثمانى كما كان الداى ينتخب و يعين و يباشر سلطته دون الرجوع إلى السلطان وإيردات البلاد ــ وإن كانت كلها من عمليات الجاد البحرى ــ تصرف على مصارف الحكم وإن كانت غير منظمة، ولم تكن ترسل شيئا من الجزية إلى السلطان(١).

ورغم هذا الاستقلال فأن الجزائر شهدت خلال القرن الثامن عشر إنهيارا فى الاقتصاد بسبب كساد الحركة التجارية ومقاومة الدول الأوروبية للقرصنة الجزائرية، كما شهدت فوضى سياسية بسبب النزاع بين الدايات بعضهم و بعض ومع رجال الجيش ومع القراصنة حتى فقدت البلاد تقدمها واضطرب الأمن فيها وأصبحت بفضل المعاهدات مع الدول الأوروبية مجالا للنفوذ الأوروبى على حساب إستقلال البلاد وعلى حساب مصلحة أهلها.

كانت تلك ظروف الجزائر التى هيأت للغزو الفرنسى الفرصة لتحقيق أهدافه أما ظروف فرنسا نفسها فقد كانت تتمثل فى اضطراب الأحوال

---

(١) د. زاهر رياض: شمال أفريقيا فى العصر الحديث ص ١٦٩.

الداخلية منذ تولى الملك شارل العاشر العرش عام ١٨٢٤، نتيجة لما تميز به هذا الملك من روح رجعية حتى أحس بسخط الشعب عليه وعدم محبته، وخاصة أن الشعب الفرنسى كان ينظر إليه على أنه أتى إلى الحكم بتأييد من الأجانب، وقد كان اختيار الملك «لبولينياك» رئيسا لوزرائه رغم سخط الناس عليه لموقفه الرجعى من الدستور والحياة النيابية دافعا لمزيد من تبرم الشعب الفرنسى من الحكم ومن ثم عمل الحكم فى فرنسا على إحراز نصر فى الخارج لتغطية الموقف الداخلى وقدر أن المغامرة الحربية فى الجزائر سوف تزيد من الشعور الوطنى عند الفرنسيين وتعطل إنفجار الثورة.

هذا على الرغم من أنه كانت لكبار الفرنسيين رغبة شديده فى امتلاك أراض جديدة تدر عليهم دخلا يعوضهم عما فقدوه أثناء الثورة وحكم نابليون إلى جانب رغبة الحكومة الفرنسية فى تعويض مافقدته فرنسا أثناء حروب الثورة ونابليون وفى معاهدة باريس عام ١٨١٥م وهى معظم أجزاء امبراطوريتها الأولى التى تنازلت لانجلترا عن معظمها (٢) إلى جانب استمرار الخلاف بين دايات الجزائر ومعظم الدول الأوروبية وخاصة انجلترا وفرنسا حول قضيتى الجهاد البحرى والرق فالدول الأوروبية تضغط من أجل أن يصدر إعلان رسمى فى الجزائر بالغاء الرق، ومن أن توقف الجزائر عمليات الجهاد البحرى، ولكن دايات الجزائر تمسكوا بموقفهم بامتلاك الرقيق وممارسة عمليات جهاد بحرى فى البحر المتوسط ولم ترهبهم تهديدات الأساطيل الحربية الانجليزية وغيرها، وبل زاد الدايات من عدائهم لرعايا انجلترا وغيرها من الدول الحليفة لها كأسبانيا والبرتغال.

وكانت العلاقات بين الجزائر وفرنسا قبل عام ١٨٢٦م لا يشوبها الجو العدائى الذى كان بين الجزائر وانجلترا. وكانت الجزائر تتزعم الجناح الإسلامى فى شمال أفريقيا وفرنسا تتزعم الجناح المسيحى الكاثوليكى فى أوروبا، والصدام قائم ومستمر بين الجناحين فى البحر المتوسط كنوع من الحروب الصليبية. وكانت ذكرى فرنسا النابليونية المعادية لأوروبا قد

---

(٢) د. صلاح العقاد: تطور السياسة الفرنسية فى الجزائر ص٢.

أخذت تنمحى بالتدريج ، فلما جاء دورها لتسوى مشاكلها بطريقتها مع الجزائر لم تصطدم بمعارضة فعالة (٣) من دول أوروبا ، هذا على الرغم من أن الرأى العام الفرنسى كان معاديا للتوسع الأستعمارى لأنه كان يرى فيه بعثرة لجهود الأمة التى يجب أن تتركز لمحو العار الذى لحقها بسبب الهزيمة فى أوروبا .

ومهما قيل عن أسباب الغزو الفرنسى للجزائر الذى بدأ بحصار بحرى منذ مايو ١٨٢٧م فإن حدوثه بصورة تدريجية لم يثر معارضة أوروبية أمام إنفراد فرنسا به ، وقد تذرعت فرنسا بعدة أعذار لتوهم الرأى العام الأوروبى والحكومات الأوروبية بأنها تدافع عن قضية أوروبية بقضائها على تهديدات الجزائر للأوروبيين ومعاداتها للمسيحيين ، واستمرار الرق فى أراضيها . وغير ذلك مما يمكن أن يخفف من تأثير إنفراد فرنسا بالغزو و يقنع الفرنسيين أنفسهم بأن حكومتهم تدافع عن العدالة والحرية والمسيحية .

ولقد كان للعامل الدينى أثره القوى فى إحتلال فرنسا للجزائر، فبعد ما عرف عن حادثة صفع الداى للقنصل الفرنسى فى الجزائر (٤) . ذكر تقرير قدمه وزير الحربية الفرنسية للملك شارل العاشر قوله : لقد أرادت العناية الألهية أن تستثار جلالتكم بشدة فى شخص قنصلكم بواسطة ألد أعداء المسيحية ، ولعله لم يكن من باب الصدفة أن يدعى ابن لويس الفتى لكى ينتقم للدين وللأنسانية ولاهانته الشخصية فى نفس الوقت ، ولعل الزمن يسعدنا بأن ننتهز هذه الفرصة لتنشر المدنية بين السكان الأصليين وننصرهم بل أنه عند احتلال الجزائر أقيمت صلوات قال فيها قسيس الجيش لقائد الحملة : لقد فتحت بابا للمسيحية فى أفريقية (٥) .

---

(٣) د. صلاح العقاد : المغرب العربى ص ٨٥ .

(٤) تذكر المصادر أن الداى سأل القنصل الفرنسى عن سبب عدم الرد على رسالته الموجهة لوزير الخارجية الفرنسية فلما رد عليه القنصل بجفاء أشاح بمنشة كانت فى يده فى وجه القنصل الذى بالغ وصور لحكومته أنه ضرب أو صفع على وجهه ، رغم أن الداى أكد أن ذلك لم يحدث .

(٥) د. صلاح العقاد : تطور السياسة الفرنسية فى الجزائر ص ٤ ـ ٥ .

لقد استغرق قرار غزو الجزائر حوالى ثلاث سنوات، فرغم أن الحكومة الفرنسية قررت ضرب حصار بحرى على الجزائر منذ صيف عام ١٨٢٧م، فأنها ترددت فى اتخاذ القرار ومرجع ترددها إلى تخبط الحكم الفرنسى حول الطريقة والهدف من عملية الغزو للجزائر، وهل تكتفى بالحصار لتأديب الداى أو تحتل الجزائر وتدخل فى صراع مع الجزائرايين لا تعرف له نهاية، كما أن الاحتلال سوف يزيد من النفقات العسكرية، وحتى ولو كان الاحتلال قاصرا على الشريط الساحلى، وهو أمر ـ الاحتلال والنفقات ـ يلاقى معارضة كبيرة فى البرلمان الفرنسى.

وفى عام ١٨٢٩م عرضت فرنسا كحل لترددها أن يقوم «محمد على» باشا مصر وحليفها القوى فى فرنسا باحتلال الجزائر ويضمها إلى ملكه فى الشرق على أن يكون لحليفته ـ فرنسا ـ امتيازات واسعة فى الجزائر، إلا أن العرض لم يكن مغريا لمحمد على فى الوقت الذى كان أسطوله القديم قد تحطم فى معركة نوارين عام ١٨٢٧م، ويعمل على بناء أسطول آخر لم يكتمل آنذاك، إلى جانب معاوضة كل من انجلترا والسلطان العثمانى للعرض الفرنسى.

وعلى هذا اتخذت الحكومة الفرنسية التى تزعمها «بوليياك» قرار باحتلال الجزائر، وأعلن الملك شارل العاشر عن اعتزامه إنشاء مستعمرة هامة فى شمال أفريقيا تكون نواتها الجزائر وفى ١٤ يونيه ١٨٣٠م ونزل الجيش الفرنسى المكون من حوالى ٣٥ألف مقاتل إلى أرض الجزائر وأخذ يصطدم بالمقاومة التى يتزعمها الداى، وقد دافع الجزائريون دفاعا قويا حصر الزحف الفرنسى فى شريط ساحلى لا يشمل كل الشاطىء الجزائرى. ومر ثلاث سنوات على الاحتلال الفرنسى دون أن يستطيع فرض سلطته على أكثر من بضع موانى ساحلية بينما أصبح الداخل فى يد بعض الزعماء الذين أعلن بعضهم ولاءهم لتركيا ورفضهم الأعتراف بأى سلطة للمسيحيين (٦)

---

(٦) زاهر رياض: المرجع السابق ص ١٨٦.

ومن بين هؤلاء الرافضين الأمير عبد القادر (٧) الذى أتخذ من غرب الجزائر مقرا لأمارته .

وخلال الأعوام من ١٨٣٠م إلى ١٨٣٩م قامت سياسة فرنسا فى الجزائر على فكرة الاحتلال المحدود المقتصر على الساحل دون الداخل ، وفى هذه الفترة اصطدمت قوات الاحتلال الفرنسى فى غرب الجزائر بالأمير عبد القادر، وفى شرق الجزائر بأحمد باشا باى قسنطينة الذى أطلق عليه الناس آنذاك بطل الإسلام ولعدم وجود تعاون بين القوتين استطاعت قوات الأحتلال مصالحة عبد القادر ومهادنته ريثما يتم القضاء على أحمد باشا المتحصن فى قسنطينة .

تزعم عبد القادر النضال فى غرب الجزائر ضد قوات الأحتلال الفرنسية ، وقد انقسم هذا النضال إلى ثلاث مراحل تنتهى كل منها بمعاهدة ، فالمرحلة الأولى تنتهى بعقد معاهدة بين الطرفين عام ١٨٣٤م أنصبت على الأعتراف بكل غرب الجزائر ماعدا ثلاث مدن ساحلية خاضعة للدول العربية الجديدة ذات السيادة برئاسة عبد القادر. والمرحلة الثانية من النضال تستمر حتى عام ١٨٣٧م حيث عقدت معاهدة «التافنا» ـ نسبة إلى نهر بهذا الأسم ـ التى أعترف فيها الفرنسيون لا بسلطة عبد القادر فى غربى الجزائر فقط بل وفى أواسطها كذلك ، وتوضح هذه المعاهدة بدقة الحدود الفاصلة بين الدولتين فى وهران ـ دولة عبد القادر ـ وفى الجزائر حيث توجد سلطات الاحتلال الفرنسى ، و يلاحظ من صياغة المعاهدة أنها تتحدث عن مسلمين وفرنسيين ولا تذكر كلمة جزائريين ، فالقبائل التى تخضع للحكم الفرنسى كانت تعرف باسم المنتصرة . كما تدل الصياغة على أن الأمير عبد القادر يعامل

---

(٧) ينتسب إلى قبيلة هاشم العربية النازلة فى إقليم وهران ، وكان لها استقلالها الداخلى أثناء الحكم العثمانى ، وكان عبد القادر ينتمى إلى الطريقة القادرية فى التصوف ذات النفوذ فى شمال أفريقيا ، وقد حج إلى مكة قبل الغزو الفرنسى للجزائر وزار بغداد فمصر حيث تركت إصلاحات محمد على تأثيراً كثيراً لديه كل هذا إلى جانب ثقافته الدينية والعربية ، مما جعله يتزعم القبائل و يسعى لبناء دولة فى الجزائر على نفس أسس الدولة المصرية باستخدام خبراء فرنسيين أيضاً .

ملك فرنسا على قدم المساواة كرئيس دولة وطنية أمام رئيس دولة أخرى(٨).

وأما المرحلة الثالثة من النضال فقد استمرت منذ عام ١٨٤٠ إلى عام ١٨٤٧م، وذلك عندما أخذت فرنسا تطبق فى الجزائر سياسة الاحتلال الشامل، وكان صاحب هذه السياسة المارشال «سولت» رئيس الحكومة الفرنسية منذ سنة ١٨٤٠م فاختار لتنفيذها الجنرال «بيجو» الذى قامت سياسته على أساس إخضاع الشعب الجزائرى بأسره لاعن طريق مواجهة عسكرية بين القوات الفرنسية وقوات عبد القادر ولكن باتباع أسلوب الأرهاب المتمثل فى إحراق الحقول واختطاف قطعان الأغنام ـ وهى رأس مال القبائل ـ إلى جانب إحراق القرى بأهلها ومعاقبة كل من له صلة بالأمير عبد القادر. كما عمل «بيجو» على مصادرة أراضى جميع القبائل التى شاركت فى المقاومة وتوزيعها على جنوده والمستوطنين الفرنسيين الذين تدفقوا على الجزائر لزراعتها لمصلحتهم ومصلحة فرنسا.

وإزاء تحركات «بيجو» هذه بقواته فى أنحاء الجزائر دارت صدمات دموية بين الاحتلال الفرنسى وعبد القادر انتهت عام ١٨٤٣م بلجوء الأمير إلى مراكش وبقى بها إلى عام ١٨٤٥م حيث تركها مرغما أمام ضربات الأنتقام الفرنسية لمراكش، وواصل النضال فى الجزائر لمدة عامين انتهت باستسلامه فى ديسمبر عام ١٨٤٧م ونصح لأنصاره بأن يفعلوا مثله. وقد تم استسلام الأمير على أساس السماح له بالسفر إلى الإسكندرية فقبلت سلطات الأحتلال هذا الشرط وأستقبلوه استقبالا يليق بخصم شريف. وباستسلامه انتهت المقاومة الجزائرية ـ المنظمة الرئيسية ـ وأصبحت البلاد خاضعه للحكم الفرنسى (٩).

ومما تجدر الأشارة إليه أن رجال القبائل البربر وزعماء الطرق الصوفية قد ظلوا غير معترفين بالاحتلال الفرنسى، ومن ثم دارت معارك عنفية بين القوات الفرنسية والمحاربين الجزائريين فى بلاد القبائل انتهت بإخضاع هذه

---

(٨) د. صلاح العقاد: تطور السياسة الفرنسية فى الجزائر ص ١٠ ـ ١١.

(٩) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ١٨٢.

البلاد عام ١٨٥٧م، ومع ذلك فقد كانت تقوم بين الحين والآخر ثورات محلية لاتلبث أن تختفى أمام القوة الفرنسية من أمثلتها ثورة الشيخ محمد المقرانى عام ١٨٧١م فى شرق الجزائر التى استغل صاحبها هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية، وبدأت فى الموانى الشرقية حيث رفض بعض المجندين الجزائريين ركوب السفن الفرنسية إلى ميدان القتال بأوروبا فكانت الشرارة الأولى لاندلاع ثورة عامة تبلورت عندما وجدت زعيما لها فى شخص محمد المقرانى ومساعده الشيخ حداد ـ من الطريقة الرحمانية ـ مما يدل على أن البواعث الدينية كانت ماتزال تعلب الدور الرئيسى (١٠).

ورغم أن هذه الثورة نجحت فى أول الأمر إلى أن مساعدة بسمارك للحكومة الفرنسية بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين وأرسالهم إلى الجزائر قد أنهى الثورة وأعاد إلى الجزائر السيطرة الفرنسية الكاملة، رغم حدوث ثورة بعيدة فى الصحراء الجزائرية عام ١٨٠١م (١١) إنتهت كما حدث لسابقاتها، وفى تلك السنة صدر مرسوم بالحاق الجزائر إداريا بفرنسا، وحكمت فرنسا الجزائر حكما استعماريا بمعنى الكلمة حيث استغل الجزائريون فى حروب فرنسا ومصانعها ومزارعها دون المشاركة فى الحكم حتى بدأت تظهر حركة وطنية جزائرية عمالية بعد الحرب العالمية الأولى.

ب ـ تونس:

كان احتلال فرنسا لتونس عام ١٨٨١م نتيجة منطقية بعد احتلال الجزائر وبعد أن حصلت فرنسا على كثير من الامتيازات مثل امتياز احتكار مد الخطوط التلغرافية وإصلاح القناطر وغير ذلك من الامتيازات المتعلقة بحماية الرعايا الفرنسيين فى احتكاراتهم واستغلالهم ومعتقداتهم مما كان ينقص من سلطات البايات فى تونس أمام النفوذ الفرنسى المتزايدة.

وقد انتهزت ايطاليا فرصة تحقيق وحدتها القومية عام ١٨٧٠م وهزيمة فرنسا أمام بروسيا فى نفس العام وحاولت ـ أمام النفوذ الانجليزى المنافس ـ أن يكون لها النفوذ الأعلى فى تونس بل أن ترث نفوذ فرنسا

---

(١٠) د. صلاح العقاد: المرجع السابق ص ٢٨.

(١١) د. صلاح العقاد: الجزائر المعاصرة ص٧.

هناك . وقد حصل القنصل الإيطالي على امتيازات هامة كثيرة لمواطنيه مما جعل إيطاليا تكاد تكون وصية على تونس (١٢). ولكن إيطاليا لم يكن باستطاعتها السير فى الشوط إلى آخره بسبب مشكلاتها الداخلية وعلاقتها غير الطيبة بالنمسا بسبب تطلع الإيطاليين إلى ضم إقليمى «ترنتينو» و«تريستا».

ومنذ عام ١٨٧١م وبسمارك المستشار الألمانى يعمل على تشجيع فرنسا على التوسع فى أفريقيا ضمانا لإبعاد تفكير فرنسا عن الثأر لهزيمتها فى الحرب السبعينية، وقد قبلت فرنسا العرض الألمانى المؤيد بموافقة انجلترا، وكان أمامها إما ضم تونس نهائيا للمتلكات الفرنسية أوفرض الحماية عليها، وكان الميل متجها إلى الرأى الثانى، فتستطيع فرنسا بالتدريج العمل على تفوق نفوذها فى تونس إلى حد لا تستطيع معه أية دولة أخرى منافستها(١٣).

ورغم معارضة كل من إيطاليا وتركيا لاتجاه فرنسا الاستعمارى نحو تونس فقد زحفت القوات الفرنسية من الجزائر عبر الحدود وغزت تونس بدعوى إحلال الأمن فى ١٢ إبريل ١٨٨١م، ولم يمض شهر حتى طوقت هذه القوات قصر سعيد مقر باى تونس الواقع فى «باردو» وهى إحدى ضواحى مدينة تونس، وأجبرت الباى على توقيع معاهدة قصر سعيد أو«باردو»، التى نصت على إعتراف الباى باحتلال القوات الفرنسية لتونس، وأن تنظم فرنسا العلاقات الخارجية، والشئون المالية لتونس، والتزمت فرنسا بحماية الباى من أى خطر، وحددت علاقتها بتونس بتعيين وزير مقيم فى تونس..

ورغم أن هذه المعاهدة، لم تذكر كلمة الحماية صراحة، إلا أنها كانت حماية فعلية، إذ كانت تونس أول تجربة لنظام الحماية فى تاريخ الاستعمار الفرنسى، وقد استهدف واضع هذا النظام أمرين، أولا: إسكات المعارضة الدولية بحجة أن فرنسا لم تقض على كيان الدولة المحمية بالضم، ثانيا:

---

(١٢) د. زاهر رياض: شمال افريقيا ص ١٨٩.

(١٣) د. محمد مصطفى صفوت: مؤتمر برلين ١٨٧٨م ص٥٦.

إقناع المعارضة الداخلية ـ فى فرنسا ـ بأن الحكومة لن تتورط فى أعباء مالية جديدة لأن مميزات الحماية أنها تحمل الدولة المحمية نفقات الاحتلال وجميع ما يترتب على الاصلاحات الإدارية والاقتصادية المفروض إدخالها بواسطة الدولة الحامية (١٤).

ولم تكتف فرنسا بقيود معاهدة «باردو»، بل عرضت على الباى معاهدة جديدة فى ٨ يونيو ١٨٨٣ حملت فيها المادة الأولى نص رضاء الباى عن الحماية الفرنسية للمصالح التونسية وخاصة المحافظة على الأمن الداخلى والتمثيل الخارجى بينما يحتفظ الباى بسيادته المطلقة وله إدارة الأقليم بموظفين وطنيين (١٥). وكانت حجة فرنسا فى فرض الحماية هو قيام ثورة مسلحة ضد قوات الاحتلال بمجرد أن أفاق التونسيون من غفوتهم (١٦).

تشجع التونسيون على القيام بالثورة بما رأوه من تخاذل الباى أمام الغزو الفرنسى، فى الوقت الذى حدثت فيه ثورة جزائرية فى وهران فى صيف ١٨٨١م، وحدوث مظاهرات فى طرابلس الغرب ضد الاحتلال الفرنسى لتونس، وموقف إيطاليا وتركيا المعادى لهذا الاحتلال. ومما يلفت النظر أن الثورة فى تونس ضد الاحتلال الفرنسى تزعمها رجال الدين وأصحاب الطرق الصوفية الذين اعتبروا الثورة ضد الفرنسيين جهاداً إسلامياً، واتخذت الثورة من مدينة القيروان ذات التاريخ الإسلامى العتيد مركزاً لها.

وقد هاجم الثوار القوات الفرنسية واتهموا الباى محمد الصادق ـ من الأسرة الحسينية ـ بالتواطؤ والخيانة، وأشتدت اتهاماتهم للباى على أخى الباى السابق الذى نصبه الفرنسيون باياً عند وفاة محمد الصادق عام ١٨٨٢، بسبب ضعفه وخضوعه للفرنسيين، وسيطرة المقيم العام الفرنسى على الأمور حيث وقع الباى مع الفرنسيين معاهدة جديدة تعرف بمعاهدة «المرسى» وهى تهدف إلى توسيع سلطات فرنسا فى تونس بشل يد الباى

---

(١٤) د. صلاح العقاد: المغرب العربى ص ٢٠٥.

(١٥) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ٢٠٠.

(١٦) د. صلاح العقاد: المرجع السابق ص ٢٠٧.

وموظفيه الوطنيين عن التصرف فى الأمور الإدارية والمالية والقضاء وغيرها من الأمور الداخلية.

استمرت المقاومة بأسلوب سياسى حتى ظهر حزب «تونس الفتاة» عام ١٩٠٥م الذى سعى إلى الاصلاحات الدستورية الواسعة وإلى الإستقلال، كما سعى إلى تحقيق شعار «الأمة الجزائرية ــ التونسية» أى دعا إلى وحدة المغرب العربى، وظهر الزعماء «على باش جمعة» و«عبدالعزيز الثعالبى» اللذين استمرا فى المطالبة بالإستقلال والحياة الدستورية وتعرضا للنفى والحجر على نشاطهما، حتى إذا قامت الحرب العالمية الأولى وقامت ثورة فى تونس بتأييد من تركيا وألمانيا تزعمها حزب «تونس الفتاة». ولكن هذه الثورة لم تحقق الأهداف القومية فى شمال أفريقيا.

لقد استغلت فرنسا اليد العاملة التونسية، ومناجم الحديد والزنك والفوسفات المتوفرة فى تونس، وامتلاك الأراضى الزراعية التى سيطر عليها المستوطنون الفرنسيون، واحتكار الشركات الفرنسية لجميع الأعمال البحرية والبرية، ولم يغفل الفرنسيون وضع النظم التى تضمن سيطرتهم على المجالس البلدية والوظائف الحكومية. وأعفى المستوطنون الفرنسيون من الضرائب التصاعدية، وتمتعوا بالحماية الكاملة من قوات الاحتلال. كل ذلك الاستغلال لابد أن يثير كوامن الثورة الوطنية فى تونس خاصة وقد رأى التونسيون فرنسا تنهزم أمام ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى.

جـ ـ مراكش (المغرب):

اختلفت مراكش عن كل من الجزائر وتونس فى أنها تمتعت باستقلال شكلى طوال القرن التاسع عشر إذا لم تدخل فى حوزة الامبراطورية العثمانية، وبقيت علاقاتها مع الدول الأجنبية تسير على قدم المساواة، لذلك تطلب التمهيد لاحتلال فرنسا لها وقتا طويلا وسياسة معقدة، هذا إلى جانب كثرة الطامعين فيها مثل أسبانيا، وانجلترا، وألمانيا، وإيطاليا وغيرها من الدول الأوربية التى مارست سياسة الامتيازات فى مراكش حتى أصبحت البلاد مسرحا للقوى الأجنبية التى تحاول بسط نفوذها هناك.

وكانت فرنسا منذ غزت الجزائر عام ١٨٣٠م قد اتخذت من مراكش ــ حيث توجد سلطنة العلويين ــ موقفا عدائيا، فقد احتجت الحكومة الفرنسية على وجود السلطة المراكشية فى تلمسان وأرسلت بعثة خاصة إلى فاس للاحتجاج فى أوائل سنة ١٨٣٢م، فسارع مولاى عبد الرحمن بالإنسحاب (١٧)، كما أن فرنسا اعتدت على مراكش اعتداءات عسكرية بسبب تأييد القبائل المراكشية والسلطان لحركة الأمير عبد القادر الجزائرى، ضد الغزو الفرنسى للجزائر، حتى أن السلطان لقى هزيمة مروعة على يد القوات الفرنسية عام ١٨٤٤م وقبل معاهدة مع فرنسا تقضى بتسريح جيشه من منطقة الحدود وطرد عبد القادر من البلاد أو القبض عليه، وتخطيط الحدود بين الجزائر ومراكش وإعطاء فرنسا حق الدولة الأولى بالرعاية فى النشاط التجارى بمراكش.

وبهذه المعاهدة ظهرت أطماع فرنسا فى مراكش وتأكدت نية فرنسا نحو مراكش وأن تحقيقها يتطلب الوقت المناسب والظروف الدولية المهيأة. وقد أخذت فرنسا تمهد لسياستها التوسعية فى مراكش بسلسة من المعاهدات الدولية. ففى عام ١٩٠٢م عقدت فرنسا مع إيطاليا اتفاقا تؤيد فيه اليد الإيطالية المطلقة فى ليبيا نظير إطلاق اليد الفرنسية فى مراكش. وفى عام ١٩٠٤م تم توقيع الاتفاق الودى بين كل من انجلترا وفرنسا الذى وافقت فيه انجلترا على إطلاق اليد الفرنسية فى مراكش نظير عدم اعتراض فرنسا على بقاء الاحتلال الانجليزى بمصر. وفى أكتوبر من نفس العام صادقت أسبانيا على الاتفاق الفرنسى البريطانى وحصلت نظير ذلك على الركن الشمالى الغربى من مراكش ليكون منطقة نفوذ لها (١٨)، والذى عرف بالريف الأسبانى.

ورغم محاولة سلطان مراكش استغلال معارضة ألمانيا لمشروعات فرنسا الإستعمارية فى مراكش. ورغم زيارة امبراطور ألمانيا لميناء طنجة فى مارس ١٩٠١م، ورغم عقد مؤتمر دولى فى أبريل ١٩٠٦م بمدينة الجزيرة بأسبانيا

---

(١٧) د. صلاح العقاد: المرجع السابق ص ٢٢٢.

(١٨) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ٢١٦.

لبحث السيادة المستقلة لمراكش مع انفتاحها على جميع الدول وهو المؤتمر الذى ساندت فيه ألمانيا مراكش، فأن قرارات المؤتمر اعترفت بمركز فرنسا الممتاز فى مراكش، مع تأييد موقف السلطان المدافع عن استقلال بلاده.

وانطلاقا من هذا الموقف دفعت فرنسا شقيق السلطان المدعو عبدالحفيظ إلى الثورة ضد أخيه السلطان عبدالعزيز سنة ١٩٠٨م وتنحيته عن الحكم، وقد نجح عبدالحفيظ فى ذلك ووضع نفسه تحت الحماية الفرنسية بصورة فعلية وليست رسمية. وقد تأيدت هذه الحملة عندما استنجد عبدالحفيظ فى عام ١٩١١م بالقوات الفرنسية لإخماد ثورات القبائل ضده، وقد نجحت هذه القوات فى إخماد الثائرين ضد السلطان وبقيت هناك تمارس احتلالاً عسكريا وسيطرة على الحكم مما دفع ألمانيا إلى الإحتجاج على بقاء القوات الفرنسية فى مراكش، ولكن ما لبثت فرنسا وألمانيا أن توصلتا إلى إتفاق بينهما فى نوفمبر سنة ١٩١١م نص على إطلاق يد فرنسا فى مراكش نظير تنازل فرنسا لألمانيا عن جزء من الكرون الفرنسى.

ونتيجة لذلك رأت فرنسا جعل حمايتها على مراكش رسمية، فتم توقيع معاهدة الحماية فى ٣٠ مارس ١٩١٢م قبل السلطان بموجبها حماية فرنسا على مراكش ماعدا منطقة طنجة والمنطقة الأسبانية. وفى نوفمبر من نفس العام عقد اتفاق فرنسى أسبانى جديد من أجل تحديد المنطقة الأسبانية التى أطلق عليها لفظ الريف فأصبح يتولاها خليفة يعينه سلطان مراكش من بين اثنين ترشحهما أسبانيا على أن يخضع هذا الخليفة لتوجيهات المندوب الأسبانى (١٩).

لم تكن الحماية الفرنسية على مراكش لتثنى المراكشيين عن النضال ضد الاحتلال الفرنسى. خاصة وأن الظروف الطبيعية للبلاد تساعد على هذا النضال، حيث تنتشر الجبال الوعرة المسالك والتى اعتاد أهلها من البربر الأحتفاظ باستقلالهم الداخلى أمام جميع الحكومات المركزية، ومن ثم لم يتم

---

(١٩) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ٢١٩.

إخضاع البلاد إلا بعد مضى أكثر من عشرين عاما، وتلعب شخصية الأمير عبد الكريم الخطابى الدور الرئيسى فى تاريخ المقاومة(٢٠).

استنادا إلى معاهدة الحماية مارس الفرنسيون استغلالا متنوعا فى البلاد، وعملوا على التفرقة بين العرب والبربر، وكونوا لهم صنائع من كبار الأقطاعيين الباشوات الذين مارسوا سلطات قضائية فى مقاطعاتهم، كما سمحوا للشركات الأمريكية والانجليزية أن تستثمر أموالها فى البلاد إلى جانب الشركات الفرنسية. وعلى أية حال فقد كانت مراكش أقل أقطار شمال أفريقية العربية تأثرا بالاستعمار الفرنسى بسبب تأخر احتلالها عن الجزائر وتونس، ثم بسبب اشتعال الحرب العالمية الأولى بعد احتلالها بعامين. حتى يمكن القول أن مراكش أقل هذه الأقطار نسبيا التى تغلغل فيها النفوذ الفرنسى اقتصاديا وثقافيا.

ثانيا: فترة الاستقلال

الجزائر وتونس ومراكش وموريتانيا وجيبوتى

سقطت كل من الجزائر وتونس ومراكش تحت السيطرة الفرنسية تباعا، أعوام ١٨٣٠، ١٨٨١، ١٩١٢م، وانطلاقا من وحدة المغرب الكبير التى تربط هذه الأقطار منعا فقد تأثرت الحركة الوطنية فى كل قطر بمثيلتها فى الأقطار الأخرى.

فقد قاد الكفاح فى الجزائر كل من الأمير عبد القادر من مركزه فى وهران غرب الجزائر وأحمد باشا باى قسطنطينة بشرق الجزائر الذى أطلق عليه الجزائريون آنذاك لقب بطل الإسلام، وقد واجه الوطنيون خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر (١٨٣٠ـ١٨٣٩م) ساسية فرنسا القائمة على الاحتلال المحدود القاصر على الساحل دون الداخل، ولذلك اعترف الفرنسيون بدولة عبد القادر العربية لا فى غرب الجزائر فقط بل فى أوسطها كذلك.

---

(٢٠) د. صلاح العقاد: المرجع السابق ص٢٧٣.

وفى المرحلة الثانية من النضال (١٨٤٠ــ١٨٤٧م) طبقت فرنسا فى الجزائر سياسة الاحتلال الشامل حيث قام الجنرال «بيجو» باتباع أسلوب الأرهاب المتمثل فى إحراق الحقول وإختطاف قطعان الأغنام وإحراق القرى بأهلها، وقد انتهى النضال عام ١٨٤٧م باستسلام عبدالقادر فى ديسمبر ١٨٤٧م على أساس السماح له بالسفر إلى مدينة الإسكندرية كما سبق أن ذكرنا.

ورغم ذلك ظل الكفاح موجودا حيث سجل التاريخ ثورات الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسى من أمثلتها ثورات القبائل فى الخمسينيات من القرن التاسع عشر، وثورة الشيخ محمد المقرانى عام ١٨٧١م فى شرق الجزائر، وزميله الشيخ حداد، ثم ثورة القبائل الصحراوية فى عام ١٨٨١م التى انتهت كسابقتها بالعنف. وكانت نتيجة هذه الثورات صدور مرسوم بالحاق الجزائر إداريا بفرنسا فى هذا العام الأخير (١٨٨١م).

وعقب الحرب العالمية الأولى تطلع الجزائريون للاستقلال وحق تقرير المصير استنادا إلى مبادىء الرئيس الأمريكى ويلسون ولكن دون الوصول إلى هذا الحق، فبدأت تظهر الجمعيات الوطنية مثل «كتلة النخبة من الجزائريين المسلمين»، «جمعية نجم شمال أفريقيا» التى نشأت على أرض فرنسا ذاتها بقيادة «مصالى الحاج» عام ١٩٢٧م، وحزب «النجم الثاقب» و«الاتحاد القومى لمسلمى شمال أفريقيا» عام ١٩٣٤م، «وجمعية علماء المسلمين» برئاسة الشيخ عبدالحميدبن باديس، «وحركة المؤتمر الإسلامى الجزائرى» فى عام ١٩٣٦م، وكل هذه الجمعيات طالبت بالإصلاح الاجتماعى والخلقى والدينى إلى جانب المطالبة بالحقوق الوطنية السياسية، ولذلك تعرضت للاضطهاد كل جمعية تتطرق للنواحى السياسية.

ونتيجة لاشتعال الحرب العالمية الثانية ترأس عباس فرحات زعامة الحركة الوطنية الجزائرية فشكل «جماعة أصدقاء البيان» فى فبراير ١٩٤٣م المطالبة بالحقوق الوطنية والثقافية للشعب الجزائرى، ثم تأسست أحزاب سياسية كان منها حزب «الاتحاد الديمقراطى لأنصار البيام الجزائرى» بقيادة عباس فرحات، وحزب «انتصار الحريات الديمقراطية» برئاسة مصالى

الحاج، التى أنبثق عنها «المنظمة الخاصة» وكان زعمائها البارزين أحمدبن بللا والتى آمنت بالكفاح المسلح.

وانطلق الكفاح المسلح فى الأول من نوفمبر ١٩٥٤م على يد «جبهة التحرير الوطنى» التى ضمت فصائل الحركة الوطنية وأحزابها وقد مرت حرب التحرير الجزائرية بثلاث مراحل هى:

١ــ فترة الإيقاظ والاستنفار من عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٥٧م.
٢ــ فترة الإرهاب الفرنسى من ١٩٥٧ إلى عام ١٩٦٠م.
٣ــ فترة الكفاح الأخير السابق للاستقلال من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٢م.

وخلال هذه الفترات الثلاث برزت زعامات وطنية بعضها شارك فى حرب التحرير والبعض الآخر قاد النضال السياسى، وكان لموقف مصر وبعض الدول العربية دورا بارزا فى مواصلة الجزائريين لكفاحهم ضد الفرنسيين، الذين مالبثوا بزعامة الرئيس ديجول فى ترك الأمر للجزائريين ليختاروا بين الإندماج مع فرنسا أو الاستقلال، ولكن الجزائريين فضلوا الإستقلال ومن ثم تم التوصل إلى معاهدة «إيفيان» فى مارس ١٩٦٢م التى مهدت لإعلان استقلال الجزائر فى يوليو من نفس العام.

وأما تونس فقد تزعم رجال الدين وأصحاب الطرق الصوفية الحركة الوطنية ضد الحماية الفرنسية التى فرضت على تونس عام ١٨٠٣م، حتى إذا ظهر عام ١٩٠٨م حزب «تونس الفتاة» بزعامة كل من «على باشا جمعة» و«عبدالعزيز الثعالبى» اتجهت الحركة الوطنية التونسية إلى المطالبة بحقوق العرب فى وحدة المغرب العربى.

وأخذت ثورات التونسيين ضد الوجود الفرنسى كثورات العمال أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى، وبعد الحرب نشأ عام ١٩١٩م «حزب الدستور»، ثم ظهر الحزب الدستورى الجديد الذى لعب فيه الحبيب بورقيبة دورا بارزا، وكان ذلك سببا للخلاف بين الثعالبى زعيم حزب الدستور، وبين بورقيبة زعيم حزب الدستور الجديد.

وتعرض زعماء الحركة والوطنية التونسية خلال الحرب العالمية الثانية للسجن والنفى حتى انتهت الحرب وعقد الميثاق الوطنى عام ١٩٤٦م الذى جاء نتيجة إجتماع زعامات الحزب القديم والحزب الجديد، وبدا الكفاح التونسى المسلح حتى أعلن «منديس فرانس» رئيس وزراء فرنسا فى عام ١٩٥٤م استقلال تونس الداخلى، ثم اعترفت فرنسا بموجب اتفاق ٢٠ مارس ١٩٥٦م باستقلال تونس استقلال تاما.

وأما مراكش ـ المغرب ـ فقد شهدت مقاومة صلبة للحماية الفرنسية المفروضة على البلاد والوجود الأسبانى فى الريف قادها الأمير عبدالكريم الخطابى فى الجبال الشمالية فى العشرينات من القرن العشرين، ورغم استسلام عبدالكريم ونفيه إلا أن حركة الكفاح استمرت ضد الاحتلال الأجنبى.

وقاد الكفاح المراكشى جمعيات وأحزاب وطنية من أمثلتها: «لجنة العمل الوطنى» التى صارت «حزب الإستقلال» عام ١٩٤٣م. وظهرت روح السلطان محمد يوسف الوطنية منذ أرتقى العرش عام ١٩٢٧م الذى رغم نفى السلطات الفرنسية له عا ١٩٥٢م واستخدام عملاء أمثال «محمد بن عرفه» و«القائد الجلاوى» لم تفلح فرنسا فى القضاء على الحركة الوطنية المراكشية فاضطرت إلى السماح بعودة السلطان الشرعى محمد بن يوسف من منفاة بجزيرة مدغشقر فى نوفمبر ١٩٥٥م، حتى حصلت مراكش على استقلالها الكامل فى ٢ مارس ١٩٥٦م.

وأما موريتانيا التى خضعت للجمعية الفرنسية عام ١٩١٠م فقد وضعت بكاملها تحت سيطرة الحاكم العام الفرنسى لغرب أفريقيا الفرنسى ومقره مدينة «داكار» عاصمة السنغال وفى ديسمبر ١٩٢٠م أصبحت مورتانيا مستعمرة تدار من مدينة «سانت لويس» بواسطة حاكم السنغال الفرنسى.

وبعد الحرب العالمية الثانية حاولت سلطات الحماية الفرنسية إدخال بعض الإصلاحات فتشكلت حكومة محلية فى عام ١٩٥٦م، وتبع ذلك إنضمام موريتانيا للجماعة الفرنسية الأفريقية، ثم حصلت موريتانيا على استقلالها من فرنسا فى ٢٧ نوفمبر عام ١٩٦٠م، وصار «المختار ولد دادة»

رئيسا للجمهورية الموريتانية الإسلامية رغم أعتراض المغرب ومطالبة المسئولين المغاربة بموريتانيا كأرض مغربية .

بدأت موريتانيا منذ استقلالها البناء الداخلى أمام صعوبات تمثلت فى الحساسية بين الشماليين الذين هم من أصل مغربى والجنوبيين الذين هم من أصل زنجى ، وصار هناك حزب واحد هو « حزب الشعب الموريتانى » الذى خلفه فى أبريل ١٩٧٣م اتحاد العمال الموريتانى ، وفى ٢٦ نوفبر ١٩٧٣ صارت مورتانيا عضوا بجامعة الدول العربية .

وأما جيبوتى التى صارت مستعمرة فرنسية منذ عام ١٨٦٢م ، فقد شهدت أول حركة وطنية بعد الحرب العالمية الثانية حيث قاد « محمود حربى » حزب « الإتحاد الديمقراطى » للمطالبة باستقلال جيبوتى منذ عام ١٩٥٧م ، ولكنه توفى عام ١٩٦١م فى ظروف غامضة ، وظهر زعيم آخر موال لفرنسا هو « على عارف » ، حتى اعترفت فرنسا باستقلال جيبوتى فى ٢٧ يونيو ١٩٧٧م برئاسة « حسن جوليد » رغم مطالبة جمهورية الصومال بضم جيبوتى إليها فى إطار الصومال الكبير باعتبارها من النواحى التاريخية والبشرية والطبيعية جزءاً من الصومال .

سوريا ولبنان

أولا ــ فترة الاستعمار:

يعتقد البعض أن فرنسا كانت أسبق من انجلترا فى عملية الغزو الاستعمارى ، وهذا الاعتقاد له وجاهته ، لأن فرنسا شاركت بدور كبير إن لم يكن أكبر دور فى الحروب الصليبية ، وما حملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر وأسره فى دار ابن لقمان فى المنصورة إلا دليل آخر على هذا الغزو الاستعمارى الفرنسى الذى سبق انجلترا فى مصر وبقية أقطار الوطن العربى ، بل وما الحملة الفرنسية على مصر والشام إلا دليل ثالث على صحة هذاا لرأى .

وبمعنى آخر لم يكن فرض الانتداب الفرنسى على كل من سوريا ولبنان بمقتضى قرارات مؤتمر « سان ريمو » فى أبريل سنة ١٩٢٠م الإجراء

الإستعماري الفرنسي الأول في سوريا ولبنان، بل هناك نشاطات استعمارية فرنسية في بلاد الشام سبقت ذلك ومهدت له، فقد حددت معاهدة التحالف الفرنسي العثماني في عام ١٥٣٥م الامتيازات الفرنسية في الشرق العربي بصفة خاصة، ولذلك كانت تجارة الحوض الشرقي للبحر المتوسط في صالح فرنسا بصفة عامة حتى أواخر القرن الثامن عشر، وكانت فرنسا الدولة الأوروبية الأولى لدى البلاط العثماني، ولها حق حماية الرعايا الكاثوليك داخل الامبراطورية العثمانية(٢١).

واستنادا إلى الامتيازات التي حصلت عليها فرنسا في الامبراطورية العثمانية عمدت الحكومة الفرنسية إلى التدخل في أقطار المشرق العربي لصالح قوافل الحج الكاثوليكية إلى بيت المقدس، ثم تبنى لويس الرابع عشر في عام ١٦٤٦م قضية الجالية المارونية في لبنان في أعقاب زيارة الأساقفة المارونيين لفرنسا، وقد رافق هذا الأتجاه ازدياد عدد الكاثوليك في بلاد الشام بسبب امتداد نشاط الجزويت الفرنسيسكان وغيرهما من المؤسسات الكاثوليكية إلى الشرق(٢٢). وبسبب إنشاء مدارس فرنسية لتعليم الموارنة، وبسبب إحتكار الفرنسيين لتجارة الصادر والوارد في جنوب سورية، حتى صار التفوق ــ في النفوذ السياسي والتجاري ــ للفرنسيين وتغلبوا على منافسة التجار من الشعوب الأخرى(٢٣).

ونتيجة لذلك وجدنا الموارنة بصفة خاصة يميلون إلى فرنسا، ويرحبون بالبعثات التبشيرية الفرنسية، بل ويتخذون من رجال هذه البعثات مستشارين لمشايخهم، واستغلت فرنسا هذا الوضع للتقرب إلى أصحاب العصبيات في لبنان وخاصة المشايخ الموارنة، كما استغلت بعض الأسر المارونية لتحقيق منافع خاصة، كما كانت البعثات التبشيرية الفرنسية من أهم الدعائم التي بست عليها فرنسا نفوذها الأدبي في لبنان في تلك

---

(٢١) د. أنيس، د. حراز: المرجع السابق ص٩٥.

(٢٢) نفس المرجع ص ١١٥.

(٢٣) د. أحمد عزت عبدالكريم وآخرون: المرجع السابق ص٢١٣.

الأيام(٢٤). وبلغ من الصلة الوثيقة بين الموارنة والفرنسيين أن تعين شيخ مارونى نائبا لقنصل فرنسا فى بيروت عام ١٦٥٥م ثم قنصلا لها عام ١٦٦٢م.

وعندما بدأت الاحداث الدامية بين الموارنة والدروز اعتبارا من عام ١٨٥٧م بذلت الدولة العثمانية كل ما فى وسعها لإضعاف قوة الموارنة الذين كانوا يحظون بحماية فرنسا، فشجع الأتراك الدروز على مهاجمة الموارنة وبدأت سلسلة الاضطرابات التى انتهت بمذابح سنة ١٨٦٠م(٢٥) بين الطرفين وامتدت لتشمل المسلمين والمسيحيين فى كل من سوريا ولبنان. وزادت وطأة الفتنة بينهما بما قام به عملاء الفرنسيين والبريطانيين من أعمال الدس فى اتجاهين مختلفين(٢٦)، حتى حدثت المذابح بين الطرفين التى راح ضحيتها الآلاف من كلا الجانبين والتى تدخل فيها بعض الزعماء العرب لإيقافها وتهدئة الأمور بين المتقاتلين، وكان على رأس هؤلاء الزعماء العرب الأمير عبد القادر الجزائرى المقيم بدمشق منذ فشل المقاومة الجزائرية للغزو الفرنسى..

ولقد كان للقنصل الفرنسى يد كبرى فى إثارة هذه المذابح التى قوبلت فى فرنسا بترحاب لما تتيحه لها من الفرص لمغامرة حربية فى لبنان(٢٧)، إذ شعر الامبراطور الفرنسى نابليون الثالث بأن اللحظة المناسبة لتثبيت الأقدام الفرنسية فى سوريا قد أتت أخيرا، فأعلن فى يوليو عام ١٨٦٠م عن عزمه إرسال قوات إلى سوريا لحماية الكاثوليك، ورغم أن السلطان العثمانى أوفد أحد رجاله لإقرار الأمور فى سوريا، وقد استطاع بالفعل بعد أن أعدم رميا بالرصاص وشنقا وسجن وأبعد مئات من المسلمين إرضاء لفرنسا، فإن فرنسا لم تفلت من يدها هذه الفرصة، ومن ثم عقد مؤتمر دولى فى باريس ضم كلا من انجلترا وفرنسا والنمسا وبروسيا والروسيا وتركيا درس الموقف فى

---

(٢٤) نفس المرجع ص ٢٤٩.

(٢٥) د. أنيس، د. حراز: المرجع السابق ص ١١٦.

(٢٦) كانت بريطانيا تؤيد الدروز فى مواجهة تأييد فرنسا للموارنة.

(٢٧) جورج كيرك: المرجع السابق ص ١٢٨.

سوريا وموقف فرنسا وأصدر قراراته فى سبتمبر ١٨٦٠م بالسماح لقوات فرنسية لاتتجاوز ١٢ألف جندى بالنزول فى بيروت وألا تزيد مدة بقائها عن ستة شهور.

وقد نزلت القوات الفرنسية بالفعل فى بيروت فى آخر أغسطس ١٨٦٠م فى الوقت الذى أوفد المؤتمر لجنة لتقصى الحقائق عن أسباب الأحداث الدامية، وتبحث إمكانية تلافى هذه الأحداث بوضع نظام جديد للبنان. ورغم أن الهدوء والنظام قد عادا إلى سوريا فإن فرنسا رغبت فى بقاء قواتها هناك إلى أجل غير مسمى بحجة ضمان عدم تكرار الاضطرابات، إلا أن الحكومة البريطانية تمكنت بقرارات مؤتمر باريس القاضى بجلاء القوات الفرنسية خاصة وأن هذه القوات قد تجاوزت المدة المقررة لبقائها، ومن ثم انسحبت هذه القوات فى يونيو ١٨٦١م دون أن تحقق أهدافها حتى قيل أن الحملة أخفقت فى تحقيق ما كانت الدولة الحامية تصبوا إليه(٢٨). من فرض سيطرتها ونفوذها على سوريا ولبنان.

عادت اللجنة الدولية من سوريا ولبنان فى مايو ١٨٦١م ووضعت تقريرا عرض على السلطان العثمانى فى شكل اتفاقية وقع عليها وزير الخارجية التركية وسفراء الدول الأوروبية الخمس فى يوليو ١٨٦١م تقضى بمنح الحكم الذاتى لسنجق لبنان على رأسه حاكم مسيحى غير لبنانى يتم تعيينه من قبل الدولة العثمانية بالتشاور مع الدول الأوروبية الخمس. وفى عام ١٨٦٤م أستقر وضع لبنان كسنجق مستقل ذاتيا بمقتضى الإتفاقية السابقة التى صارت دستورا دائما للبنان حتى عام ١٩١٤م وتم تنظيم لبنان بحيث يساعد الحاكم ١٢ شخصا منهم ٤ من الموارنة، و٣ من الدروز، و٣ من الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك، وسنى واحد، وشيعى واحد. وصارت أقسام لبنان الأدارية سبعة مديريات يترأس كل مديرية منها مدير من الروم الكاثوليك، ويخضع لهؤلاء المديرين شيوخ النواحى والقرى والقضاة والكتبة الذين حدد الدستور نسبة توزيع مناصبهم بين الطوائف الدينية المختلفة.

---

(٢٨) نفس المرجع ص ١٢٨.

وقد أسفرت هذهالأتفاقية عن استقرار الأمن والنظام فى سوريا ولبنان حتى نشوب الحرب العالمية الأولى، وفى تلك الفترة باشرت البعثات العلمية الفرنسية أعمالها العلمية، حتى لقد قيل أنه فى سنة ١٩١٤م كان أكثر من نصف تلاميذ المدارس فى سوريا وفلسطين يتعلمون بمعاهد فرنسية (٢٩). وحصلت فرنسا على اعتراف الدول الأوروبية المجتمعة فى مؤتمر عقد ببرلين عام ١٨٧٨م على الاحتفاظ بالحقوق التى تمتلكها فرنسا ــ فى حماية الأماكن المقدسة فى فلسطين ــ وعلى أنه من المفهوم أنه لن يجرى أى تعديل فى وضعية الأماكن المقدسة (٣٠).

ظهرت المطامع الفرنسية فى سوريا ولبنان أثناء معارك الحرب العالمية الأولى فيما عرف باتفاق «سايكس ــ بيكو» (٣١) لعام ١٩١٦م الذى نص على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بحيث يكون نصيب فرنسا الجزء الأكبر من سوريا وجانب كبير من جنوب الأناضول ومنطقة الموصل فى العراق. وهذه المنطقة تشمل الشريط الساحلى لسوريا بما فى ذلك لبنان ثم ولاية أطنة ومرسين والأقاليم المعروفة إجمالا بإسم كيليكيا، وتدخل فى هذه المنطقة اسكندرونة. ولم يأت فى هذا الأتفاق مايدل على أن فرنسا كانت ممنوعة من ضم هذه المنطقة إليها إذا أرادت، كما لم يذكر الإتفاق أن من حق فرنسا ضمها إلى ممتلكاتها مباشرة هذا بالإضافة إلى المنطقة التى تشمل الموصل ثم مدن دمشق وحمص وحماه وحلب (٣٢).

وقد أكد الفرنسيون منذ هذا الإتفاق أن هناك وصاية أوحماية على سوريا ولبنان، فإن جورج بيكو خطب فى جمع من السوريين واللبنانيين فى فندق شبرد بالقاهرة فى ٢٥ أبريل سنة ١٩١٧م قائلا إن جميع دول الحلفاء قد انتخبوا فرنسا وصية على لبنان، وأن الحكم سيكون فى البلاد التى كان

---

(٢٩) جورج كيرك: المرجع السابق ص ١٢٩.

(٣٠) د. محمد مصطفى صفوت: مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وأثره فى البلاد العربية، ص ٤٨.

(٣١) شارك فى هذا الاتفاق مسيو جورج بيكو، وسير مارك سايكس مندوبا فرنسا وانجلترا فى القاهرة وقنصل روسيا فى القاهرة كذلك، وظل هذا الاتفاق سرياً حتى أذاعته الثورة الروسية عام ١٩١٧م.

(٣٢) د. أنيس، د. حراز: المرجع السابق ص ٢٣٨.

لها أمتيازها، والتى كانت محرومة من الامتياز سيمنح لها الامتياز والحكم العام الداخلى سيكون باستشارة الأهالى وأشار إلى قيام حماية فرنسية على سوريا (٣٣).

وأثناء الحرب صدر تصريح الرئيس الأمريكى «ويلسون» فى أوائل عام ١٩١٨م الذى يقضى بحق الشعوب فى تقرير مصيرها، وعقب انتهاء الحرب سيطرت القوات الفرنسية على المنطقة الساحلية فى سوريا من الناقورة جنوبا إلى كيليكيا شمالا وتديرها فرنسا. فى الوقت الذى احتلت القوات البريطانية فيه جنوب سوريا، وتسيطر حكومة فيصل العربية بقواتها العربية على سوريا الداخلية.. وقد ظهرت النوايا الفرنسية واضحة فى موقفها من حضور مندوبين عرب جلسات مؤتمر الصلح فى باريس، فقد استقبلت الحكومة الفرنسية الأمير فيصل كزائر كبير، ليس له صفة الممثل السياسى أوالمندوب الرسمى لحكومة معينة، وكان لهذا مغزاه، فان الحكومة الفرنسية لم تشأ أن تعترض للعرب حقوقا فى مؤتمر الصلح (٣٤).

ونتيجة لفشل فيصل فى مؤتمر الصلح وعودته إلى دمشق فى أوائل مايو ١٩١٩م تم تشكيل ماعرف بالمؤتمر السورى العام فى الشهر التالى، وفى خريف نفس العام كان الإتفاق قد تم بين «لويد جورج» و«كليمنصو» بإحلال الجيوش الفرنسية محل الجيوش البريطانية فى كيليكيا والساحل السورى على أن تبقى فلسطين فى عهدة الجيش البريطانى، وحصر سيادة العرب بالمنطقة الداخلية من سوريا، واشترط كليمنصو ألا تؤثر موافقته هذه فى التسوية النهائية المتعلقة بالانتدابات والحدود تأمينا لاستيلاء فرنسا على كامل سوريا (٣٥).

وفى ٨ مارس عام ١٩٢٠م أنعقد المؤتمر السورى العام وحضره مندوبون عن العراق، واتخذ عدة قرارات تقضى باستقلال سوريا بحدودها الطبيعية وارتقاء فيصل عرش الملكية فى دمشق، واستقلال العراق، وشجب القرارات

---

(٣٣) نفس المرجع ص ٢٥٢.

(٣٤) د. حسين النجار: المرجع السابق ص ٢٩.

(٣٥) د. أحمد عزت عبدالكريم وآخرون: المرجع السابق ص ٤٠٩ ـ ٤١٠.

الاستعمارية والصهيونية كاتفاق سايكس بيكو ووعد بلفور، ورفض الوصاية السياسية التى تحاول الدول الاستعمارية فرضها باسم الأنتداب، ورفض معونة فرنسا تماماً. ولكن هذه القرارات لم يكن لها صدى عند الدول الإستعمارية فقررت فرض الأنتداب الفرنسى على كل من سوريا ولبنان فى مؤتمر سان ريمو المنعقد فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠م، والإنتداب الانجليزى على العراق وفلسطين.

وكان معنى ذلك اشتعال الثورة فى كل من سوريا ولبنان ضد الأنتداب الفرنسى، وبالثورة يستمر الصراع بين السوريين واللبنايين من جهة، وبين قوات الاستعمار الفرنسى من جهة أخرى حتى تنجح المقاومة العربية فى جعل الوجود الاستعمارى على الأرض العربية مستحيلا ومن ثم يسلم فى النهاية بانهاء هذا الوجود، وبحصول سوريا ولبنان على استقلالها عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية.

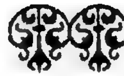
ثانيا ــ الاستقلال:

كان الاستعمار الفرنسى فى الوطن العربى أكثر إتساعا من غيره، حيث شمل سوريا ولبنان والجزائر وتونس ومراكش ــ المغرب ــ وموريتانيا، كما شمل جيبوتى، ويعتبر الكفاح الذى خاضته شعوب هذه الأقطار إضافة إلى لليقظة العربية.

وقد ارتبطت الحركة الوطنية فى كل من سوريا ولبنان معا رغم وجود بعض الاختلافات فى الوسائل. وما ذلك إلا لأن البلدين يكونان إقليما عربيا واحدا منذ القدم هو بلاد الشام، ومن ثم شهدت تلك البلاد ثورات متعددة ضد الأنتداب الفرنسى الذى أعلن بمقتضى معاهدة «سان ريمو» عام ١٩٢٠م، كان منها الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م التى قادها سلطان الأطرش وعبد الرحمن الشهبندر.

وشهد عام ١٩٣٦م عقد اتفاقية بين فرنسا وكل من سوريا ولبنان تقوم على اعتراف فرنسا بقيام نظام جهورى فى كل من سوريا ولبنان وجمعية تأسيسية سورية فى دمشق ولبنانية فى بيروت كل ذلك تحت إشراف فرنسا ومع إستمرار وجود القوات الفرنسية.

ورغم رفض حكومة فرنسا الجديدة التى أعقبت حكومة «ليون بلوم» التى وضعت الأتفاقيتين مع كل من سوريا ولبنان، إلا أن السوريين واللبنانيين تمسكوا بها، وانتهزوا إشتعال الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا أمام دول المحور واحتلال الألمان لفرنسا حيث حصلوا فى يناير عام ١٩٤٣م من فرنسا على فرصة إجراء أنتخابات لجمعية وطنية فى كل من دمشق وبيروت. وظهر من زعامات سوريا آنذاك شكرى القوتلى. وفى لبنان بشارة الخورى رئيساً للجمهورية ورياض الصلح رئيساً للوزراء، حتى خرجت القوات الفرنسية نهائيا من سوريا ولبنان فى أبريل عام ١٩٤٦م، وبذلك صارت سوريا دولة مستقلة، ولبنان دولة مستقلة وإن ربط بينهما علاقات خاصة.



▪ الفصـــل الخامس ▪

استقلال الأقطار العربية عن الاستعمار الإيطالى

• ليبيـا :

أولا : فترة الأستعمار.

ثانيا : فترة الأستقلال .

• الصــومال :

أولا : فترة الاستعمار.

ثانيا : الاستقلال .

◻ ليبيــا ◻

أولا : فترة الأستعمار

كان خروج إيطاليا إلى الاستعمار متأخرا عن غيرها من الدول الأوروبية ، وذلك بسبب تأخر وحدتها القومية ، وضعف إمكانياتها ، ومشكلاتها الداخلية المعقدة .. وليس معنى هذا أن إيطاليا لم يفكر أهلها فى إقامة مستعمرات لهم خارج حدودهم قبل الوحدة القومية إذا أن الإيطاليين كانوا يرجون قبل إتمام الوحدة القومية أن تستطيع مملكة نابولى ـــ النابلطان كما سماهم السنوسيون الأوائل ـــ الاضطلاع بمهمة هذا التوسع الخارجى ، وكان مايعنيهم مجرد التوسع لذاته فحسب سواء جرى هذا فى القارة الأوروبية ذاتها أو بعض جزر البحر الأبيض أو أقطار أفريقيا الشمالية (١) .

ولعل من المفيد هنا أن نسجل الدوافع التى حدت بإيطاليا غزو ليبيا ، وذلك أن إيطاليا خرجت من جهودها لتحقيق الوحدة القومية منهوكة القوى ومحملة بأعباء ومشكلات داخلية كالفقر وكثرة عدد العاطلين عن العمل (٢) ، إلى جانب الشعور بالنقص إزاء الدول الكبرى ذات المستعمرات (٣) ، بالأضافة إلى رغبة الإيطاليين فى استخدام رؤوس أموالهم

(١) د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ١٠٣ .

(٢) د. محمد السروجى : العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال ص ٧٢ .

(٣) د. زاهر رياض : شمال أفريقيا فى العصر الحديث ص ٢٢١ .

واستثمارها فى مشروعات تعود عليهم بالنفع و يتدرب الشباب الإيطالى على الأعمال المنتجة.

ومما يجب ملاحظته أن أهتمام الإيطاليين بإقامة مستعمرات أنصب فى المقام الأول على تونس أولا ثم طرابلس الغرب (ليبيا) ثانيا، لا سيما وأن تونس جعلها قربها من إيطاليا تتمتع بميزة لا تضارعها فيها طرابلس. هذا التقارب الذى أدى فى العصور القديمة إلى وجود علاقات إقتصادية وسياسية هامة بين هذا الجزء من شمال أفريقيا الذى كان يطلق عليه اسم قرطاجنة وبين إيطاليا ومنذ ذلك الوقت أخذ كل من شمال أفريقيا وإيطاليا يؤثر فى الآخر و يتأثر به(٤).

ولكن احتلال فرنسا لتونس عام ١٨٨١م قد وجه ضربة لأطماع إيطاليا فى تونس مما أساء العلاقة بين فرنسا وإيطاليا لدرجة جعلت الإيطاليين يتجهون صوب دول وسط أوروبا و يتناسون العداء التقليدى مع النمسا بل و يدخلون فى تحالف مع ألمانيا والنمسا كان الفضل فى إبرامه لبسمارك المستشار الألمانى الذى كان من المحبذين لفرنسا لكى تحتل تونس فتنصرف عن التفكير فى إقليمى الألزاس واللورين، وقد كسب بسمارك إيطاليا إلى جانبه مع النمسا فى تحالف ثلاثى(٥).

اتجه الإيطاليون إلى تحقيق مشروعات إستعمارية فى شرق القارة الأفريقية بعد أن ضاع أملهم فى تونس ورغم ما صادفوه من نجاح فى أول الأمر باستيلائهم على إقليم أرتريا إلا أن هزيمتهم فى موقعة عدوة على يد الأحباش قد جعلهم يعيدون التفكير فى إمتلاك أراض جديدة فى شمال أفريقيا وخصوصا فى ولاية طرابلس الغرب، وهى الولاية الوحيدة التى بقيت خاضعة للدولة العثمانية فى شمال أفريقيا(٦). وهكذا استغرقت جهود إيطاليا بعيدا عن ليبيا منذ عام ١٨٨٥م حين احتلت مصوع إلى عام

---

(٤) د. محمد السروجى: الموقف الدولى والاحتلال الايطالى لطرابلس ــ مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية العدد ٢٢ ــ ١٩٦٨م ــ ٢٧.

(٥) د. رأفت الشيخ: تطور التعليم فى ليبيا فى العصور الحديثة ص١٧٦.

(٦) نفس المرجع ص ١٧٧.

١٩٠٢م حين عقدت مع فرنسا اتفاقية تحقق بها أهدافها الإستعمارية فى ليبيا.

وبعقد معاهدة ١٩٠٢م بين فرنسا وإيطاليا التى قضت بإطلاق يد إيطاليا فى ليبيا و يد فرنسا فى مراكش تبدأ سلسلة من الجهود الإيطالية فى ليبيا من أجل السيطرة عليها، بدأت بفتح المدارس فى طرابلس وبنى غازى، وإرسال الجماعات التبشيرية، ولكن أهم من ذلك فتح فروع لبنك دى روما الذى أخذ يقرض الأهلين أموالا كثيرة بفوائد وشروط مجحفة، إلى جانب أن القنصلية الإيطالية فى كل من طرابلس وبنى غازى كانت مركزا للنشاط السياسى والدعاية الإيطالية والتجسس على أهل البلاد ومراكز الدفاع عنها ووسائلة (٧).

هذا إلى جانب وجود سياسين إيطاليين يرسمون سياسة إيطاليا الأستعمارية و يتحمسون لها أمثال السنيور «كرسبى» رئيس الوزارة الإيطالية فى المدة من ١٨٨٧ـ١٨٩١م، ثم عودته للحكم من ١٨٩٣ـ١٨٩٦م حيث سقط بسبب الفشل فى الحرب ضد الحبشة (٨)، ومثل السنيور «جوليتى» الذى تولى الوزارة من عام ١٨٩٢ إلى عام ١٨٩٣م ثم عاد للحكم مرة أخرى عام ١٩١١م حيث تم الغزو الإيطالى لليبيا فى عهد وزارته (٩).

وكل هذا هيأ الأذهان سواء فى إيطاليا أوخارجها لفكرة استيلاء إيطاليا على ليبيا، بل بلغ من قوة الدعاية الإيطالية أن صورت ليبيا بأن أراضيها مصدر خير وفير حتى بات الشباب الإيطالى يتغنى بطرابلس الجميلة، والعاطلون الإيطاليون يتمنون الإنتقال إليها فى ظل امتلاك إيطاليا لها، ولذلك لانعجب أن نرى الحكومة الإيطالية تعلن الحرب على تركيا فى سبتمبر سنة ١٩١١م بحجة أن الضباط ورجال جمعية الأتحاد والترقى الجهلة

---

(٧) د. نقولا زيادة: ليبيا. ص ٨٠.
(٨) د. رأفت الشيخ: المرجع السابق ص١٧٨.
(٩) خليفة المنتصر: ليبيا قبل المحنة وبعدها ص ١٠.

المتعصبين عرضوا للخطر الشديد أمن الرعايا الإيطاليين بتحريضهم أهالى طرابلس الغرب وبنى غازى ضدهم(١٠).

لم يكن الغزو الإيطالى لليبيا إذن مفاجئا لأن الأطماع الإيطالية فى ليبيا لم تكن خافية على الليبيين والأتراك، وقد بادر الليبيون منذ عام ١٩١٠م بالإبراق إلى الصدر الأعظم إبراهيم حقى باشا يعلمونه بعزمهم على رد كل هجوم وطلبوا إرسال وسائل تحصينات طرابلس المهملة والذخائر الحربية والبحرية وأطعمة لمدة عام، وأنهم سيدافعون عن وطنهم حتى آخر نقطة من دمائهم(١١). ولكن إبراهيم حقى لم يعمل شيئا، ولعل موقفه هذا يفسره أنه كان يعمل سفيرا لبلاده فى إيطاليا وزوجته إيطالية، ومن ثم فهو متهم بالتواطؤ مع الطليان لتسليمهم الولاية(١٢).

ويمكن القول أن تولى جماعة الأتحاد والترقى فى تركيا قد عجل بضياع طرابلس الغرب، فسياسة التتريك التى سارت عليها تلك الحكومة فى الولايات العربية لم تلق ترحيبا من قبل السنوسية فى طرابلس الغرب، بل إنها وقفت موقف عدم التأييد من إنشاء جمعية الإتحاد والترقى فى بنى غازى(١٣)، بسبب رأى الاتحاديين فى بعض الأمور الدينية التى كان السنوسيون يخالفونهم فيها، مما نفر الليبيين من الحكم العثمانى، وجعل العثمانيين مسئولين عن حدوث الغزو الإيطالى لليبيا.

حدث الغزو الإيطالى لليبيا فى سبتمبر ١٩١١م، ولكن الليبيين لم يستسلموا بل قاوموا حتى بعد أن اضطرت تركيا المتهالكة إلى استجداء الصلح مع إيطاليا، والذى تم بواسطة انجلترا فى لوزان بسويسرا فى أكتوبر سنة ١٩١٢م، وإذا كانت القوات التركية قد شاركت فى صد الغزو فى أوله إلا أن هذه القوات كانت مبعثرة هنا وهنالك، وكانت تجهيزاتها الحربية وتدريباتها العسكرية ضعيفة وقليلة بحيث حمل المواطنون العرب فى ليبيا

---

(١٠) عزيز سامح: الأتراك العثمانيون فى أفريقيا الشمالية ص ٢١٤.

(١١) نفس المرجع ص ٢٢١.

(١٢) د. رأفت الشيخ: المرجع السابق ص ١٧٤.

(١٣) د. محمد السروجى: المرجع السابق ص ٢٧.

عبء القتال وحدهم بمساعدات مادية ومعنوية من الدول العربية والإسلامية وعلى رأسها مصر وتونس(١٤).

ونتيجة لمعاهدة لوزان منح السلطان العثمانى أهل ليبيا الأستقلال الذاتى فى الوقت الذى لا يملك فيه هذا الحق، ولكنه منشور دعائى يحفظ به ماء وجهه أمام الشعوب العربية الإسلامية، ذلك أن ملك إيطاليا أصدر فى الوقت نفسه منشورا إلى الليبيين يذكر لهم فيه بأن بلادهم خاضعة خضوعا تاما للسيادة الملكية الإيطالية، ويعفو فيه عن الليبيين، ويعدهم بالمحافظة على الشعائر الدينية الإسلامية ويسمح لهم فيه بذكر اسم جلالة السلطان الأعظم بصفة خليفة المسلمين فى الصلوات العامة(١٥). بل وسرعان ما صار الإيطاليون يعتبرون المجاهدين الليبيين مجرد عصاة وثوار خارجين على الحكومة الشرعية ــ الحكومة الإيطالية ــ فى مقاومتهم، يستحقون لذلك الإعدام شنقا أو رميا بالرصاص إذا ما وقعوا فى أيديهم(١٦).

ولكن الليبيين لم يرهبهم ما حدث لهم من مذابح دموية أو إحراق مساكنهم ومزارعهم ومواشيهم ومن ثم استمر كفاحهم ضد قوات الغزو الإيطالى الغاشم رغم إنسحاب القوات التركية، وتحمل السنوسيون عبء النضال فى برقة بأسلوب حرب العصابات فى الجبل الأخضر الذى سيطر عليه الإيطاليون على قسم كبير منه خاصة مدنه، والذين صمموا على المضى فى الغزو رغم تكبدهم نفقات ودماء كثيرة، فى الوقت الذى عملت فيه السنوسية خصوصا حين نزعمهم السيد محمد إدريس على عقد إتفاق مع إيطاليا لإقرار الأمور فى برقة لصالح أهلها الذين طحنتهم المعارك الحربية وسياسة التجويع والتشريد والإبادة التى اتبعتها قوات الأحتلال.

وقد تم بالفعل عقد عدة اتفاقيات بين السنوسية وإيطاليا فى السنوات من ١٩١٧ إلى ١٩٢١م أمنت للبرقاويين عبادتهم وملكيتهم الفردية وإنشاء المدارس واحترام لغة البلاد إلى جانب انتخاب مجلس نيابى يساعد الأمير

(١٤) د. رأفت الشيخ: المرجع السابق ص ١٨٢.
(١٥) د. نقولا زيادة: ليبيا. ص ٨٣ــ٨٤.
(١٦) د. محمد فؤاد شكرى: المرجع السابق ص ١٣١.

السنوسى الذى اعترفت به كل من إيطاليا وانجلترا أميرا لبرقة. ولكن إيطاليا لم تكن مخلصة فى هذه الاتفاقيات بل وسعت إلى الوقيعة بين أهل البلاد حتى تضرب ضربتها بالتخلص من الحركة الوطنية الليبية، وقد ضيقت حكومة الاحتلال على الأمير السنوسى حتى ترك برقة وانتقل إلى مصر عام ١٩٢٢م تاركا قيادة الجهاد فى برقة للسيد عمر المختار أحد شيوخ الزوايا، خاصة وأن الحزب الفاشستى كان قد استولى على الحكم فى إيطاليا فى خريف هذا العام، واتبع سياسة العنف بصورة أشد مع الليبيين.

وأما فى طرابلس فقد استمر الكفاح يقوده زعماء القبائل أمام زحف القوات الإيطالية وإرهابها للأهالى حتى تم اختيار سليمان البارونى رئيسا لحكومة وطنية فى طرابلس ولكنه اضطر أمام ضغط الإيطاليين إلى ترك البلاد إلى الآستانة، ولكن الكفاح ظل مستمرا وتدفق المتطوعون إلى ميادين القتال والتحقوا بالمعسكر العثمانى بضواحى طرابلس وقلوبهم تلتهب حماسة وغيرة وإخلاصا، وإن الهمة مبذولة فى تأليف جيش كبير من المتطوعين تحت رئاسة ضباط مصر المتقاعدين وأكدت الصحف المصرية سفر قوافل عديدة من مطروح وبرانى وأولاد على تحمل معها الذخيرة والزاد مدججة بالسلاح الحديث(١٧).

وحاول الطرابلسيون تنظيم صفوفهم أثناء انشغال إيطاليا بمعارك الحرب العالمية الأولى ورغبتها فى تسكين جبهة القتال فى طرابلس حتى تنتهى الحرب، ومن ثم حصل الطرابلسيون على اعتراف من إيطاليا فى ٢١ أبريل ١٩١٩م بموجب صلح «بنى آدم» بالجمهورية الطرابلسية التى أقيمت منذ نوفمبر ١٩١٨ والتى أختير كل من سليمان البارونى ورمضان السويحلى وأحمد المريض وعبدالنبى بلخير لرئاستها والتى عمل لها المجاهد المصرى عبد الرحمن عزام مستشارا بعد أن أسهم فى قيامها.

ولكن النزاعات الداخلية قد فتت فى وحدة المجاهدين وأعطت الفرصة للإيطاليين. وكان أهم هذه النزاعات النزاع بين السنوسية ورمضان السويحلى زعيم مصراتة التى اتخذت شكل التعصب القبلى. هذا إلى جانب

---

(١٧) صفحات خالدة من الجهاد للمجاهد الليبى سليمان البارونى ص ٢١١.

الخلافات بين زعماء الجهاد فى طرابلس مثل الخلاف بين رمضان السويحلى فى مصراتة وعبد النبى بنخير فى أورفلة وغيرهم[18]. وبسبب عدم وجود الزعيم القوى كما هو الحال فى برقة جعل الحكومة الإيطالية تتدخل فى كل كبيرة وصغيرة، فوجد الزعماء من صالحهم الاعتراف لزعيم واحد بالسلطة العليا ورأوا فى السيد إدريس السنوسى أمير برقة الزعيم المسلم القوى[19]، فاتجهوا إليه ببايعونه بالزعامة فى نوفمبر ١٩٢٢م بوجود مجلس شورى من ٢٢ عضوا يمثلون الجهات المختلفة. وقد اعترفت إيطاليا بذلك فى بادىء الأمر ثم مالبثت أن بدلت سياستها بسيطرة الفاشست على الحكم فى روما وطرابلس.

ولكن الليبيين لم يستسلموا للضغط والإرهاب الفاشستى، بل استمر كفاحهم حتى انتهى تقريبا عام ١٩٣١م بالتخلص من قائد النضال فى برقة عمر المختار، وإن ظل الأمل يراود الليبيين فى إزاحة الاحتلال الإيطالى حتى انتهت الحرب العالمية الثانية وتنهزم إيطاليا وتجبرها قوات الحلفاء على ترك ليبيا.

ثانياً ـ الاستقلال:

منذ نجح الإيطاليون فى احتلال ليبيا بدءاً بعام ١٩١١م استمر كفاح الليبيين ضد الوجود الإيطالى بقيادة السنوسية فى برقة والقبائل فى طرابلس وفزان، ورغم استمرار كفاح الليبيين منذ الاحتلال الإيطالى حتى استشهاد عمر المختار عام ١٩٣١م، فإن الليبيين ساهموا فى هزيمة الطليان مع الألمان أثناء معارك الحرب العالمية الثانية وخاصة فى الميدان الأفريقى، حتى خرج الإيطاليون فى أوائل عام ١٩٤٣م من ليبيا.

وعقب جلاء الإيطاليين خضعت كل من طرابلس وبرقة لإدارة عسكرية بريطانية بينما خضعت فزان لإدارة عسكرية فرنسية حتى أخذ الوطنيون يطالبون بالاستقلال فى إطار ليبيا الموحدة، وسعت مصر وجامعة

---

(١٨) د. رأفت الشيخ: المرجع السابق ص ١٨٤.

(١٩) د. زاهر رياض: المرجع ص ٢٤٤.

الدول العربية فى المحافل الدولية حتى صدر قرار هيئة الأمم المتحدة فى نوفمبر عام ١٩٤٩م باستقلال ليبيا بأقاليمها الثلاثة (برقة وطابلس وفزان) فى موعد لايتجاوز الأول من يناير عام ١٩٥٢م، وبالفعل أعلن استقلال ليبيا فى ٢٤ ديسمبر ١٩٥١م.

وباستقلال ليبيا الموحدة نودى بمحمد أدريس السنوسى ملكا للبلاد تحت أسم المملكة الليبية المتحدة، وظلت تحمل هذا الأسم حتى صدر قرار ملكى فى ٢٧ أبريل ١٩٦٣م بانهاء النظام الاتحادى وأصبح الأسم النظام الملكى وأصبح أسم ليبيا الجمهورية العربية الليبية.

الصــــومال

أولاًــ فترة الاستعمار:

تسابقت كل من انجلترا وفرنسا وإيطاليا حول ممتلكات مصر الأفريقية بصفة خاصة وحول ساحل أفريقيا الشرقى وساحل البحر الأحمر الأفريقى بصفة عامة. فقد تأسست مستعمرة انجليزية على أنقاض الممتلكات المصرية عرفت بالصومال الانجليزى ضمت موانى زيلع وبلهار وبربره على خليج عدن، وهى التى استولى عليها الأنجليز منذ أن أخلاها المصريون بين عامى ١٨٨٥، ١٨٨٨م. وأبلغت بريطانيا الدول الأوروبية ــ تطبيقا لقرارات مؤتمر برلين ــ أن الساحل الصومالى ابتداء من رأس جيبوتى إلى بندر زيادة قد وضع تحت الحماية البريطانية (٢٠) وكان هذا التبليغ إيذانا وإعلانا بتأسيس المستعمرة البريطانية فى الصومال فى مواجهة المستعمرة البريطانية فى عدن، ومعنى ذلك أن بريطانيا أمسكت بباب المندب مدخل البحر الأحمر الجنوبى فى الوقت الذى تسيطر فيه على مصر وقناة السويس شمالا منذ احتلال قواتها لمصر عام ١٨٨٢م.

وكانت انجلترا تبذل قصارى جهدها لكى تبعد أطماع الدول الأوروبية عن حوض النيل وذلك منذ إخلائه من المصريين وسيطرة المهدية عليه،

---

(٢٠) د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسودان ٤٤٧.

وذلك لكى يضبح منطقة نفوذ لها وحدها، وكانت فرنسا الدولة الأوروبية المعاندة لمشروعات بريطانيا فى مصر والسودان بل وفى شرق ووسط أفريقيا، قد بدأت على مضايقة انجلترا فى مصر، ورأت أن تدبر حملة عسكرية تغرس العلم الفرنسى فى فاشودة تستعمله سلاحا للضغط على انجلترا سياسيا لاجلائها عن مصر(٢١). وكانت انجلترا تدرك أطماع فرنسا، ولذلك نجد السير «إدوارد جراى» وزير الخارجية البريطانية يرد على سؤال فى مجلس العموم البريطانى فى عام ١٨٩٥م قائلا: إن انجلترا لها صفة الوصية المكلفة بالدفاع عن مصالح مصر، وبما أن مصر لها مطالب فى وادى النيل فإن منطقة النفوذ البريطانى تشمل جميع وادى النيل(٢٢).

وكانت فرنسا قد بدأت تأسيس مستعمرة لها فى الساحل الصومالى منذ أن استولت على ميناء أوبوك عام ١٨٨٥م وفرضت الحماية على تاجورة وماجاورها وتأسيس ميناء جيبوتى(٢٣)، ومن ثم تلامست مناطق النفوذ لكل من انجلترا وفرنسا فى الصومال فعقدت بين الدولتين معاهدة عام ١٨٨٨م. وكان التدخل الفرنسى فى الشئون الداخلية لسلطنة زنجبار وممتلكاتها على الساحل الصومالى عام ١٨٥٩م من أجل الحصول على مواقع فرنسية على الساحل الصومالى فى مواجهة المركز الاستعمارى الذى كانت بريطانيا قد حصلت عليه فى زنزبار ذاتها منذ عام ١٨٤١م(٢٤)، ونتيجة معاهدة ١٨٨٨م مع انجلترا تأسس الصومال الفرنسى تحت إدارة موحدة جعلت عاصمته ميناء جيبوتى.

كانت انجلترا منذ أن فرضت على مصر سياسة إخلاء السودان تتخذ موقفا متناقضا. فبينما تعلن لمصر أن السودان وأملاك مصر فى أفريقيا قد صارت أرض خلاء لامالك لها، نجدها تقف أمام تحقيق الاطماع الاستعمارية الأوروبية فى أملاك مصر الأفريقية بدعوى أن حقوق السيادة

---

(٢١) د. مكى شبيكة: السودان عبر القرون ص٤٢٤.

(٢٢) د. محمد صبرى: الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ص٢٣٤.

(٢٣) د. رأفت الشيخ: أفريقيا فى العلاقات الدولية ص١٣٠.

(٢٤) Coupland, E.: Exploitation of East Africa; p. 338.

على هذه الأملاك لمصر، ولايعنى أنها معطلة الآن بسبب سيطرة الثورة المهدية انتهاؤها ومن ثم وجدنا انجلترا تتصرف فى هذه الأملاك وكأنها الوصية عليها تعطى لمن تشاء من الدول أجزاء من هذه الأملاك وتقف دون الدول الأخرى.

وكانت إيطاليا تطمع فى أجزاء من ممتلكات مصر على ساحل البحر الأحمر منذ أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر، وكانت مصر تعارض مشروعات إيطاليا فى هذه الجهات التى أتخذت من النشاط التجارى ستارا تخفى به غرضها، وقد أيدت انجلترا مصر فى معارضتها لنشاط إيطاليا ولكن فى عام ١٨٨١م وجدنا انجلترا تغير سياستها نحو إيطاليا، والسر فى ذلك تكشف عنه مذكرة فى سجلات وزارة الخارجية الإنجليزية كتبت فى سبتمبر تقول: إن الفرنسيين يبذلون أقصى جهد لإخراج مصر من قبضة انجلترا (٢٥). وبناء على موافقة انجلترا تحولت ميناء عصب إلى مستعمرة إيطالية فى يونيو ١٨٨٢م، كما إحتل الإيطاليون بلدة «بيلول» الواقعة إلى الشمال من خليج عصب وكانت بها حامية مصرية طردتها السلطات الإيطالية وكان ذلك فى يناير ١٨٨٥م، وفى الشهر التالى احتلت إيطاليا مصوع، وبذلك سيطرت على كل الساحل من عصب إلى مصوع، ومن ثم تأسست مستعمرة أرتريا الإيطالية على حساب ممتلكات مصر.

تم تحقيق النشاط الإيطالى فى ساحل البحر الأحمر المصرى بموافقة انجلترا، التى لا تخشى من إيطاليا كما تخشى من فرنسا. فمن الطبيعى إذن أن يتفق الطرفان حتى تصبح إيطاليا عونا للانجليز ضد الدراويش ـ المهديين ـ من ناحية والفرنسيين من ناحية أخرى، لهذه الأسباب أعطت مصوع لإيطاليا ثم شجعت على تأسيس مستعمرة أرتريا وإرسال بعثات علمية وتجارية إلى إقليم هرر، كذلك تفاهمت الدولتان سرا على أن جميع الأراضى الحبشية تعتبر دائرة نفوذ لإيطاليا وتستطيع أن تؤسس فيها امبراطورية (٢٦)،

---

(٢٥) د. محمد صبرى: المرجع السابق ص ١٦٥.

(٢٦) د. على ابراهيم عبده: المنافسة الدولية فى أعالى النيل ص ١١٠.

كما سمح الانجليز لإيطاليا باحتلال مديرية كسلا السودانية التى كانت آنذاك فى دائرة سيطرة المهديين.

وما لبثت إيطاليا بعد أن تأسست مستعمرة أرتريا أن اتجهت أنظارها إلى ساحل الصومال الشرقى فأرسلت سفينة حربية إيطالية إلى مياه ساحل الصومال المطل على المحيط الهندى لكشف هذه الأصقاع تمهيدا لاحتلالها وضمها إلى الممتلكات الإيطالية التى كانت حكومة روما تعمل على تكوينها بمساعدة انجلترا فى شرق أفريقيا(٢٧). وأعقب ذلك احتلال إيطاليا لبقية الساحل الجنوبى لخليج عدن بعد حدود الصومال الإنجليزى. وفى فبراير سنة ١٨٨٩م قبلت سلطنة أوبيا ـ فى الصومال ـ الحماية الإيطالية(٢٨).

وقد بدأ تأسيس المستعمرة الإيطالية فى الصومال بحصول شركة إيطالية فى عام ١٨٨٦م على حق استغلال موانى كيسمايو «قسمايو» وبراڤا ومركة ومقديشو من شركة شرق أفريقيا البريطانية لمدة خمس وعشرين سنة تتجدد لمدة أخرى إذا رغبت الحكومة الإيطالية فى ذلك(٢٩) وقد توسعت إيطاليا فى إستغلالها حتى اصطدمت بالحبشة، ثم عقد معاهدة «أوتشيالى» بين إيطاليا والحبشة فى ٢ مايو ١٨٨٩م، وهى المعاهدة التى أثارت خلافا بين الطرفين بسبب تفسير المادة ١٧ منها التى نصت على أنه يجوز لملك الحبشة أن يعتمد على الحكومة الإيطالية فى مباشرة السياسة الخارجية للحبشة. وكان هدف الإيطاليين من ذلك هو تحقيق الإدعاءات الحبشية على كل الأقليم من هرر حتى النيل(٣٠).

وقد أرادت إيطاليا أن تحصل على تأييد انجلترا وموافقتها على ادعاءاتها فى شرق أفريقيا بصفة عامة، ومن ثم عقدت اتفاقات بين الطرفين فى مارس وأبريل عام ١٨٩١م اعترفت فيها انجلترا بخضوع أكبر جزء من أراضى السودان المصرى التى تقع بين هضبة البحيرات «ورأس جردافوى» للنفوذ

---

(٢٧) د. السيد حراز: التوسع الايطالى فى شرق أفريقيا.. ص١٧٨.

(٢٨) د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسودان ص٤٤٩.

(٢٩) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص٢٢٦.

(٣٠) د. رأفت الشيخ: أفريقيا فى العلاقات الدولية ص١٥٧.

الإيطالى كما اعترفت بكل أثيوبيا وجزء من التاكا وسنار التابعتين لمصر داخل منطقة النفوذ الإيطالى فى شرق أفريقية([٣١]) . وهذه الاتفاقات تنظم الحدود بين مناطق النفوذ الإنجليزى والإيطالى فى الصومال بما يبعد عن الصومال الفرنسى وقد استكمل تخطيط الحدود بين الصومالين الانجليزى والإيطالى فى إتفاق ٥ مايو ١٨٩٤م بين انجلترا وإيطاليا([٣٢]).

انطلقت إيطاليا تحقق ادعاءاتها على الحبشة متخذة من مستعمرة ارتريا مركزا لنشاطها ولكن الأحباش رفضوا التفسير الإيطالي لمعاهدة أوتشيالى فدارت معركة حاسمة فى «عدوة» فى أول مارس ١٨٩٦م كانت نتيجتها فى صالح الأحباش مما اضطر الإيطاليين إلى ترك أحلامهم فى شرق أفريقيا ، وعقدت معاهدة بين إيطاليا والحبشة عرفت بمعاهدة أديس أبابا فى اكتوبر من السنة نفسها ، وفيها حددت الحدود نهائيا بين المستعمرة وأثيوبيا ـ الحبشة ـ([٣٣]).

ونتيجة لمعركة عدوة تحول الأهتمام الإيطالى فى شرق أفريقية عن التوسع على حساب الممتلكات الحبشية إلى التوسع فى الساحل الصومالى وقد استطاعت إيطاليا بالفعل تدعيم نفوذها فى موانى قسمايو وبراڤا ومركة ومقديشو حتى وصلت أملاكها إلى رأس دلجادو فى الشمال ، وكونت من هذه الجهات مستعمرة ثانية فى أفريقيا عرفت بمستعمرة الصومال الإيطالى ظهرت للوجود فى بداية القرن العشرين ([٣٤]). وهكذا انتهى التنافس الدولى فى شرق أفريقيا بخضوع الأجزاء الشمالية منه لسلطة إيطاليا وهى الأجزاء المعروفة بساحل البنادر ـ الساحل الصومالى ـ وستظل فى إدارة هذه حتى الحرب العالمية الثانية([٣٥]).

---

(٣١) د. السيد حراز: المرجع السابق ص ٣٤١.
(٣٢) د. محمد فؤاد شكرى: المرجع السابق ص ٤٥١.
(٣٣) د. زاهر رياض: المرجع السابق ص ٢٢٧.
(٣٤) د. رأفت الشيخ: المرجع السابق ص ١٥٨.
(٣٢) د. جلال يحيى: التنافس الدولى فى شرق أفريقيا ص ٣٨٢.

ثانيا: الاستقلال

الصومال خمسة أقاليم خضعت كلها للإستعمار الأوروبى، فهناك الاستعمار الانجليزى فى الصومالى الشمالى، والاستعمار الإيطالى فى الصومال الجنوبى والصومال الفرنسى فى جيبوتى، والاستعمار الانجليزى فى إقليم إنفدى بشمال كينيا. والاستعمار الأثيوبى فى الصومال الغربى أو أوجادين.

وقد نشأت الحركة الوطنية الصومالية فى أحضان رجال الدين، حيث قاد السيد محمد عبد الله حسن حركة الجهاد ضد الوجود البريطانى فى الصومال الشمالى من عام ١٨٩٩ حتى عام ١٩٢٠م عندما توفى محمد عبد الله حسن.

كما ثارت القبائل الصومالية فى منطقة بنادر ضد الإيطاليين بالتعاون مع ثوار الصومال البريطانى، ثم ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية أحزاب وجمعيات وطنية مثل حزب «الشباب الصومالى» وحزب «الرابطة الصومالية» وكلها تدعو إلى استقلال ووحدة الصومال الكبير.

وفى عام ١٩٤٩م قررت هيئة الأمم المتحدة أن تصبح الصومال تحت وصاية الأمم المتحدة ثم دولة مستقلة ذات سيادة بعد عشر سنوات وأن تكون إيطاليا هى الدولة الوصية نيابة عن الأمم المتحدة وأن يكون للهيئة مجلس استشارى مقيم فى الصومال يضم ممثلين عن مصر والفلبين وكولومبيا ومهمته مراقبة عملية نقل الصومال من مرحلة الوصاية إلى مرحلة الإستقلال.

ونتيجة لهذه الجهود أعلن إستقلال الصومال الشمالى فى ٢٦ يونيو عام ١٩٦٠م بينما أعلن استقلال الصومال الجنوبى فى أول يوليو من نفس العام، وفى اليوم الثانى من يوليو ١٩٦٠م اجتمعت الجمعية الوطنية فى الصومال الجنوبى والمجلس التشريعى للصومال الشمالى فى قاعة البرلمان بمقديشو، وفى جو يسوده الأبتهاج والفرح تم إتحاد الأقليمين لتظهر الجمهورية الصومالية.

ومنذ عام ١٩٦٠م أخذت جمهورية الصومال تسعى لتكوين الصومال الكبير ومن ثم توترت علاقتها مع كينيا بسبب إقليم إنفدى، واصطدمت مع

أثيوبيا بسبب إقليم أوجادين ، كما عملت فرنسا على إعلان استقلال جيبوتى ، ومن ثم لم تتحقق وحدة الصومال الكبير حسبما حددت جمهورية الصومال فى دستورها .



الباب الثالث

الأقطار العربية والإسلامية المعاصرة

- مقدمة
- الفصل السادس: المملكة العربية السعودية.
- الفصل السابع: موضوعات فى تاريخ اليمن.
- الفصل الثامن: سلطنة عمان.
- الفصل التاسع: الكويت والعراق.

■ مقـدمة ■

أعنى بموضوعات هذا الباب تلك الدول العربية الإسلامية التى نهضت فى القرن العشرين نهضة واضحة بفضل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فكان قيام المملكة العربية السعودية فى مرحلتها الثالثة على يد المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود علامة بارزة فى التاريخ العربى الإسلامى، كما كان أبناؤه على العهد فى إستمرار المسيرة.

كما أن هناك مستجدات فى التاريخ اليمنى، ومن ثم جاءت موضوعات الصراع الإستعمارى حول الجزر اليمنية فى القرن التاسع عشر كمحاولة لانتقاص السيادة اليمنية، وموضوع أمن البحر الأحمر بين مصر والسعودية واليمن دليل على إهتمام الدول الثلاث بالأمن السياسى والعسكرى والأقتصادى لأقطار البحر الأحمر.

وتمثل سلطنة عمان ركيزة عربية إسلامية عند مدخل الخليج العربى وهى أقدم الكيانات السياسية فى شرقى الجزيرة العربية، ومن ثم كان لابد من إفراد دراسة لها خاصة فى القرنين التاسع عشر والعشرين حتى الوقت المعاصر.

ونتيجة لغزو العراق للكويت فى أغسطس ١٩٩٠م كان لابد أن نناقش ما إدعاه رئيس العراق بوجود حق تاريخى للعراق فى الكويت ونتابع تاريخ العلاقة بين الطرفين حتى إنتهاء الأزمة مع مقارنة هذا الأدعاء بالإدعاء الصهيونى بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين.

■ الفصل السادس ■

المملكة العربية السعودية

ـ مقدمـــة

ـ عبد العزيز بن عبد الرحمن

ـ سياسته فى بناء الدولة :ـ

أولا : توحيد البلاد .

ثانيا : البناء الداخلى .

ثالثا : السياسة الخارجية .

ـ أبناء عبد العزيز بن عبد الرحمن .

■ مقدمـــة ■

جاء قيام المملكة العربية السعودية فى قلب شبة الجزيرة العربية إمتداداً من ساحل الخليج العربى حتى ساحل البحر الأحمر بعد كفاح طويل ضد قوى داخلية وقوى خارجية ، مستنداً إلى ميراث آل سعود منذ منتصف القرن الثامن عشر عندما تحالف الإمام محمدبن عبدالوهاب صاحب دعوة التوحيد السلفية مع الأمير محمدبن سعود حاكم الدرعية ورئيس الأسرة السعودية .

وقد إنطلق آل سعود منذ منتصف القرن الثامن عشر يبنون ملكهم فى أنحاء شبه الجزيرة العربية داعين إلى التوحيد السلفى ، كما كان قيام المملكة العربية السعودية فى عهدها الثالث المعاصر على يد عبدالعزيزبن عبد الرحمن آل سعود دفعا للتخلف وتمسكا بكل تقدم علمى وسياسى واقتصادى واجتماعى وثقافى لا يتعارض مع مبادىء دعوة التوحيد السلفية .

ويميل بعض المؤرخين إلى إطلاق إسم الدولة السعودية الأولى على المرحلة الأولى من تاريخ آل سعود والتى إنتهت عام ١٨١٨م ، وإطلاق إسم الدولة السعودية الثانية على الملك الذى شاده الإمام فيصل بن تركى والذى انتهى عام ١٨٦٦م ، وإطلاق إسم الدولة السعودية الثالثة على الملك القائم حتى الآن منذ شاده عبدالعزيزبن عبد الرحمن أول القرن العشرين .

وهذ التقسيم شائع فى كتابات المؤرخين ويهدف إلى تحديد وقائع وأحداث كل مرحلة من المراحل التى مر بها ملك آل سعود فى شبه الجزيرة العربية ،

وإن كنت أميل إلى الأخذ بفكرة وحدة التاريخ السعودي من القرن الثامن عشر وحتى الآن وذلك لسببين رئيسيين هما:

١- كانت ومازالت وستظل إن شاء الله دعوة التوحيد السلفية التي رفعها الإمام محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود في نجد محور ثقافة المجتمع في شبه الجزيرة العربية حتى في الفترات التي توارى فيها ملك آل سعود إلى حين.

٢- استمر تسلسل الأمراء من آل سعود منذ منتصف القرن الثامن عشر بدءاً بمحمد بن سعود وحتى الآن بولاية فهد بن عبد العزيز لعرش آل سعود.

وعلى هذا يمكن تقسيم التاريخ السعودي الموحد إلى مراحل أو فترات زمنية مع إبراز الاستمرارية في هذا التاريخ للأسباب التي ذكرناها، ولذلك يمكن القول المرحلة الأولى لملك آل سعود (١٧٤٤-١٨١٨م) ثم المرحلة الثانية (١٨٤٣-١٨٦٥م) ثم المرحلة الثالثة من ١٩٠٢م حتى الآن وهي المرحلة التي زاد الاهتمام بها عند المؤرخين ومازال الاهتمام بها مستمراً...

وإذا كنا قد تعرضنا للمرحلة الأولى ثم المرحلة الثانية لملك آل سعود أثناء معالجتنا لدعوة التوحيد السلفية في كتابنا تاريخ العرب الحديث، فإننا سنركز هنا على المرحلة الثالثة التي بدأت عام ١٩٠٢م على يد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

فقد استرد عبد العزيز مدينة الرياض عام ١٩٠٢م من آل رشيد ثم استطاع خلال السنوات القليلة التالية أن يوحد نجد تحت سيطرته ثم مد سلطته إلى الإحساء التي دخلت في حوزته عام ١٩١٣م، ثم تطلع إلى الحجاز واستطاع أن يستولى عليها في أواخر عام ١٩٢٥م وأطلق نفسه ملكاً للحجاز في يناير ١٩٢٦م، كما ضم إقليم عسير عام ١٩٣٤م.

وكان الملك عبد العزيز قد أطلق اسم المملكة العربية السعودية على مملكته عام ١٩٣٢م وسعى للحصول على اعتراف العالم به وخاصة الأقطار العربية الشقيقة، ولذلك وقع معاهدات صداقة وحسن الجوار منذ استولى

على الحجاز من شريف مكة، فعقد مع كل من تركيا وإيران معاهدة عام ١٩٢٩م، ومع العراق عام ١٩٣٠م، ومع شرق الأردن عام ١٩٣٣م، ومع اليمن عام ١٩٣٤م، ومع مصر عام ١٩٣٦م.

◻ عبد العزيز بن عبد الرحمن ◻

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود ولد بقصر الإمارة بمدينة الرياض عام ١٢٩٣هـ الموافق لعام ١٨٧٦م وذلك أيام النكبة التي لاقتها الأسرة السعودية بسبب الانقسام فيما بينها، فلما رحل أبوه الإمام عبدالرحمن عن الرياض ليعيش في المنفى مع أسرته لم يكن عبدالعزيز قد تجاوز العاشرة من عمره(١).

ولما بلغ عبد العزيز سن العشرين كان قد نضج جسما وعقلا، وإذ كان طول قامته ستة أقدام وبوصتين، وهذا طول أخاذ غير عادي بالنسبة للرجل من صحراء البلاد العربية، وكان من عظماء الفروسية العربية وقد اكتسب الفروسية وفنون الحرب والقتال من خلال احتكاكه بالقبائل البدوية في نجد وعلى حافة الربع الخالي(٢).

وعندما كان عبد العزيز صبيا عهد به أبوه الإمام عبدالرحمن إلى القاضي عبدالله الخرجي من علماء الخرج فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ سورا من القرآن الكريم إلى جانب تلقيه أصول الفقه والتوحيد على يد بعض علماء عصره أمثال الشيخ محمد بن مصيبيح، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف(٣).

وقد صقلت شخصية عبد العزيز من معيشته في البادية حيث الخشونة وحيث اختلط بالقبائل العربية وشاهد صراعاتها وشارك في الأحداث

---

(١) أمين سعيد: سيرة فوق الرمال، الطبعة الثانية بيروت، ١٩٦٦م ص ٤٥.

(٢) محمد المانع ترجمة د. عبدالله صالح العثيمين: توحيد المملكة العربية السعودية، الرياض ١٩٨٧م، ص ٢٣٧.

(٣) خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٧٧.

النجدية، كما إستفاد من مرافقته لوالده وهو دون سن العشرين حيث قام بتوصيل رسائل والده إلى شيوخ القبائل وأمراء الأقطار الخليجية.

وقد تعددت صفات عبد العزيز، فهو رجل موحد خالص التوحيد فى خاصة نفسه، ملتزم منهج السلف الصالح فى توحيد الألوهية والربوبية والإسم والصفات، لا يدعو غير الله ولا يسأل غيره ولا يشرع ما لم يأذن به الله(٤) كما أنه أتصف بكرم الخلق وبسط اليد فقلما يرد سائلا يطلب معونته أومحتاجا قصد بابه، وهو يشرف بنفسه على إعطاء القاصدين حسب منازلهم التى لا تخفى عليه ويقابل زائريه بوجه باش ويأخذ ألبابهم بابتسامته التى قلما تفارقه(٥).

كما كانت الشجاعة إحدى صفات عبد العزيز الأساسية، ولم تكن شجاعة المتهور بل شجاعة القائد العسكرى الموهوب الملتزم المتزن الذى لا يقدم على مغامرة إنتحارية غير محسوبة، ويدخل المعارك قوى الأعصاب فيشجع رفاقه على خوضها مؤملين النصر على العدو. ورغم ذلك كان يفضل أن يكسب الآخرين بدون حرب بدلا من أن يحاربهم لينتصر عليهم انطلاقا من حقيقة أن خصومه هم أيضا أبناء بلده وأفراد شعبه يحرص على حقن دمائهم ودماء رجاله.

ويمكن أن نضيف صفات أخرى لعبد العزيز مثل الوفاء، وحسن اختيار الرجال الذين يرجو أن يعملون معه بإخلاص، واصطناع الرجال الذين كانوا فى يوم من الأيام خصوما، إلى جانب قوة شخصيته وهيبته فى نفوس الناس، والتمتع بإرادة قوية، فلا النصر يطغيه ولا الهزيمة تثنيه أوتفل من عزيمته(٦).

ومن صفات عبد العزيز كذلك كراهية التزلف والمديح والرغبة فى الثناء بالحق وبالباطل، وهذه الصفة من أقوى ما يتصف به أهل الحل والعقد لأنها

---

(٤) د. عبد الله بن عبد المحسن الزركلى: المنهج القويم فى الفكر والعمل ص٣٦.

(٥) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية ص٢٦.

(٦) د. عبدالله العثيمين: عوامل نجاح الملك عبدالعزيز فى توحيد البلاد. مؤتمر تاريخ الملك عبدالعزيز ـ الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

تبعد عنهم شبح النفاق، وذلك قال للناس أدعوكم إلى الدين وإتباع آثار السلف الصالح وإتخاذ الصراحة فى القول والإخلاص فى العمل وترك الرياء والملق (٧).

كذلك كان التواضع الجم من صفات عبد العزيز الأصيلة، فقد حاول بعض المحيطين به أن يلقبوه بلقب «حامى حمى الحرمين الشريفين» على غرار ما كان سلاطين الدولة العثمانية يلقبون أنفسهم بهذا اللقب، ولكنه رفض قائلاً أفضل أن يكون لقبى «خادم الحرمين الشريفين»، وكان يرددها كثيرا فى خطبه، وقد بقيت هذه السنة فى عقبه من بعده.

تلك كانت شخصية عبد العزيز مكوناتها وصفاته، سقتها لكى تفسر من خلالها وفى ضوئها سياسته الداخلية فى توحيد شبه الجزيرة العربية وحكمها، وسياسته الخارجية فى علاقاته بالأقطار العربية والإسلامية الشقيقة والأقطار الأجنبية صديق أوغير صديق.

□ سياسة عبد العزيز فى بناء الدولة □

أولاً ـ توحيد البلاد:

عندما حدث الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركى حول رئاسة الدولة العثمانية خرج نفر من هؤلاء من الرياض بحثا عن ملجأ يلجئون إليه إلى حين تتهيأ الظروف للعودة مرة أخرى لإعادة بناء الدولة بالرياض، وكان من بين هؤلاء النفر الإمام عبدالرحمن الفيصل وأبناؤه وفيهم عبدالعزيز.

وكان خروج عبد الرحمن من الرياض بعد أن بقى فيها إلى جانب أخيه عبدالله بن فيصل فى الرياض منذ عام ١٢٨٢هـ الموافق لعام ١٨٦٥م إلى وفاة عبدالله عام ١٣٠٧هـ الموافق لعام ١٨٨٩م على الرغم من سيطرة ابن رشيد ـ عامل آل سعود السابق على جبل شمر على الأمور فى نجد ودخوله الرياض وتولية أحد رجال ابن الرشيد إمارتها.

---

(٧) أصدق البنود فى تاريخ عبد العزيز آل سعود ص٢٣٦.

تولى عبد الرحمن الإمامة فى الرياض لمدة عامين فى حياة أخيه عبد الله بن فيصل وعليها عامل من قبل ابن رشيد (١٢٩١ـ١٢٩٣هـ) ثم تنازل لأخيه حتى وفاته ومن ثم وثب عبد الرحمن على «سالم السبهان» عامل ابن رشيد واعتقله وجدد له أهل الرياض البيعه فى ١٢ ذى الحجة ١٣٠٧هـ، ولكن ذلك تسبب فى هجوم ابن الرشيد على القصيم فى جمادى الآخر ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م متجها إلى الرياض مما دفع بعبد الرحمن إلى الخروج من الرياض ومعه بعض أسرته وأقاربه ورجاله.

تنقل عبد الرحمن الفيصل بين الدهناء وبين يبرين والأحساء على مقربة من منازل آل مرة والعجمان، وترك نساء الأسرة فى ضيافة أمير البحرين عيسى بن خليفة ليتفرغ لحياة الجهاد فى الصحراء ضد آل رشيد، ورغم ترحيب آل ثانى فى قطر بإقامة أسرة عبد الرحمن الفيصل حيث أقام هناك بأسرته من صفر إلى جمادى الأولى ١٣١٠هـ الموافق أغسطس إلى نوفمبر ١٨٩٢م، فإن المقام استقر بعبد الرحمن وأسرته فى الكويت فى ضيافة الشيخ مبارك آل صباح بناء على ترتيب مع الدولة العثمانية، ومن ثم انتقل عبد الرحمن بأسرته من قطر إلى الكويت عام ١٣١٠هـ الموافق عام ١٨٩٢م (٨).

ومن الكويت حيث عاش هناك وأكتسب خبرة سياسية وعسكرية، حيث شارك فى صراع الشيخ مبارك آل صباح مع ابن رشيد خرج عبد العزيز فى طريقه إلى الرياض لإستعادة ملك آبائه وأجداده فى مغامرة نجحت بتوفيق من الله وانتهت بسقوط الرياض فى يد عبد العزيز ورجاله الذين تراوح عددهم بين أربعين وستين رجلا، وقد تم ذلك كله فى ٥ شوال ١٣١٩هـ الموافق ١٢ يناير ١٩٠٢م عندما كانت خيوط الشمس تشرق على الرياض حيث نادى المنادى بأن عبد العزيز دخل الرياض وأن عامل ابن الرشيد قد قتل، فخرج إليه الناس فرحين مستبشرين بعد أن كانوا قد لقوا

---

(٨) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ٢٠.

الكثير من العذاب والاضطهاد فى ظل الحكم القاسى الذى مارسه ابن الرشيد(٩).

ومن الرياض إنطلق عبد العزيز لتوحيد شبه الجزيرة العربية، وكان عليه مواجهة قوى محلية وخارجية ولم يكن يملك فى البداية جيشا جراراً أوجندا كثيفة ولا ثروة طائلة ليحقق بها هدفه وكان يملك فقط إيماناً راسخا بالله سبحانه وتعالى وعقيدة فى أحقية آل سعود بملك هذه البلاد ورجالا مخلصين شدوا من أزره سواء من أهله آل سعود أومن القبائل الضاربة فى أنحاء الجزيرة العربية المناصرة لحق آل سعود.

وكان آل رشيد فى جبل شمر أولى القوى التى كان على عبدالعزيزبن عبدالرحمن آل سعود مواجهتها، وذلك لأنه إستعاد منهم الرياض وما حولها ولم يكن عبدالعزيزبن متعب بن رشيد زعيم جبل شمر وهو الرجل المشهور له بالشجاعة والرهبة التى غرسها فى قلوب أعدائه بالذى يذعن لمغامرة عبدالعزيزبن عبدالرحمن آل سعود باستخلاص الرياض منه، ومن ثم قرر إرسال حملة إنتقامية لإسترداد الرياض من عبدالعزيزبن سعود ولكن كبرياءه أضرت به، حيث لم يقرر الزحف جنوبا باتجاه الرياض إلا فى خريف عام ١٩٠٢م مما أعطى ابن سعود مهلة تسعة شهور ثمينة يمكن خلالها من تثبيت مواقعه من حيث إصلاح استحكامات المدينة وإعادة السيطرة على أجزاء كثيرة من المناطق الممتدة من الرياض حتى حدود الربع الخالى، وتكوين جيش كاف يتيح له أن يترك الرياض فى عهدة أبيه عبد الرحمن و يغزو المناطق الواقعة جنوبها لتوسيع نفوذه (١٠).

وقد استمر الصراع بين عبد العزيز آل سعود، وعبدالعزيزبن الرشيد بضع سنوات كان ينتهى فى معظمها بمكاسب لابن سعود بسبب تأييد القبائل النجدية له لصفاته التى ذكرناها وكراهيتهم لابن الرشيد لصفاته غير المقبولة منهم، ولم يأت عام ١٣٢٢هـ الموافق لعام ١٩٠٤م حتى كان عبدالعزيزبن

---

(٩) أحمد عسه: المرجع السابق ص ٥٠.

(١٠) محمد المانع: المرجع السابق ص ٥٢-٥٣.

سعود سيد منطقة نجد الوسطى التى امتدت حدودها حتى جبل شمر معقل ابن الرشيد.

وهنا جاءت القوة الثانية التى كان على عبد العزيز بن سعود مواجهتها وهى قوة الدولة العثمانية، حيث انزعجت تلك الدولة من إنتصارات عبدالعزيزبن سعود فتحالفت مع عبدالعزيزبن الرشيد، وعندما حدث الصدام بين الطرف النجدى بقيادة عبدالعزيزبن سعود والطرف العثمانى الرشيدى عام ١٣٢٢ هـ الموافق ٢٩ سبتمبر لعام ١٩٠٤م كانت النتيجة لصالح ابن سعود فى معركة «الشنانة» حيث تمكنت القوات النجدية الموالية لعبدالعزيزبن سعود من الحصول على الأسلحة والأموال والمؤن ــ من القوات المنهزمة ــ التى تمكنها من متابعة القتال (١١).

وبعد معركة «الشنانة» دارت مفاوضات بين عبد العزيز بن سعود والعثمانيين على أساس أن يكون للأخيرين مراكز فى نجد تفصل بين ابن الرشيد وابن سعود، ولكن سوء معاملة ابن الرشيد لأهل القصيم دفع عبدالعزيزبن سعود إلى قيادة جيشه والإلتقاء مع جيش ابن الرشيد الذى كان يقوده بنفسه قرب بريدة فى عام ١٣٢٤ هـ الموافق لعام ١٩٠٦م فى موقعة «روضة مهنا» والتى انتهت بهزيمة ابن الرشيد ومقتله، وفشل التحالف بينه وبين العثمانيين ضد ابن سعود. وكان عبدالعزيزبن متعب بن رشيد يوم مقتله فى الخمسين من عمره، وتدعى هذه الواقعة بذبحة ابن رشيد(١٢).

ولم تنته المصاعب التى كان على عبد العزيز بن سعود مواجهتها، حيث استمرت مؤمرات الدولة العثمانية وآل رشيد ضد ابن سعود، وقد عاش ابن سعود فترة صعبة امتدت من عام ١٣٢٤هـ الموافق لعام ١٩٠٦م إلى عام ١٣٣٠ هـ الموافق لعام ١٩١٢م حيث كثر خروج القبائل النجدية وموالاتها لابن الرشيد وللعثمانيين، وساعد على ذلك فترات القحط بسبب إنحباس المطر، ومع ذلك تمكن عبدالعزيز من التغلب على هذه المصاعب جميعها

---

(١١) أحمد عسه: المرجع السابق ص ٥٤.

(١٢) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ٤٤.

بشجاعته تارة وبحكمته ومراعاته لظروف الواقع ومقتضياته تارة أخرى، وبالحس السليم دائما (١٢).

وقد انتهز عبد العزيز الظروف الدولية وتوتر العلاقات الدولية وخاصة بين الدولة العثمانية ودول غرب أوروبا فزحف بقواته إلى منطقة الأحساء التى كانت بها قوات عثمانية منذ حملة مدحت باشا والى العراق من عام ١٢٩٧هـ الموافق لعام ١٨٧٩، حيث تمكن من تحريرها وضمها إلى ملكه عام ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٣م دون حدوث معارك عسكرية كبيرة، وتم رحيل القوات العثمانية دون أسلحتها إلى البحرين، وكان هذا العمل دافعاً لبريطانيا لكى تنتبه لقوة عبدالعزيز خاصة بعد أن وصلت قواته إلى ساحل الخليج، ومن ثم سعت إلى الإتصال به، ذلك الإتصال الذى انتهى بعقد معاهدة العقير بين الطرفين عام ١٣٣٤هـ الموافق لعام ١٩١٥م.

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م كان عبد العزيز سلطانا على نجد والأحساء بينما كان ابن الرشيد مايزال يسيطر على جبل شمر، والأشراف يسيطرون على الحجاز وتخضع عسير للأدارسة الذين يعترفون بالسيادة العثمانية، وبعد انتهاء الحرب نظر عبدالعزيز بن سعود فوجد نفسه محصورا بين قوتين الأشراف فى الحجاز الموالين لبريطانيا والمسلحين بأسلحة حديثة، وابن رشيد فى جبل شمر الذى غنم كثيرا من السلاح والمال من الدولة العثمانية لقاء مساعدته لها فى حروبها ضد الانجليز، وكان عليه أن يتخلص من الخطرين ضد سلطنته.

كان أول صدام بين عبد العزيز وأشراف الحجاز هو ماعرف بموقعة «تربة» التى واجهت قوات الشريف حسين بعد اعتداءاتها منذ عام ١٣٣٦هـ الموافق لعام ١٩١٧م على بعض البلاد الواقعة على مشارف نجد والمجاورة للحجاز، وقد استطاعت قوة سعودية فى ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ الموافق ٢٥ مايو ١٩١٩م من هزيمة جيش الشريف واسترداد «تربة» وضمها إلى سلطنة نجد. ولم يمض وقت على هذه الوقعة حتى حدث صدام مسلح مع الكويت بسبب تحالف الكويت مع ابن الرشيد سرعان ما انتهى بتولى

---

(١٣) أحمد عسه: المرجع السابق ص ٥٨.

الشيخ أحمد جابر الصباح الحكم فى الكويت، وعادت العلاقات صافية بين آل سعود والكويت.

وفى عام ١٣٣٩ هـ الموافق لعام ١٩٢١م قرر مؤتمر علماء وزعماء نجد مع كبار الأسرة السعودية المناداة بعبدالعزيزبن عبدالرحمن الفيصل آل سعود سلطانا على نجد وملحقاتها، وأن يتمتع بهذا اللقب كل من يخلفه من ذريته، ومن ثم اتجه السلطان عبدالعزيز لتحرير جبل شمر وضمه إلى السلطنة، وبالفعل شهد نفس العام استسلام آل رشيد بعد حصار «حائل» عاصمة ملكهم وعاملهم عبدالعزيز المعاملة الكريمة المنتظرة من عربى شهم.

وبعد عدة شهور احتلت القوات السعودية «خيبر» ووادى السرحان والجوف، كما حدثت صدامات قبلية على الحدود السعودية العراقية، وهنا حدث التوتر بين آل سعود والحكم الهاشمى فى كل من الأردن والعراق والحجاز، وحاولت بريطانيا حل الخلافات وإنهاء التوتر القائم فتم عقد مؤتمر فى «العقير» وآخر فى الكويت ولكن دون نتيجة، ومن ثم عقد المؤتمر الذى حضره كبار رجال الدين وشيوخ القبائل برئاسة الإمام عبدالرحمن والسلطان عبدالعزيز إلى إقرار تحرير الحجاز من حكم الأشراف.

وقد بدأت تلك العملية بتحرير مدينة الطائف عام ١٣٤٣ هـ الموافق لعام ١٩٢٤م، ونتج عن ذلك المناداة بعلى ابن الشريف حسين ملكا على الحجاز ومغادرة الشريف حسين إلى العقبة، ومن ثم اتجه عبدالعزيز إلى أهل الحجاز يخاطبهم قبل أن يأمر قواته بدخول مكة فأخلاها الملك على يوم ١٥ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ، فدخلها النجديون يوم ١٧ ربيع الأول ثم اتجهت القوات السعودية إلى جدة وحاصرتها حتى تركها الملك على فى ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٩٢٥م، وكانت المدينة المنورة قد سلمت دون قتال فى ١٩ جمادى الأولى من نفس العام(١٤).

وبالنسبة لمنطقة عسير فقد تم توقيع إتفاق بين عبد العزيز بن سعود وأمير الادارسة بعسير عام ١٣٣٨ هـ الموافق لعام ١٩٢٠م يضع عسير تحت الحماية

---

(١٤) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ٨٤-٨٨.

السعودية، ولكن إمام اليمن انتهز فرصة إنشغال عبد العزيز بالحرب مع أشراف الحجاز وعمل على ضم نجران لتشكل منطقة حراما بين اليمن والسعودية، ولكن عبدالعزيز أرسل قواته إلى عسير حيث ضمها وأجلت اليمن عن نجران، واستمرت العلاقات اليمنية السعودية متوترة حتى تم التوقيع على إتفاقية للصلح بين الطرفين عام ١٣٥٣هـ الموافق لعام ١٩٣٤م.

وهكذا توحدت شبة الجزيرة العربية امتدادا من الخليج العربى شرقا إلى البحر الأحمر غربا تحت حكم السلطان عبدالعزيز الذى كان لقبه سلطان نجد وملحقاتها حتى استخلص الحجاز فأصبح اللقب ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، حيث نودى بهذا اللقب فى يناير عام ١٩٢٦م، ثم أصبح الاسم الرسمى للبلاد عام ١٩٣٢م المملكة العربية السعودية.

ثانياً: البناء الداخلى:

وضع الملك عبد العزيز أسس بناء الدولة منذ اليوم الأول، وهى الأسس التى مازالت مرعية فى عهد أبنائه، وأهم هذه الأسس هى:ـ

أـ عقيدة التوحيد الإسلامية:

تلك التى دعا إليها محمد بن عبد الوهاب، منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادى، وفى ذلك يقول الملك عبدالعزيز: يسموننا بالوهابيين ويسمون مذهبنا بالوهابى باعتباره مذهب خاص، وهو خطأ فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التى يبثها أهل الأغراض.. نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أوعقيدة جديدة، ولم يأت محمدبن عبدالوهاب بالجديد.. فعقيدتنا هى عقيدة السلف الصالح التى جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح(١٥).

ومن كلمات الملك عبد العزيز أيضا فى التمسك بعقيدة التوحيد: إنى لأفضل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض أعبد الله وحده على أن أكون ملكا على سائر الدنيا وهى على حالتها من الكفر والضلال.

---

(١٥) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص١٢٦.

اللهم إنك تعلم أنى أحب من تحب وأبغض من تبغض. إننا لا تهمنا الأسماء ولا الألقاب، وإنما يهمنا القيام بحق واجب، كلمة التوحيد(١٦).

ب ـ تطبيق الشريعة الإسلامية:

آمن الملك عبد العزيز بالإسلام عقيدة وشريعة ونظاما للحياة، وأن التمسك بالإسلام يعصم الأمن والأستقرار، ولم يخف الملك عبد العزيز من نتائج تطبيق الشريعة لأنه لا يخاف هذه النتائج إلا من قوى الظلم والفساد فى الأرض، والملك عبد العزيز رجل من سيرته بأنه محب للعدل مقيم له، كاره للفساد ومقاوم له(١٧).

ولذلك نجد الملك عبد العزيز يعلن عند بدء مرحلة التنظيم الداخلى أن مصدر التشريع والأحكام لا يكون إلا من كتاب الله (القرآن الكريم)، ومما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أوما أقره علماء الإسلام الأعلام بطريق القياس، أوأجمعوا عليه مماليس فى كتاب ولا سنة، فلا يحل فى هذه الديار غير ما أحله الله، ولا يحرم فيها غير ما حرمه(١٨).

وقد طبق الملك عبد العزيز ما قاله فعلا وذلك فى جميع مجالاتها مثل :ـ

١ـ إقامة الصلاة جماعة وتفقد المتخلفين عنها ومعاقبتهم حسب الحال.

٢ـ جباية الزكاة وصرفها فى مصارفها التى أمر الله بها.

٣ـ صيام شهر رمضان، ومنع أى مظاهر تتنافى مع طبيعة هذا الركن العظيم من أركان الإسلام.

٤ـ أداء فريضة الحج وإلزام الناس بها إذا كانوا مستطيعين.

٥ـ إقامة العدل، والعدل أساس الملك.

٦ـ الشورى حيث أنشأ فى عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م مجلس الشورى وأدخلت على نظامه عدة تعديلات حسب مقتضيات الحاجة(١٩).

---

(١٦) د. عبدالله بن عبد المحسن التركى: الملك عبدالعزيز ـ المنهج القويم فى الفكر والعمل، ص ٦٢.

(١٧) حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين ـ الطبعة الخامسة القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ص ٢٧٠.

(١٨) نفس المرجع ص ٢٧١.

(١٩) فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية ص ١٠٣.

٧ـ تطبيق الحدود مثل القصاص فى القتلى، وقطع يد السارق، وحد قطاع الطريق، وحد الزانى، وحدود التعزير وغير ذلك.

٨ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: وقد عين لهذا الفرض هيئات من المحتسبين يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن كل منكر(٢٠).

جـ ـ الحفاظ على الأمجاد:

عندما بدأ الملك عبد العزيز خطواته الأولى لتوحيد هذه البلاد كان نصب عينيه تاريخ حكم ضربت جذوره فى أعماق التاريخ، وإرث من المجد تمثل فيما حققه أسلافه من آل سعود من وحدة لهذه البلاد فى ظل دولة تؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهجا للحكم وتنشر العقيدة الإسلامية الصافية وتدافع عنها.

ولكن نتيجة التنافس على الحكم والضعف والتفريط من البعض ضاع المجد الذى صنعه الأولون حينما خلف من بعد الأماجد العظام خلف عجزوا عن الحفاظ على ما تركه الأولون سواء كان ما تركوه أرضا أم مهابة أم وحدة(٢١).

د ـ الحكم والإدارة:

وفى البناء الداخلى وضع الملك عبد العزيز نظاما متكاملا فى النواحى السياسية والإقتصادية والإدارية والإجتماعية والثقافية للنهوض بالبلاد وتقوية وحدتها وكانت إنجازات الملك عبد العزيز فى هذه النواحى على النحو الآتى :ـ

١ ـ الناحية السياسية:

وتمثلت فى النظام الملكى الوراثى. ومن ثم أنعقد مجلسا الوكلاء والشورى وأبرما قرارا فى ١٦ محرم ١٣٥٢هـ الموافق ١١ مايو ١٩٣٣م بمبايعة

---

(٢٠) د. عبد الله بن يوسف الشبل: صفحة من تاريخ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بحث ألقى فى مؤتمر العلاقات المصرية السعودية فى عهد الملك عبد العزيز.

(٢١) د. عبد الله التركى: المرجع السابق ص ١٠٢.

أكبر أبناء الملك عبدالعزيز الأمير سعود وليا للعهد([٢٢]). ويتوالى أبناء الملك عبدالعزيز فى حكم المملكة الأكبر فالذى يليه وهكذا.

ومن الملاحظ أنه فى المراحل الأولى لقيام المملكة العربية السعودية (عام ١٩٣٢م) كان الملك عبدالعزيز وحده هو كل السلطة التنفيذية، فلما تقدم المجتمع قليلا وبدأت حاجاته تتنوع أنشئت وزارة المالية وألحق بها عدد كبير من مديريات الدولة، ولم يستقل عنها إلا الشعبة السياسية التى تطورت فيما بعد لتصبح وزارة الخارجية السعودية، فلما زاد تطور المجتمع السعودى تطور نظام الحكم وجهازه فاختار الملك عبد العزيز وزراء ومستشارين حتى أصبح للمملكة مجلس وزراء ينعقد بصورة دورية. ومعظم الوزراء من أبناء العائلات الشعبية([٢٣]).

كما كان للمملكة مجلس للشورى بدأ العمل فى بداية عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م صدرت له قواعد سميت «التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية» ووضع على رأس الأمر فيصل بن عبدالعزيز، وقد تطور هذا المجلس سواء بالنسبة لزيادة عدد أعضائه أو إتساع سلطاته.

وكان إنشاء الجيش السعودى متمشيا مع التطور الذى عاشته البلاد السعودية فقد كان الجيش الذى اعتمد عليه الملك عبدالعزيز فى توحيد المملكة يتكون من حاضرة أهل نجد وجيش الإخوان الذى كان من القبائل البدوية الرحالة التى وضع لها نظام «الهِجَر» وأنزلها من البادية إلى الحاضرة، وأصبحت هِجَرها كثكنات عسكرية.

وفى عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م أمر الملك عبد العزيز بتكوين إدارة للأمور العسكرية بدأت بإنشاء الجيش النظامى. وتكونت أفواج المدفعية والرشاش والمشاة، إلى جانب قوات الجهاد وقوات الإخوان، ثم تطورت بعد خمس سنوات لتصبح: سلاح المشاة، وسلاح المدفعية، وسلاح الفرسان، ونظم الجيش على أساس كتائب وألوية تخضع لوكالة الدفاع ومقرها الطائف،

---

(٢٢) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ١٥٨.

(٢٣) أحمد عسه: المرجع السابق ص ٢٢١.

وبعد خمس سنوات ألغيت مديرية الأمور العسكرية التى أنشئت عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م وحلت محلها « رياسة الأركان الحربية » التى تطورت لتصبح وزارة الدفاع فى أول ربيع الآخر ١٣٦٥هـ الموافق ٦ مارس ١٩٤٦م وكان الأمير منصور بن عبد العزيز أول وزير لها.

ومن الأمور الجديدة بالملاحظة أن فرقة من الجيش السعودى أشتركت فى حرب فلسطين عامى ١٩٤٨ و١٩٤٩م حتى عقدت الهدنة فأمر الملك عبد العزيز ببقاء هذه الفرقة مؤقتا فى مصر. حيث أدخل عدد من ضباطها وضباط الصف وجنودها مدارس الجيش المصرى فى مختلف فروع الأسلحة للتدريب والتمرين نظريا وعمليا(٢٤) إلى جانب بعض الطيارين السعوديين الذين أوفدوا إلى مصر للتدريب حتى قامت الحرب العالمية الثانية فعادوا إلى بلادهم.

٢ ـ الناحية الإقتصادية:

اهتم الملك عبد العزيز ببناء إقتصاد البلاد السعودية على أسس جديدة، حيث أن موارد البلاد كانت ضعيفة وقاصرة على الرعى وقليل من الزراعة البدائية والتجارة التقليدية مع بعض الحرف اليدوية، ومن ثم اهتم بتطوير الزراعة وإنعاش التجارة بتأمين الطرق وتشجيع عملية التسويق بين الحواضر والبادية إلى جانب الثروة البترولية.

ففى مجال الزراعة أهتم الملك عبد العزيز بإستيراد ماكينات الرى من الولايات المتحدة الأمريكية لإستخراج المياه من الآبار العميقة لزيادة مساحة الأراضى القابلة للزراعة وهى كثيرة، وعدم الإكتفاء بالإعتماد على مياه الأمطار فى الزراعة. وكانت نتيجة مجهودات الملك عبد العزيز فى مجال الزراعة إنشاء وزارة للزراعة عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م(٢٥).

وفى مجال التجارة اهتم الملك عبد العزيز بتعبيد الطرق التى تربط أنحاء المملكة حتى يسهل نقل السلع والأشخاص، إلى جانب التوسع فى إستخراج

---

(٢٤) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ٢٠١.
(٢٥) أحمد عسه: المرجع السابق ص ٤٣٨.

المعادن وخاصة الذهب وتسويق منتجات البلاد مثل التمور المتنوعة المشهورة بها البلاد السعودية.

وكان إنتاج البترول فى المملكة العربية السعودية منذ وافق عبد العزيز على منح هولمز ممثل الرابطة الشرقية العامة إمتياز البحث عن المعادن فى الأحساء مقابل إيجار سنوى قدره ألفى جنيه، وذلك فى ٦ مايو عام ١٩٢٣م. وفى ١٧ مايو ١٩٢٤م منح الرابطة إمتياز للبحث عن البترول فى نصيب السعودية من المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية، وعام ١٩٢٢م تم التوقيع على إتفاق مع شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا الأمريكية للتنقيب عن البترول فى الاحساء. وقد بدأت الشركة الأمريكية فى البحث عن البترول فى منطقة الامتياز عام ١٩٣٤م، وتم الإنتاج بكميات تجارية فى مارس عام ١٩٣٨م، فى بئر الدمام رقم ٧ الذى أصبح يمثل أكبر بئر بترولى منتج فى المنطقة العربية، وبهذا يعتبر أول إنتاج بترولى كبير فى المنطقة العربية قد تم بعد حوالى خمس سنوات منذ التوقيع على عقد الامتياز(٢٦).

وعندما تم العثور على النفط بكميات تجارية عام ١٩٣٨م مدت الشركة خط أنابيب لنقل البترول من «الدمام» إلى ميناء «الخبر» لشحن النفط إلى البحرين حتى تكريره هناك، كما أنشىء فى «رأس تنورة» عام ١٩٣٩م ميناء أحتفل بافتتاحه فى أول مايو من هذا العام بحضور الملك عبدالعزيز وبعض أمراء الأسرة السعودية إلى جانب ممثلى شركة النفط(٢٧). وفى ديسمبر ١٩٤٦م تم التوصل إلى إتفاق لإنشاء خط أنابيب سعة ٣٠ و٣١ بوصة إلى البحر المتوسط بتمويل من شركات البترول الأمريكية الأربع وهى: ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا، وشركة تكساس أويل، وشركة ستاندارد أويل أوف نيوجيرسى، وشركة سوكونى موبيل، وأنتهت عملية الإنشاء فى سبتمبر ١٩٥٠، وبدأ شحن أول ناقلة بترول من نفط الأنابيب عند نهايته بمدينة صيدا بلبنان فى ٢ ديسمبر ١٩٥٠م. وتكونت

---

(٢٦) Hamilton. ch.w.: Americans and Dil in the Middle East, R 148.

(٢٧) حافظ وهبة: المرجع السابق ص ١٣٨.

شركة بإسم المشروع عرفت بشركة التابلاين، ويعتبر هذا الخط أضخم وأطول خط لأنابيب البترول فى العالم[٢٨].

من الناحية الإجتماعية:

نجح الملك عبد العزيز فى تحويل مجتمع شبه الجزيرة العربية من مجتمع قبلى إلى دولة، وتحويل ابن العشيرة إلى مواطن، وقد استخدم الملك عبدالعزيز فى ذلك ماعرف بنظام «الهجر» والذى يقوم على أنه حيثما وجد الماء فى قلب الجزيرة العربية كان على أقرب قبيلة بدوية منه أن تهجر بيوت الشعر وأن تبنى إلى جوار الماء وتقتنى الماشية وتزرع وتحضر وتستقر، ولها من بيت المال المساعدة على البناء وعلى الزراعة ومصيرها أن تتحضر. وقد بلغ عدد الهجر فى أيام عبدالعزيز ١٥٣ هجرة[٢٩]. وقد فتحت مدرسة فى كل «هجرة» من «هجر» البادية لأن أهالى «الهجر» إستقروا فيها، كما يقيد أبناء البوادى من مدارس القرى القريبة من مضاربهم، كما تقدم لهم خدمات صحية[٣٠].

الناحية الثقافية:

اهتم الملك عبد العزيز بالتعليم الحديث بالمملكة، فأنشاء فى مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م إدارة حكومية للتعليم سميت «إدارة المعارف العامة» مرتبطة بالنائب العام «الأمير فيصل بن عبدالعزيز» يصرف أعمالها مدير عام ومعاون مدير، وكانت أول أعمالها إنشاء «المعهد العلمى السعودى» بمكة لإعداد المعلمين لمرحلتى التعليم الأولى والإبتدائى، وتم إرسال أول بعثة من الطلاب إلى الخارج عام ١٩٤٦هـ/١٩٢٧م. كما تم إنشاء مدرسة تحضير البعثات عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ووضع لها منج خاص إستمد من منهج الدراسة المصرية بحيث تكفى شهادتها لدخول حامليها فى المعاهد العليا وكليات الجامعة فى مصر وغيرها[٣١].

---

(٢٨) محمد سعيد المسلم: ساحل الذهب الأسود ص ١٨٧.

(٢٩) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ٧٠.

(٣٠) أحمد عسه: المرجع السابق ص ٥٣١.

(٣١) خير الدين الزركلى: المرجع السابق ص ١٧١.

هذا إلى جانب مدارس خاصة أنشأها بعض وجهاء البلاد كتعليم أهلى قبل وأثناء حكم الملك عبدالعزيز، وكانت هناك مدارس لأبناء الأسرة السعودية ، إلى جانب مدارس أبناء العشائر.

وفى الحقيقة فإن الملك عبدالعزيز واجه صعوبات كثيرة فى إنشاء التعليم الحديث منها قلة الإمكانات المادية وجود تفكير بعض العلماء، ولولا ثباته فى وجه دعاة التعصب والجمود لفشلت جهوده فى نشر التعليم بالبلاد السعودية ، وإن تاريخ المدرسة الحديثة فى البلاد السعودية يبتدىءمنذ أن قرر إفتتاح أول مدرسة إبتدائية حديثة فى الحجاز، ومن يوم أن أدخل مبادىء التعليم الحديثة واللغات الأجنبية والرسم فى صلب برامج هذه الدراسة (٣٢).

وقد بلغ عدد المدارس فى المملكة العربية السعودية حتى وفاة الملك عبدالعزيز فى ١٦ ربيع الأول ١٣٧٢هـ الموافق ١٢ نوفمبر ١٩٥٣م ٤٣ مدرسة ابتدائية وأربع مدارس ثانوية ومدرسة تحضير البعثات والمعهد العلمى السعودى.

وفى الثامن عشر من ربيع الثانى ١٣٧٣هـ الموافق ٢٤ ديسمبر ١٩٥٣م صدر ٣٣مرسوم ملكى يقضى بتأسيس وزارة المعارف، وتعيين الأمير فهد بن عبدالعزيز وزيرا لها، وكانت شئون التعليم منوطة قبل ذلك بمديرية المعارف تتبع نائب جلالة الملك فى الحجاز. وجاء فى قرار إنشاء وزارة المعارف مانصه: أمور المعارف العمومية هى عبارة عن نشر العلوم والمعارف والصنايع ، وافتتاح المكاتب والمدارس والمعاهد العلمية مع فرط الدقة بأصول الدين الحنيف(٣٤).

ثالثا: السياسة الخارجية:

للملك عبد العزيز منهج واضح فى السياسة الخاجية المملكة العربية السعودية يقوم على الأسس الآتية:

---

(٣٢) أحمد عسه: المرجع السابق ص ٥٣٨.

(٣٣) هو خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز الذى تولى الملك فى ٢١ شعبان ١٤٠٣هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢م.

(٣٤) محى الدين القاسى: فهد فى صيور ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١ــ النظام الداخلى معيار التعامل الخارجى، وأن السياسة الخارجية إنعكاس للسياسة الداخلية.
٢ــ الوضوح وعدم الغموض، فإن الملك عبد العزيز مطبوع على الصراحة والوضوح فى أعماله ولا تشمل نفسه على جانب من جوانب الغموض.
٣ــ كرامة العرب وإتحادهم، وفى ذلك يقول الملك عبد العزيز: أنا عربى وأحب عز قومى والتآليف بينهم وتوحيد كلمتهم، وأبذل فى ذلك مجهوداتى ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه المصلحة للعرب وما يوحد أشتاتهم ويجمع كلمتهم.
٤ــ عزة المسلمين وتضامنهم: فقد ذكر الملك عبد العزيز.. يجب على المسلمين أن يحذروا التفرقة وأن يصلحوا ذات بينهم ويبذلوا النصيحة.
٥ــ الندية لا الميمنة: حيث يقول الملك عبد العزيز: إننا لا نرمى من وراء ذلك إلى التحكم فى الناس..
٦ــ الدبلوماسية الوقائية: وهى فى مفهوم الملك عبد العزيز كبت دواعى الاستفزاز التى قد تشغله عن البناء والنهضة وتحاول الإضرار بسمعة بلاده فى المستوى العالمى (٣٥).
٧ــ الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى: حيث يذكر الملك عبد العزيز: أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ونشره بين أقوام.. أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هى: التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين.
٨ــ إعداد القوة، حيث يقول: إن جنود التوحيد وإخوان من أطاع الله.. وأن هذه القوة هى موقوفة لتأييد الشريعة ونصرة الإسلام فى الديار التى ولانى الله أمرها أعادى من عادى الله وسوله وأصالح من لا يعادينا ومن لا يناوئنا بسوء.
٩ــ التعاون الدولى: وفى ذلك يقول الملك عبد العزيز: ليس هنالك ما يضر العرب إن هم أخذوا من الأوروبيين ما يفيدهم ويلائمهم. آن الآوان لأن يتعلم العرب الإقتصاد ويسيروا فى حياتهم على قواعده.

---

(٣٥) د. عبد الله بن عبد المحسن التركى: المرجع السابق ص٥٦ــ٥٩.

١٠ــ الحفاظ على الإسلام والأمن الدوليين : حيث ذكر الملك عبد العزيز :
إنى جعلت سنتى ومبدئى ألا أبدأ أحدا بالعدوان ، بل أصبر عليه وأطيل الصبر على من بدأنى بالعداء ، وأدفع بالحسنى ما وجدت لها مكانا (٣٦) .

وعلى هذا المنهج كانت علاقات الملك عبد العزيز بالأقطار العربية والإسلامية تستهدف المصلحة العربية ، فقد أبرم عدة معاهدات للصداقة وحسن الجوار مع كل من تركيا وإيران عام ١٩٢٩م ، ومع العراق الملكى عام ١٩٣٠م ، ومع شرق الأردن عام ١٩٣٣م ، ومع اليمن عام ١٩٣٤م ، ثم مع مصر عام ١٩٣٦م (٣٧) .

كما كان للملك عبد العزيز مواقف تأييد من القضايا العربية مثل قضية عرب فلسطين فى مواجهة المؤامرات الصهيونية وسماح بريطانيا بالهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وتأييد الولايات المتحدة الأمريكية للأطماع الصهيونية ومثل تأييد ثورات الشعب السورى ضد الأحتلال الفرنسى لتحقيق المطالب العربية المشروعة ، إلى جانب تأييد مصر فى كفاح شعبها ضد الوجود البريطانى فى أرضها . وفى ذلك يقول الملك عبد العزيز : يهمنا أمر إخواننا السوريين ، وأمر إخواننا الفلسطينيين ، وأمر إخواننا العراقيين ، وإخواننا المصريين .. تهمنا حالهم ويهمنا أمرهم ويزعجنا كل أمر يدخل عليهم منه ذلك ذل أوخذلان لأننا ما نرى إلا أنهم منا ونحن منهم ، كما تهمنا جميع بلاد المسلمين ، إننى أخاطب إخواننا فى مصر ، والعراق ، وسورية ، وفلسطين ، فأقول لهم إن المصلحة واحدة والنفوس واحدة (٣٨) .

وبحكم أهمية العلاقات المصرية السعودية ، فإننا نفرد لهذه العلاقات صفحات منفردة ، فلقد زار الملك عبد العزيز مصر مرتين الأولى قابل خلالها الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت فى البحيرات المرة وقابل مستر ونستون

---

(٣٦) المرجع السابق ص ٦١ــ٦٢ .

(٣٧) د. رأفت غنيمى الشيخ : العرب دراسات فى التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٨٣ ص ١١٧ .

(٣٨) خير الدين الزركلى : المرجع السابق ص ٢٥٠ .

تشرشل رئيس وزراء بريطانيا بالفيوم فى شهر فبراير ١٩٤٥م ، والمرة الثانية زيارة رسمية لمصر فى يناير عام ١٩٤٦م .

ولندع الملك عبد العزيز يتحدث عن زيارته لمصر بقوله :

«أحمد الله إذ أعود إليكم من بلاد هى بلادى وبلادكم ، مصر العزيزة بعد أن لاقيت فيها من جلالة الملك المعظم فاروق وحكومته وشعبه فى كل شبر مشيت فيه من أرض الكنانة من الحفاوة والإكرام ما يحيط به الوصف ، ولا يفى بحق وافر الشكر (٣٩) .

«وما كنا لننسى مصر الكريمة ، وصلاتها بشقيقتها العربية السعودية ، فكان من حظ البلدين توثيق الروابط بينها وتوحيد جهودهما فى سياستها ، وإقامة التعاون بينهما على أثبت الدعائم .

«وإنه لمن سعد الطالع لنا جميعا أن الشعور العربى المشترك بيننا هو شعور عام اشتراكنا فيه مع إخواننا ملك العرب وأمرائهم ورؤسائهم ، كما إشترك معنا فى شعورنا كل مسلم وكل عربى ، وما جامعة الدول العربية التى أسست فى عاصمة مصر بفضل الله ثم بفضل جهود إخواننا ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم إلا أثر لهذه الروح العربية ، التى تربط بيننا وتؤلف بين قلوبنا جميعا .

«كلانا والحمد لله موقن بأن القوة فى وحدة الكلمة ، وأن الأخ درع أخيه ، وأن تآخينا من شأنه أن يوثق العرى بين شعوبنا ، وما شك أحدنا فى أن مصلحة البلدين تقضى بوحدة اتجاهها السياسى ، ووحدة السبيل الذى يسلكانه فى مناهجها الدولى .. ذلك مبدؤنا ، ومبدأ شعبنا يتوارثه الأبناء عن الآباء ، يبقى إن شاء الله على وجه الدهر بهذه الروح .

«إن الصلات التى تربط بين شعبينا قد وثقها الله وأيدها التعاون فى سبيل تحقيق مجد العروبة » .

«ومن فضل الله علينا جميعا أن كانت كلمتنا فى هذه الزيارة والتى

---

(٣٩) دكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى : منهج الملك عبد العزيز فى السياسة الدولية وأثره فى العلاقات السعودية المصرية بحث مقدم إلى ندوة العلاقات المصرية السعودية ص ٣٣ .

قبلها مجتمعة على مواصلة جهودها فى سبيل تأييد جامعة الدول العربية، وبذل كل مرتخص وغال فى تأييد التضامن بين سائر دول الجامعة بالقلب والروح لما فيه الخير لدول الجامعة ما حيينا، وسنورثها بيننا، حتى يظل العربى يشعر فى كل موطن يمر به من بلاد العرب أنه يسير فى موطنه، ويعتز به فى وطنه وبلاده».

«إن جيش مصر وحضارتها جند للعرب وركن من أركان حضارتهم» (٤٠).

وقد أذاع الملك فاروق ملك بيانا بمناسبة زيارة الملك عبدالعزيز لمصر فى عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، جاء فيه: فى الوقت الذى يغادر فيه أخى صاحب الجلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود مملكتكم عائدا فى رعاية الله إلى مملكته، يطيب لى أن أوجه شكرى لكم، فقد أكرمتمونى فى ضيفى بل ضيفكم إذا استقبلتموه بقلوبكم وأحطتموه بحبكم، ليس أطيب عندى من أن أكرر شكرى لكم، فقد أكرمتم فى شخصى الملك عبدالعزيز شخصى، أكرمتم مصر والعروبة والإسلام(٤١).

وكان الملك فاروق قد زار الملك عبد العزيز فى بلاده واجتمعا معا فيما عرف بإسم إجتماع رضوى فى يناير ١٩٤٥م، واستغرقت الزيارة عشرة أيام وتعتبر هذه الزيارة ـ فى رأى مجلة المصور المصرية ـ أحد الأحداث الهامة للتفاهم العربى المأمول، وأنه كانت الوحدة العربية قد تعرضت قبل الآن لكثير من الصعاب فإن هذا الإجتماع هو بشير خير بإجتماع كلمة العرب(٤٢).

وقد جاءت هذه الزيارات الودية المتبادلة مستندة إلى ما بين البلدين من صلات أخوية فى إطار العروبة والإسلام، وقد دعمتها معاهدة عام ١٩٣٦م بين السعودية ومصر، ومن ثم نسوق تفاصيل عقد هذه المعاهدة.

---

(٤٠) المرجع السابق ص ٣٤.

(٤١) نفس المرجع السابق ص ٦٤.

(٤٢) عصام رفعت: الملك عبد العزيز آل سعود على ضفاف النيل ـ دراسة فى العلاقات المصرية السعودية فى إطار التاريخ العربى والدولى، بحث قدم لندوة العلاقات المصرية السعودية.

معاهدة عام ١٩٣٦

عندما أعلنت المملكة العربية السعودية فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٣٢م تطلع عبدالعزيز آل سعود إلى مصر الشقيقة الكبرى لكى تعلن إعترافها بالأسم الجديد بدولته . وكان الملك عبدالعزيز عندما تم له إستكمال وحدة الدولة بضم الحجاز ثم عسير تفرغ لبناء الدولة ورسم علاقاتها مع الدول العربية والإسلامية ، ففى المجال الداخلى إهتم بالتعليم والزراعة باستغلال المصادر المعدنية ، وفى المجال الخارجى أبرم عدة معاهدات للصداقة وحسن الجوار مع كل من تركيا وإيران عام ١٩٢٩م ، ومع العراق عام ١٩٣٠م ومع شرقى الأردن عام ١٩٣٣م ، ومع اليمن عام ١٩٣٤م ، ثم مع مصر عام ١٩٣٦م (٤٣) .

جاء تطلع الملك عبد العزيز إلى مصر متفقا مع ما بين البلدين من أواصر الأخوة العربية الإسلامية ولذلك كان كثير ما يوصى رجاله بالحجاج المصريين قائلا : إخواننا سهلوا لهم ولا تكدروا خواطرهم . كما أنه رحب بتقوية العلاقات الأقتصادية بين مصر والسعودية حيث أستقبل الاقتصادى المصرى الكبير محمد طلعت حرب وناقش معه فكرة قيام مشروعات مشتركة بين مصر والسعودية مثل ربط ميناء السويس بميناء جدة بخط ملاحى بحرى . كما رحب الملك عبدالعزيز بإعلان حزب الوفد المصرى بأن العلاقات الطيبة بين السعودية ومصر هى من مصلحة الطرفين . إلى جانب نشاط الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار التى تصدر فى القاهرة والتى قامت بدور إيجابى فى نشر مبادىء دعوة الأصلاح السلفى وتقوية العلاقات بين السعودية ومصر . بالإضافة إلى تعاطف على ماهر رئيس الوزراء الذى خلفه مصطفى النحاس عام ١٩٣٦م فى رئاسة الوزارة مع فكرة تقوية العلاقات المصرية السعودية ، وهما اللذان شاركا فى ترسيخ قواعد الأخوة والصداقة بين القطرين الشقيقين حتى عقدت معاهدة عام ١٩٣٦م .

---

(٤٣) د. رأفت الشيخ : العرب دراسات فى التاريخ الحديث والمعاصر.

كان عقد معاهدة عام ١٩٣٦م (١٦ صفر عام ١٣٥٥هـ الموافق ٧ مايو عام ١٩٣٦) تتويجاً لروح الأخوة العربية والإسلامية بين القطرين الشقيقين، وقد شارك في وضعها حضرة صاحب السعادة فؤاد حمزة بك وكيل وزارة الخارجية السعودية، وحضرة صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية المصرية(٤٤).

ويمكن استخلاص قوة العلاقات المصرية السعودية من مواد هذه المعاهدة على النحو التالى :ـــ

أولا: الحرص على الأخوة العربية الأسلامية بين القطرين الشقيقين، فقد جاء في ديباجة المعاهدة مانصه : الحمد لله الذى ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم بنعمته إخوانا... أما بعد فنحن عبدالعزيزبن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، نظرا لأنه قد عقدت معاهدة صداقة بيننا وبين مجلس وزراء المملكة المصرية متوليا حقوق جلالة الملك مصر الدستورية لتثبيت العلاقات الودية بين البلدين وتوقيتها... ونظرا لما لدى المملكتين العربية السعودية والمصرية من خالص الرغبة في توثيق عرى الصداقة بينهما، قد إتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها قواعد علاقاتهما الودية.

ثانيا: حرص المملكة العربية السعودية على أن تعلن اعترافها الرسمى بالمملكة، وهذا الحرص مرجعه إلى تقدير المملكة لأهمية هذا الأعتراف من مصر بصفة خاصة باعتبارها الشقيقة العربية الكبرى ونظراً لمركزها الدولى، ولهذا نصت المادة الأولى من المعاهدة على أن تعترف الحكومة المصرية بأن المملكة العربية السعودية دولة حرة ذات سيادة مستقلة إستقلالا تاما مطلقا.

ثالثا: تأكيد الأخوة وحسن الجوار بين مصر والسعودية فنصت المادة الثانية على أن يكون بين الحكومتين والشعبين سلام دائم وصداقة خالصة، وأن يتعهد الطرفان بالمحافظة على حسن العلاقات مع الطرف الآخر، وأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع إستعمال بلاده

---

(٤٤) وزارة الخارجية السعودية: مجموعة المعاهدات ص٢٢٥ــ ٢٣٠ وثيقة رقم ٤١.

قاعدة للأعمال غير المشروعة المواجهة ضد السلم والسكينة فى بلاد الطرف الآخر. وهذا فى رأيى أول دلائل التضامن العربى المبكر بين قطرين عربيين.

رابعا: التأكيد على معاملة المصريين فى الأراضى السعودية معاملة متميزة، إذ نصت المادة الرابعة على تعهد الحكومة السعودية بتسهيل أداء فريضة الحج وإقامة الشعائر الدينية الإسلامية للمسلمين من رعايا مصر، وأن يتمتعوا أثناء إقامتهم فى الحجاز بالأمن على أموالهم وأنفسهم وبالحرية الشخصية فى الحدود الشرعية، وعلى العموم بالمعاملة والحقوق الممنوحة أوالمعترف عليها لرعايا أولى الأمم بالتفضيل.

خامسا: الحرص على إستمرار العلاقات الأخوية فى المستقبل، قد نصت المادة السادسة على تعهد من كلا الطرفين بالقيام فى أقرب فرصة ممكنة بعد توقيع المعاهدة بمفاوضات ودية لحل المسائل المتعلقة بينهما ولعقد اتفاقات جمركية وبريدية وملاحية وغير ذلك من الشئون التى تهم بلديهما(٤٥).

وفى هذا السياق جاء فى المذكرات الملحقة بالمعاهدة ما يؤكد هذه المعانى الأخوية، فقد جاء بالمذكرة الثانية المقدمة من رئيس مجلس الوزراء المصرى مصطفى النحاس باشا المؤرخة فى ٤ رمضان ١٣٥٥هـ الموافق ١٨ نوفبر ١٩٣٦م، أن الحكومة المصرية تعتزم إستئناف إرسال الكسوه الخاصة بالكعبة المشرفة منذ الحج القادم... وأن الكسوة سوف توضع على الكعبة بالأحتفال اللائق بكرامة المكان ومقام الجالس على عرش الحجاز، وأنه سيطرز على الكسوة إشاره إلى أنها أهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية.

وجاء الرد السعودى على هذه المبادرة الأخوية المصرية فى المذكرة الثالثة التى قدمها فؤاد حمزة بك والتى جاء بها موافقة حكومة المملكة العربية

---

(٤٥) وقع على المعاهدة كل من على ماهر رئيس وزراء مصر وفؤاد حمزة وكيل وزارة الخارجية السعودية.

السعودية على مذكرة مصطفى النحاس باشا بخصوص إستئناف إرسال الكسوة إلى الكعبة المشرفة، وأضافت المذكرة السعودية، بأن الهيئة (المصرية) المكلفة بنقل الكسوة (من مصر) ستقابل بأكبر حفاوة فى جدة، كما أن الكسوة ستستقبل فى مكة المكرمة أكرم إستقبال، وتوضع فى مقرها بالاحتفال اللائق بمقام صاحب الهدية (ملك مصر).

وكان موضوع الجنسية بين المصريين والسعوديين محل إهتمام الطرفين، ومن ثم نصت المذكرة السادسة والأخيرة الملحقة بالمعاهدة والموجهة من مصطفى النحاس باشا إلى فؤاد حمزة بك على تحديد القواعد التى يتم التعامل بموجبها مع المصريين المقيمين بأراضى المملكة العربية السعودية وخاصة الأراضى الحجازية عندما إنضمت هذه الأراضى إلى ملك آل سعود، كما يتم التعامل بموجبها مع العرب السعوديين من أبناء الجزيرة العربية عامة والحجاز خاصة الذين كانوا مقيمين بالأراضى المصرية عندما صدر قانون الجنسية المصرية.

وحددت المذكرة بأنه يمنح لكل من المصريين والسعوديين مهلة قدرها ستة أشهر لاختيار الجنسية المصرية أوالعربية السعودية أى أصبح من حق المصريين المقيمين بأراضى المملكة العربية السعودية حتى ضم بلاد الحجاز لملك آل سعود إختيار الجنسية السعودية، كما أصبح من حق السعوديين المقيمين بالأراضى المصرية عند صدور قانون الجنسية المصرية إختيار الجنسية المصرية.

وتضيف المذكرة إلى أنه سوف يجرى الأتفاق على الكشوف النهائية المتضمنة أسماء المصريين فى الممكلة العربية السعودية، والعرب السعوديين فى المملكة المصرية فى خلال الثلاثة أشهر التالية للمهلة المشار إليها (وهى مهلة الستة أشهر)، وغنى عن البيان أن إعداد هذه الكشوف عملية تنظيمية إجرائية تسبق عملية الاختيار.

وحرصت المذكرة فى نفس الوقت على التأكيد بأنه لن يترتب على إختيار أحد المقيمين فى بلد الجنسية البلد الآخر أى مساس بحقه فى البقاء أوالأستقرار فى أراضى البلد الذى يقيم فيه. كما إختتمت المذكرة بتأكيد

آخر بأن المصريين أو العرب السعوديين الذين هبطوا أراضى البلد الآخر منذ صدور قانون الجنسية الخاصة به باقون على جنسيتهم الأصلية.

وبالنسبة لعلاقات الملك عبد العزيز بالدول الأجنبية فقد قامت على الندية والإحترام المتبادل، فمنذ أن قامت الدولة السعودية فى مرحلتها الثالثة على يد الملك عبدالعزيز آل سعود أول القرن العشرين، وهى تتخذ خطاً فى السياسة الخارجية يقوم على عدم الدخول فى حلبة المنافسات الدولية والحفاظ على بقاء البلاد فى حالة من الإستقرار الداخلى يجعلها فى موضع الإحترام من دول العالم، والإستقرار فى العلاقات الخارجية كذلك(٤٦).

كان الإنجليز أول قوة أجنبية تتجه بأنظارها نحو شبه الجزيرة العربية وخاصة سواحلها الشرقية المطلة على الخليج وسواحلها الجنوبية المطلة على البحر العربى والمحيط الهندى، وليس أدل على ذلك من أن القوات البحرية البريطانية قد وصلت إلى البحرين ـ مفتاح الخليج العربى ـ واحتلتها عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م. كنتيجة لسقوط الدولة السعودية الأولى فى نجد وإنحسارها عن شواطىء الخليج(٤٧).

وعندما طلب عبد العزيز بن سعود من الانجليز عقد معاهدة معهم نصح مكتب الحاكم العام الانجليزى فى الهند حكومة لندن بإجابة مطلب عبد العزيز حتى لا تتهدد المصالح الانجليزية، وحتى تضمن انجلترا صداقة عبدالعزيز ومعاونته فى إستقرار الأمور فى منطقة الخليج(٤٨). وكانت نتيجة تلك النصيحة عقدة معاهدة «دارين» أو العقير عام ١٩١٥م التى كانت أول معاهدة دولية أكد فيها عبدالعزيز مركزه الدولى.

وإذا كان قد أخذ على هذه المعاهدة ما أخذ على المعاهدات بين الانجليز ومشايخ الخليج من تكبيل وتقييد لحرية التحركات السياسية والاقتصادية، فإن الأمير عبدالعزيز مالبث أن تخلص من هذه القيود فى معاهدة جدة عام

---

(٤٦) د. رأفت غنيمى الشيخ: أمريكا والعلاقات الدولية ص٢٤٣.

(٤٧) أحمد عبده: المرجع السابق ص ٣٣.

(٤٨) حافظ وهبة: المرجع السابق ص٢٣٨.

١٩٢٧م التي نصت على إعتراف انجلترا باستقلال سلطنة نجد وتوابعها والحجاز، وحق السلطنة فى الأتصال بالدول الأخرى، وعقد الأتفاقات السياسية والاقتصادية معها دون الرجوع إلى انجلترا، وذلك حسبا تمليه مصلحة السلطنة العليا، بعد أن كانت معاهدة «دارين» لعام ١٩١٥م تحرم السلطنة من كل هذه الحقوق(٤٩).

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أكثر الدول الأجنبية إتصالا بالسعودية ومن ثم كانت العلاقات السعودية الأمريكية ومازالت قوية، ومن ثم فإننا نعطى هذه العلاقات ما تستحقه من إيضاح وتفصيل.

تميزت العلاقات الأمريكية السعودية على امتدادها بالإستقرار ولم تتعرض لأى تيارات متقلبة وذلك بسبب حرص كل طرف على دوام الأتصال بالطرف الآخر لتجاوز أى اختلافات فى وجهات النظر قبل أن تتحول تلك الأختلافات إلى أزمات فى العلاقة بين الدولتين.

ومن الأنصاف القول أن العلاقة بين الدولتين بدأت متأخرة قبيل الحرب العالمية الثانية، وذلك راجع إلى أن الولايات المتحدة كانت تتخذ حتى الحرب العالمية الثانية سياسة العزلة السياسية، كما أن المملكة العربية السعودية استغرقت حوالى ثلاثين سنة من ١٩٠٢م إلى ١٩٣٢م تحت زعامة الملك عبدالعزيزبن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، منشغلة بالبناء الداخلى وتصفية القوى المعارضة لمشروعات الدولة السعودية الثالثة حتى تم إعلان المملكة العربية السعودية عام/ ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

ومن الأنصاف للحقيقة كذلك أن نشير إلى بعض الخدمات والأتصالات التى قام بها أمريكيون فى شبه الجزيرة العربية، ومع الأسرة السعودية، والتى سبقت منح إمتيازات البترول فى المملكة العربية السعودية إلى الشركات الإمريكية، تلك الخدمات التى تمثلت فيما عرف بالإرسالية العربية Arabian Mission التى اتخذت من البحرين ومسقط والبصرة مراكز لها لتقديم خدمات دينية وتعليمية وطبية، وقد تعلم

(٤٩) د. رأفت غنيمى الشيخ: فى تاريخ العرب الحديث، القاهرة ١٩٨٩ ص ٢٢٥.

رجالها اللغات العربية كما أدركوا أسلوب التعامل مع حكام ومشايخ المنطقة، وهو االأسلوب غير المباشر والتدريجى لاجتياز الفجوة الحضارية بين الشرق والغرب(٥٠).

وكان النشاط الطبى للأرسالية العربية أكثر خدماتها تأثيرا فى المواطنين العرب وأكثر جذبا لهم، بل لقد استطاع أطباء وممرضوا الإرسالية أن ينالوا قدرا كبيرا من تقدير العرب وإعجابهم(٥١).

وقد استطاعت الإرسالية العربية عن طريق خدماتها الطبية أن تقيم علاقات طيبة مع عاهل السعودية عبدالعزيزبن عبدالرحمن آل سعود ومع غيره من أمراء شبه الجزيرة العربية، وقد ذكر رجال الأرسالية صراحة بأنهم كانوا يمارسون تقديم الخدمات الطبية الأنسانية لكسب قلوب ومحبة العرب المسلمين، وبذلك هيأ هؤلاء الرجال جوا أفضل أمام رجال النفط الأمريكيين الذين تبعوهم فيما بعد(٥٢).

لم يكن للولايات المتحدة الأمريكية قبل الحرب العالمية الأولى ولا حتى بعدها أهداف سياسية بالنسبة للمنطقة العربية عامة وشبة الجزيرة العربية خاصة، وذلك لسببين: الأول سياسة العزلة التى فرضتها الولايات المتحدة على نفسها منذ تصريح الرئيس منرو عام ١٨٢٣م تلك العزلة التى تمسكت بها الولايات المتحدة لتتفرغ للبناء الداخلى اقتصاديا وسياسيا وتقدما حضاريا، ولتنفرد بالنفوذ على دول أمريكا اللاتينية، والسبب الثانى أن المنطقة العربية وخاصة سواحل شبه الجزيرة العربية كانت مجالا للنفوذ البريطانى، ولا ترغب الولايات المتحدة الدخول فى منافسة مع بريطانيا فى هذه المنطقة.

وانطلاقا من هذه الحقائق من هذه الحقائق اتخذت الولايات المتحدة على

---

(٥٠) The American Assembly, Columbia University: The United States and the Middle East, p. 2.

(٥١) The American Assembly, p. 15. 1.

(٥٢) De Nova J.A.: American interests and policies in the Middle East, p. 356-357.

المستوى الرسمى سياسة ودية غير معقدة مع العرب([٥٣]) الذين بدا لهم فى بعض الأوقات ــ خاصة أثناء الحرب العالمية الأولى ومن خلال نقاط الرئيس ويدرو ويلسون الأربعة عشر ومنها النقطة الثانية عشر الخاصة بحق تقرير المصير للشعوب التى كانت خاضعة للحكم التركى ــ أقول بدا للعرب أن حكومة الولايات المتحدة تتخذ مواقف عادلة فى سياستها الخارجية وأقرب إلى تحقيق الأمانى العربية.

وكان للولايات المتحدة عند العرب إذن بريق، دولة كبرى ناصرت الحلفاء فى الحرب حتى كتب لهم النصر، ونادى رئيسها بما فسره العرب تأييداً لحقوقهم، دولة ليست لها أطماع إستعمارية واضحة أمام العرب، بعكس الانجليز والفرنسيين الذين مارسوا سياسات القوة وفرض النفوذ على الأقطار العربية. فكانت خبرة العرب الأليمة مع انجلترا وفرنسا، وعدم وجود مثل هذه الخبرة بالنسبة للولايات المتحدة مايفسر لنا مثلا اتجاه العرب نحو الولايات المتحدة للحصول على تأييدها السياسى بل والسماح للمصالح الأقتصادية الأمريكية أن تتزايد فى نشاطها بالأقطار العربية دون حساسيات أوخشية من إنقلاب هذه المصالح إلى احتلال عسكرى ونفوذ سياسى كالذى تم على يد الأنجليز والفرنسيين وغيرهم من الأوربيين.

نستطيع أن نفهم إذن لماذا اتجهت الدولة السعودية فى العشرينات من القرن العشرين إلى شركات البترول الأمريكية وأعطتها امتيازات التنقيب واستغلال البترول فى أراضيها، بينما الشركات الأنجليزية والفرنسية قد حصلت على مثل هذه الأمتيازات فى أقطار عربية أخرى إلى جانب إيران وتركيا، كما يمكن لنا أن نرجع خطوة السعودية هذه إلى إطار تحركها السياسى منذ إنشاء الدولة الحديثة على يد الملك عبدالعزيز آل سعود ذلك الأطار الذى يتجنب الدخول فى مغامرات عدائية ضد القوى الأجنبية المتواجدة فى المنطقة مثل إنجلترا، وفى نفس الوقت يتجنب الأرتباط معها بروابط قوية تقيد من حركة السعودية فى السيطرة الكاملة على أراضيها،

---

(٥٣) The American Assembly, p. 152.

وبتعبير آخر إتباع أسلوب الأعتدال فى العلاقات الدولية وتجنب كل ما من شأنه أن يؤثر سلبا بغير مصلحة السعودية والعرب عامة.

كما يمكن الأشارة أيضا إلى نشاط الخبراء الأمريكين فى مجال البحث عن المياه وفى الزراعة، ذلك أن السلطان عبدالعزيز استمع فى أواخر العشرينات من القرن العشرين إلى نصيحة مستشارية باستدعاء خبراء مياه أمريكيين، وجاء المهندسون الأمريكيون للمياه من الولايات المتحدة يستكشفون البلاد ويؤكدون صحة حدس البدو البديهى وعثروا على كميات غزيرة من المياه[٥٤]. كما استخدم السلطان عبدالعزيز مجموعة من الجيولوجيين الأمريكيين منذ عام ١٩٣١م فى عمل مسح لأراضى نجد للبحث عن المعادن ولأراضى الحجاز عم المياه، وكان مستر تويتشل Twitchell من هؤلاء الخبراء الذى سجل فى تقرير قدمه للسلطان عبدالعزيز قلة كميات المياه المتوقعة، وأكد وجود معادن وخاصة الذهب فى منجم «مهد الذهب» Mahad Dahab فى عالية نجد، وأن البترول من المحتمل توفره بكميات كبيرة، وقد نجح توتيشل رام ١٩٣٤م فى تكوين شركة انجليزية أمريكية هى (S.A.M. Saudi Arabian Mining syndicate) للعمل فى منجم مهد الذهب[٥٥].

كما استقدم السلطان عبد العزيز بعد ذلك ونتيجة لثبوت توفير المياة ولحفر الكثير من الآبار فى مناطق الأحساء ونجد والحجاز عددا من المهندسين الزراعيين من الولايات المتحدة وطلب منهم تقريرا شامل عن إمكانيات الزراعة فى البلاد، وقد قرر هؤلاء المهندسين أنه ليس هناك فى الواقع حدود للأمكانات الزراعية فى شبه الجزيرة العربية[٥٦].

---

(٥٤) بنو إميشان، ترجمة عبد الفتاح ياسين: عبدالعزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة، ص ٢١٧.

(٥٥) Y. De Nova, American interests.. p. 360.

(٥٦) بنو إميشان: نفس المرجع ص ٢٢٠.

وقد نجح «تويتشل» فى جذب شركة Standard Oil of California الأمريكية للبحث عن البترول فى السعودية، فتقدمت لتحل محل الشركة العامة والشرقية ــ الانجليزية الجنسية ــ وشركة Eastern Gulf Oil الأمريكية، فى امتياز البحث عن النفط فى الأحساء، وفى المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت، بعد أن شجعتها نتائج التنقيب عن البترول فى البحرين، ومن ثم نجحت شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» فى الحصول على امتياز البحث عن البترول فى الأحساء عام ١٩٣٣م.

وقد نص اتفاق الامتياز المعقود بين الملك عبد العزيز وشركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» على امتداد أجل الأتفاق لمدة ستين سنة فى نهايتها تصبح منشآت الشركة ملكا للمملكة، وأن تدفع الشركة عند التوقيع على الأتفاق ألفى جنيه، ومبلغا مماثلا كل سنة إلى جانب أربعة شلنات ذهب عن كل طن بترول خام يتم إستخراجه.

ويعتبر هذا الأتفاق اتجاها سياسيا الملك عبد العزيز بعيدا عن النفوذ البيريطانى السائد فى منطقة الخليج العربى بل فى منطقة الشرق الأوسط، وقد أكد الملك هذا الاتجاه فى قوله: إن الشركات الأمريكية تتمتع باستقلال كبير ازاء حكوماتها، كما أن الولايات المتحدة بعيدة عن البلاد العربية، وليست لها كالدول الأوروبية أهداف سياسية فيها، ثم أن بعض المواطنين الأمريكيين أدوا لى حتى الآن خدمات لا تقدر، وآمل أن يفعل هؤلاء مثل ذلك (٥٧).

بدأت شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» عمليات التنقيب عن النفط فى منطقة الامتياز عام ١٩٣٤م فى الدمام بالقرب من حقل الظهران الحالى، وعثر على البترول فى بئر الدمام رقم ٧ وهو الذى أنتج بكميات تجارية فى مارس ١٩٣٨م، وأصبح يمثل أكبر بئر بترولى منتج فى المنطقة

---

(٥٧) بنو إميشان: المرجع السابق ص ٢٢٦.

العربية، وبهذا يعتبر أول إنتاج بترولى كبير فى الأرض العربية (الأحساء) قد تم بعد حوالى خمس سنوات منذ التوقيع على عقد الامتياز (٥٨).

ومنذ عام ١٩٣٦م دخلت شركة «تكساس» Taxes الأمريكية للبترول فى مفاوضات مع شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» من أجل المشاركة فى الأمتياز بالاحساء، وقد تم الأتفاق بين الشركتين فى ديسمبر من هذا العام دفعت شركة تكساس بمقتضاه للشركة المالكة للامتياز (استاندارد أويل أوف كاليفورنيا) عمولة نقدية قدرها ثلاثة ملايين دولار، وتعهدت بدفع مبلغ إضافى قدره ١٨ مليون دولار من نصيبها من بترول السعودية وذلك من أجل أن يصبح لها نصف أسهم امتياز بترول المملكة العربية السعودية.

وكانت مشاركة شركة تكساس فى امتياز بترول السعودية لمحصلة الشركتين الأمريكيتين، ذلك أن شركة تكساس تعتبر أحدى الشركات الخمس التى تحتكر تقريبا صناعة النفط العالمية (٥٩)، كما إنها تمتلك أسواقا واسعة لتصريف البترول (٦٠)، وبإنضمام شركة تكساس إلى شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا» تغير إسم الشركة ليصبح: الشركة العربية الأمريكية للبترول (أرامكو) (Ar.Am.Co) Arabian American Oil Company وباشرت الشركة بتشكيلها الجديد نشاطها بجدية، فاستوردت الأجهزة والآلات والخبراء الأجانب وبنت الطرق والموانى ومعامل التكرير، واجتذبت شباب القبائل العربية السعودية إلى مراكز التدريب والعمل (٦١).

وعندما تم العثور على النفط بكميات تجارية عام ١٩٣٨م مدت الشركة خط أنابيب لنقل البترول من الدمام إلى ميناء «الخبر» لشحن النفط منه إلى البحرين حتى تم تكريره هناك، كما أنشىء فى «رأس تنورة» عام

---

(٥٨) Ibid, p. 148.

(٥٩) د. صلاح العقاد: المشرق العربى المعاصر ص ٥٧١.

(٦٠) Polk, W.: op. cit., 238.

(٦١) Ibid, p. 314.

١٩٣٩م ميناء أحتفل بإفتتاحه فى أول مايو من هذا العام بحضور الملك عبد العزيز وبعض الأمراء السعوديين إلى جانب ممثلى شركة النفط. وكان ذلك فرصة لكى تصل شركة «أرامكو» مع الحكومة السعودية إلى إتفاقية ملحقة بالامتياز الأول الذى حصلت أصلا عليه شركة «ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا». وفى نهاية الإتفاقية الملحقة التى عقدت عام ١٩٣٩م، أمتدت الأجزاء الشمالية والجنوبية من منطقة الإمتياز الأولى حتى شملت المنطقتين المحايدتين اللتين تتقاسم فيهما السعودية الحقوق بالتساوى مع العراق والكويت(٦٢)، كما تم تمديد أجل الإمتياز عشر سنوات أخرى فأصبح سبعين سنة مقابل ٤٠ ألف جنيه إلى جانب ٢٠ ألف جنيه إيجاراً سنوياً حتى يتم اكتشاف النفط بكميات تجارية فى المناطق الحديثة التى ضمت إلى الامتياز(٦٣).

وكان العثور على النفط فى السعودية بواسطة الشركات الأمريكية دافعاً للشركات البترولية العالمية لكى تتقدم بعروض سخية للملك عبد العزيز من أجل الحصول على امتيازات مماثلة، وكان من هذه الشركات شركات بريطانية وألمانية ويابانية، ولكن الملك رفض هذه العروض جميعا وفضل الإستمرار فى تعاقداته مع الشركات الأمريكية وحدها، تجنبا للصراع السياسى وتأثيره على التنمية الأقتصادية لبلاده(٦٤).

وقد أثار توسيع الامتياز لشركة «أرامكو» نزاعا إقليميا حادا بين السعودية من ناحية وامارات قطر وساحل عمان من ناحية أخرى حول الحدود وامتداد نشاط الشركات الأمريكية إلى أراضى اعتبرتها الحكومة البريطانية جزءا من أراضى المشيخات التى لبريطانيا فيها نفوذ تقليدى بموجب معاهدات، ومن هنا إستمر الصراع بين الحكومة السعودية والشركات الأمريكية من ناحية وبين الحكومة البريطانية من ناحية أخرى، ولكن

---

(٦٢) حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ١٣٧ — ١٣٨.

(٦٣) د. جمال زكريا: الخليج العربى ص ٤٨١.

(٦٤) L. enczowski, G.: The Middle East in World Affairs, p. 549.

إشتعال الحرب العالمية الثانية قد أوقفت كل شيء، وحتى عام ١٩٤٥م عندما أعيد إستخراج البترول من آبار النفط السعودية مرة أخرى.

وكانت الحكومة الأمريكية قد بدأت منذ عام ١٩٤٣م فى التفكير فى كيفية نقل بترول الخليج العربى والسعودية إلى البحر المتوسط دون تعرضه لهجمات معادية تصيب ناقلات البترول، وفى فبراير ١٩٤٤م تم التوصل إلى اتفاق بين المسئولين الحكوميين فى الولايات المتحدة ورؤساء شركة «ستاندارد أوبل أوف كاليفورنيا» وشركة «تكساس» للبترول ـ مالكتا شركة البترول العربية الأمريكية ـ تتبنى فيه الحكومة الأمريكية بناء وامتلاك وإدارة نظام خطوط أنابيب لتسهيل نقل البترول الخام من نقطة بالقرب من الحقول البترولية التى تم إكتشافها آنذاك فى المملكة العربية السعودية والكويت، إلى ميناء على نهاية الساحل الشرقى للبحر المتوسط، وأن مثل هذا المشروع سوف يعطى للولايات المتحدة مركزا ممتازا فى الشرق الأوسط(٦٥).

ومع زيادة الأستثمارات الأمريكية فى مجال البترول زادت الاهتمامات الأمريكية الرسمية وبدأت الحكومة الأمريكية تأخذ مواقف فى النواحى السياسية فى علاقاتها بالمملكة العربية السعودية ومن ثم تطورت العلاقات بين الطرفين فى جو من الاحترام المتبادل من أجل ضمان واستقرار الأوضاع فى الجزيرة العربية والخليج العربى.

وانطلاقا من العلاقات الأمريكية السعودية القوية فى المجال الاقتصادى، سعت المملكة العربية السعودية إلى الحصول على قروض ومساعدات أمريكية فى الأوقات التى توقف فيها ضخ البترول ـ وهى سنوات الحرب العالمية الثانية ـ ونظرا لانحباس المطر وانخفاض رسوم الحج لقلة الحجاج بسبب الموقف الدولى.

فقد طلب الملك عبد العزيز من شركة «أرامكو» ومن الحكومتين الأمريكية والبريطانية عام ١٩٤٠م قرضا قيمته ٣٠ مليون دولار يتم تسديده على خمسة أقساط سنوية، وبعد تردد الشركة تتدخلت الحكومة الأمريكية

(٦٥) Hamilton, Ch. W.: op. cit., p. 153.

وطلبت من الحكومة البريطانية تقديم القسط الذى حل موعد سداده من القرض الأمريكى وقدره ٤٢٥ مليون دولار إلى المملكة العربية السعودية مباشرة، وقد مكن هذا المبلغ السعودية من تجنب الأفلاس وأدى إلى تقوية العلاقات بين السعودية والولايات المتحدة، والتى ما لبثت أن قدمت للسعودية معونات اقتصادية فى أبريل ١٩٤٣م(٦٦).

وقد بعث الرئيس الأمريكى «روزفلت» إلى الملك عبد العزيز آل سعود يبلغه أن القرض الذى تقدمه بريطانيا ليس مصدره كرم الحكومة البريطانية وسخاؤها، وأن الولايات المتحدة يهمها تقوية علاقاتها مع السعودية بحيث يتاح للولايات المتحدة أن تقدم للسعودية المعدات وتقرضها الأموال دون وسيط(٦٧).

وجاء هذا الموقف الأمريكى بعد مشاورات بين المسئولين الأمريكيين حسمت ببرقية وزير الخارجية الأمريكية المستر «هل» Hull إلى المستر «كيرك» Kirk الوزير المفوض الأمريكى فى القاهرة وجاء فيها: أن الرئيس الأمريكى روزفلت أعلن فى ١٨ فبراير ١٩٤٣ بأن الدفاع عن المملكة العربية السعودية حيوى بالنسبة للدفاع عن الولايات المتحدة، وهذا جعل المملكة العربية السعوية مؤهلة لتلقى مساعدة من إدارة التأجير والإعارة(٦٨).

وتأسيسا على هذا الموقف الأمريكى حصلت المملكة العربية السعودية على معونات وقروض أمريكية فى السنوات التالية جاءت فى شكل أموال سائلة وفى شكل معدات عسكرية أوصورة خبرة فنية فى مجال الزراعة وفى مجال تعبيد الطرق بالمملكة، وكلها فى اطار الاستراتيجية الأمريكة التى أعلنها الرئيس روزفلت منذ عام ١٩٤٣م.

---

(٦٦) Lenezowski, G.: op. cit., p. 551.

(٦٧) بنو إميشان: المرجع السابق ص ٢٥٤. U.S. Documents.

(٦٨) The Sectetary of State to the Minister in Egypt (Kirk), Washington, February 20, 1930, No. 890. F. 24-21 a: Telegram.

وقد بدأت العلاقات الاستراتيجية (السياسية والعسكرية) بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية عندما طلب الملك عبدالعزيز من وزارة الخارجية الأمريكية اعترافا بدولته الجديدة عام ١٩٢٨م (سلطنة نجد ومملكة الحجاز)، وعن طريق السفير الأمريكي فى لندن استفسرت وزارة الخارجية الأمريكية عما إذا كان الملك عبدالعزيز مستعد لعقد إتفاقية صداقة وتجارة مع الولايات المتحدة، وعن القوانين التى تحكم القضاء الأهلى والتجارى والجنائى والأحوال الشخصية بالنسبة للأجانب، المعمول بها فى المملكة. وعندما تلقت وزارة الخارجية الأمريكية إجابة مرضية اعترفت الولايات المتحدة بحكومة الحجاز ونجد فى مايو ١٩٣١م، ومن ثم دارت مفاوضات فى لندن بين الطرفين حتى تم التوقيع على إتفاقية لتنظيم الأمور الدبلوماسية والقنصلية والتجارية والبحرية والقضائية وذلك فى ٧ نوفمبر ١٩٣٣م (٦٩).

ومع ذلك فإنه لم يكن إلا فى أول مايو ١٩٤٢م حتى أنشئت قنصلية أمريكية فى جدة تعين لها ضابط يدعى «جيمس موسى» James Moose الذى يجيد إستخدام اللغة العربية كأول قنصل أمريكى فى السعودية، ثم ما لبثت القنصلية أن صارت مفوضية عام ١٩٤٣م ثم أصبحت سفارة فى عام ١٩٤٩م، بينما تأسست قنصلية أمريكية فى الظهران عام ١٩٤٤م.

وكان انشاء قاعدة الظهران مظهر آخر للعلاقات الأمريكية السعودية فى المجال الاستراتيجى، وقد بدأت الأتصالات لانشاء هذه القاعدة منذ مارس ١٩٤٢م بين كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والمملكة العربية السعودية، نظرا لحاجة الحلفاء إلى قاعدة كبيرة فى منتصف الطريق إلى الشرق الأقصى لمتابعة الحرب ضد اليابان، وإلى تسهيلات جوية ومرور الطائرات فى أجواء الأقطار الواقعة فى طريق الوصول إلى الشرق الأقصى، فوقع اختيار الأمريكيين على الظهران قرب آبار النفط السعودية (٧٠).

---

(٦٩) De Nova, J.A.: op. cit., 362.

(٧٠) د. صلاح العقاد: التيارات السياسية فى الخليج العربى ص٣٧٧.

وكان هذا بداية للتفكير فى إقامة قاعدة جوية بالظهران تحقق هدفين الأول حماية حقول البترول التى تمتلكها الشركات الأمريكية . والهدف الثانى تسهيل عمليات نقل المعدات والقوات الأمريكية إلى ميدان الشرق الأقصى للحرب ضد اليابان . ولكن فى هذا العام ــ ١٩٤٢م ــ لم تحصل الولايات الأمريكية من المملكة العربية السعودية أكثر من تسهيلات جوية تحلق الطائرات الأمريكية بمقتضاها فوق الأراضى السعودية من الغرب إلى الشرق أى من ساحل البحر الأحمر إلى ساحل الخليج العربى فى خطين أثنين هما :ــ

١ ــ الخط الأول يبدأ من بلدة « البركة » الواقعة على ساحل البحر الأحمر مقابل المدينة المنورة ويمر بمل من بلدة « البرك » و« بيشة » و« سليل » و« الأفلاج » و« بحرة » « فالهفوف » حتى شمال « العقير » .

٢ ــ الخط الثانى من العقبة على البحر الأحمر إلى بلدة « الضبة » مارا بوادى السرحان فشمال « الجوف » ثم إلى الجنوب من « قريات » حتى وادى البصرة على الخليج العربى (٧١) .

وعقب الحرب العالمية الثانية عقدت إتفاقية بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية لأنشاء مطار عسكرى ــ قاعدة جوية عسكرية ــ فى الظهران بتاريخ ٢٧ شعبان ١٣٥٤ هـ الموافق ٦ أغسطس ١٩٤٥ م ، وقد تم بناء القاعدة عام ١٩٤٦م لتصبح أكبر قاعدة جوية أمريكية خارجية وأكثرها تجهيزات . وفى ١٨ يونيو ١٩٥١م تم التوقيع فى جدة على إتفاقية دفاع تمتد لمدة خمسة أعوام بشأن تأجير قاعدة الظهران الجوية للولايات المتحدة ، وتدريب الجيش السعودى بواسطة خبراء أمريكيين ، وأن الأتفاقية تتجدد لمدة أخرى (٧٢) ، وقد وافق الملك سعود أثناء زيارته للولايات المتحدة أواخر عام ١٩٥٧م على تجديد إتفاقية تأجير قاعدة الظهران لمدة خمس سنوات أخرى .

---

(٧١) U.S. Documents, The Charge in Saudi Aribia (Moose) to the Secretary od State (Hull), Jidda, August 29. 1942, No. 890 F. 7962-27: Telegram.

(٧٢) Lenczowski, G.: op. cit., p. 554-555.

وعلى الجانب السياسى فقد تعددت اللقاءات بين المسئولين فى البلدين، من ذلك زيارة الأمير فيصل والأمير خالد والشيخ حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز للولايات المتحدة خلال عام ١٩٤٣م، وعام ١٩٤٥م، وفى عام ١٩٤٧م، زار ولى العهد الأمير سعود بن عبد العزيز واشنطن وهناك استقبله الرئيس الأمريكى ترومان. كما تم تنظيم لقاء بين الملك عبد العزيز نفسه والرئيس الأمريكى روزفلت بينما كان فى طريقه عائدا من «يالتا» Yalta ، وتم اللقاء على ظهر سفينة حربية أمريكية بالبحيرات المرة وسط قناة السويس بمصر فى فبراير ١٩٤٥م، وفى هذا اللقاء تحدث الملك ــ الذى كانت هذه أول رحلة له خارج بلاده ــ عن حقوق العرب فى فلسطين وقد لقى من الرئيس الأمريكى تعاطفا وتفهما، وتقديرا للموقف الأمريكى وللعلاقات بين الطرفين الودية أعلنت المملكة السعودية فى أول مارس ١٩٤٥م الحرب ضد ألمانيا تضامنا مع الحلفاء، وتلى ذلك أن أتخذ ممثل المملكة مكانه فى مؤتمر الأمم المتحدة التى عقد بمدينة «سان فرانسيسكو»، وسمح للأسطول الأمريكى بعمل زيارة ودية لميناء الدمام السعودى(٧٣).

وسارت العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية العربية السعودية ودية، ومن ثم نجد المملكة تستطلع رأى حكومة واشنطن حول مشروع الاتحاد العربى الذى عرضته مصر عام ١٩٤٣م على الدول العربية المستقلة وهى إلى جانب مصر والسعودية، اليمن والعراق وسوريا ولبنان وشرق الأردن. وجاء الرأى الأمريكى مؤكدا أنه طالما اتخذت الأقطار المعنية قرارها الخاص، فإنه يبدو لحكومة الولايات المتحدة أن الأحداث والمشكلات التى برزت خلال السنوات القليلة الماضية قد أظهرت أن أقطار الشرق الأدنى تحتاج إلى تعاون أكبر لتدعيم النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وأن أولى خطوات الاتحاد بين الأقطار العربية يجب أن تضع فى الإعتبار الأخذ بهذه النواحى أولا(٧٤).

---

(٧٣) Ibid, p. 553.

(٧٤) U.S. Documents, The Acting Secretary of State to the Minister in Egypt (Kirk), Washington, October 26, 1943. No 890 B. 00/283: Telegram.

أبناء عبد العزيز بن عبد الرحمن

توفى الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يوم ١٦ ربيع الأول عام ١٣٧٢ هـ الموافق ١٢ نوفمبر عام ١٩٥٣م ليخلفه على عرش السعودية ولى عهده الأمير سعود بن عبد العزيز، وتوالى إخوته بعده حيث خلف فيصل بن عبد العزيز تلاه خالد بن عبد العزيز ثم فهد بن عبد العزيز، وفيما يلى صفحات موجزة عن إنجازات ملوك السعودية أبناء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن.

أولا: الملك سعود بن عبد العزيز:

تولى سعود الحكم فى المملكة العربية السعودية فى اليوم التالى لوفاة المغفور له الملك عبد العزيز ليواصل المسيرة المتمثلة فى:ـ

١ ـ بناء فى الداخل على أساس من الأمن والأستقرار الشاملين.

٢ ـ عمل من أجل التضامن الإسلامى وخدمة دين الله والأمة الإسلامية.

٣ ـ سعى من أجل الأخاء العربى بحكم روابط الدين واللغة والجوار والأرض والتاريخ والدم.

٤ ـ مساهمة فعالة فى الجهود الدولية الرامية إلى إقرار السلام العالمى القائم على الحق والعدل (٧٥).

وقد إستطاع الملك سعود بن عبد العزيز استخدام إمكانات المملكة المادية والبشرية فى إستكمال المشروعات التطورية والتوسع فى الخدمات الأساسية التى تقدمها الدول للمواطنين، كما كانت له زيارات متعددة للخارج إلى مصر وغيرها من الأقطار العربية كما زار الولايات المتحدة الأمريكية فى إطار العلاقات التقليدية بين البلدين.

ثانيا: الملك فيصل بن عبد العزيز:

تولى الملك فيصل رحمه الله ملك السعودية بتاريخ ١٧ جمادى الثانية ١٣٨٤ هـ الموافق ١٩٦٤م بعد أن تقرر تنحية الملك سعود عن الحكم، وقد بدأت فى عهده عملية البناء الداخلى للدولة على أسس حديثة كاعتماد

---

(٧٥) محيى الدين القابس: فهد فى صور، المرجع السابق ص ١٤.

التخطيط أساسا للخطوات التى تخطوها البلاد على طريق التطور والرقى، ومثل وضع الخطة الإنمائية الأولى.

وكان فى عهد والده قائدا للقوات السعودية فى منطقة عسير وتهامة منذ عام ١٣٤٠هـ الموافق ١٩٢١م وبعد أربع سنوات عين نائبا للملك فى الحجاز واحتفظ بهذا المنصب إلى أن ألغى، وبعد خمس سنوات أخرى (١٣٤٩هـ/١٩٣٠) صدر مرسوم برفع المديرية العامة للشئون الخارجية إلى درجة وزارة وعين فيصل وزيرا للخارجية. وبعد خمس سنوات أخرى عين رئيسا لمجلس الشورى بعد صدور مرسوم ملكى يقتضى بوضع نظم جديدة للمملكة (٧٦).

وبعد وفاة الملك عبد العزيز وتولية سعود حكم المملكة نودى بالأمير فيصل وليا للعهد فى ٢ ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ، ثم عين بعد ذلك رئيسا لمجلس الوزراء. وبناء على قرار من العلماء والشعب عين فى ١٦ زى القعدة عام ١٣٨٣هـ الموافق ١٩٦٣م نائبا للملك وأسندت له كل سلطات الحاكم التى كانت من اختصاص الملك.

وبالنسبة لسياسة فيصل الخارجية فقد قام بمجهودات كبيرة لبلورة مبادىء التضامن الإسلامى كقوة تجمع الشعوب الإسلامية فى مؤتمرات ومؤسسات على مختلف المستويات فقام بسلسلة طويلة من الرحلات شملت معظم البلاد الإسلامية داعيا إلى وحدة الكلمة والصف الإسلاميين، وساعيا من أجل عقد مؤتمر قمة إسلامى يكون منطلقا لتنظيم شئون المسلمين وعلاقاتهم ببعضهم فيما يعود بالخير على دينهم وأمتهم، وهو ما تحقق بالفعل بإنعقاد مؤتمرى القمة الإسلامية الأول فى الرباط والثانى فى لاهور (٧٧).

كما تبنى الدفاع عن قضايا العرب والمسلمين فى المحافل الدولية فزار من أجل ذلك عددا من الأقطار العربية وفى مقدمتها الولايات المتحدة

---

(٧٦) عيد مسعود الجهنى: فيصل بن عبد العزيز قائد أمة ورائد جيل. الرياض ـ ص ١٣ ـ ١٤.

(٧٧) عيد مسعود الجهنى: فيصل .. المرجع السابق ص ١٤ ـ ١٥.

الأمريكية، كما شجع حركة تحرير فلسطين وساهم بقدر كبير فى مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧م فى إنهاء الخلافات العربية وتقرير سياسة الدعم العربى.

ثالثا: الملك خالد بن عبد العزيز:

بوفاة فيصل عام ١٣٩٥هـ الموافق لعام ١٩٧٥م آلت المسئولية للملك خالدبن عبدالعزيز الذى عهد إلى أخيه فهدبن عبدالعزيز بولاية عهده، وفى عهد الملك خالد نفذت الخطة الإنمائية الثالثة التى بدأ تنفيذها عام ١٤٠٠هـ الموافق لعام ١٩٨٠م.

وفى عهد الملك خالد عقد مؤتمر القمة الإسلامية الثالث عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م فى مكة المكرمة حيث اجتمع فى رحاب الحرم المكى الشريف ولأول مرة فى التاريخ قادة وزعماء الدول الإسلامية. كما قام بعدة زيارات رسمية لعدد من الدول الشقيقة والصديقة لتوثيق علاقة المملكة بهذه الدول، كما أنشىء مجلس التعاون الخليجى الذى هدف إلى تقوية الروابط التى تصل بين الكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان والمملكة العربية السعودية، وهو المجلس الذى جعل من دوله قوة متكاملة فى مختلف المجالات السياسية والإقتصادية والتعليمية والحضارية بحكم التجانس الطبيعى لشعوب هذه الدول (٧٨).

وفى ٢١ شعبان ١٤٠٢هـ الموافق ١٣ يونيو ١٩٨٢م توفى الملك خالدبن عبدالعزيز إثر أزمة قلبية فتمت مبايعة ولى العهد فهدبن عبدالعزيز مليكا للبلاد، الذى مالبث أن اتخذ لقب خادم الحرمين الشريفين حيث أشرف على إستمرار مشروعات توسعة الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

---

(٧٨) محيى الدين القابس: فهد فى صور، المرجع السابق ص١٥.

▪ الفصل السابع ▪

موضوعات فى التاريخ اليمنى

١ ـ مقدمة .

٢ ـ الصراع الاستعماري حول الجزر اليمنية فى القرن التاسع عشر.

٣ ـ أمن البحر الأحمر بين ميثاق أمن جدة ١٩٥٦ م ومؤتمر تعز عام ١٩٧٧ م .

■ مقدمـــة ■

لليمـن تـاريخ طويل وقديم حيث عرف فى التاريخ القديم بإسم بلاد العرب السعيدة لما تميزت به من حضارة وازدهار فى ذلك العصر، ومع بداية العـصور الحديثة انقسم سكان اليمن من حيث المذاهب الدينية الإسلامية إلى اتبـاع المذهب الزيدى وهو أقرب المذاهب الشيعية إلى السنة والذين سكنوا جبال اليمن ، وأتباع المذهب الشافعى ــ الذين عرفوا بالشوافع ــ السنى الذين سكنوا السهول الساحلية .

وقـد اصطـدم الائمة الـزيـديون بقـوى داخلية متمثلة فى القبائل والأئمة الخـارجين على الحـاكم ، كما اصطدم بقوى خارجية كان منها الأتراك الذين حـاولـوا الـسيـطرة على اليمن منـذ القـرن السابع عشر حتى انتهت محاولات الـسيطرة التركية على اليمن بعقد معاهدة « درعا » فى عام ١٩١١م ، وكان منهـا البـريطانيون الذين نجحوا فى عام ١٨٣٩م فى احتلال عدن ومنها امتد نفوذهم على قبائل الجنوب العربى .

ونـتـيـجة لـظهور جماعات من الشباب اليمنى المثقف قامت عدة محاولات ضد الائمة لاغتيالهم بعضها نجح حيث تم اغتيال الإمام يحيى حميد الدين عام ١٩٤٨م وان تم القـضاء على الثورة وتولى ابنه أحمدبن يحيى الذى تعرض هو الآخر لمحاولة إنـقـلابـية عـام ١٩٥٥م كـان للمثقفين فيها دور رئيسى وإن فشلت هى الأخرى .

وفى العام التالى ١٩٥٦م دخلت اليمن مع كل من مصر والمملكة العربية السعودية فيما عرف بميثاق أمن جدة وهو ميثاق دفاعى عسكرى مضاد للنفوذ البريطانى فى البوريمى والخليج والجنوب العربى، كما انضمت إلى الجمهورية العربية المتحدة فيما عرف بإسم ميثاق اتحاد الدول العربية فى مارس ١٩٥٨م.

وكان للانفتاح المحدود الذى شهده اليمن فى الخمسينيات من القرن العشرين أثره فى تطلع المثقفين اليمنيين للتخلص من حكم الأئمة باعتبارهم عقبة فى سبيل تطور اليمن وتقدمه، وحدث شبه تحالف بين المثقفين وضباط من جيش اليمن، حتى أنه عندما توفى الإمام أحمد فجأة فى ١٩ سبتمبر ١٩٦٢م قام أحد الضباط اليمنيين وهو عبد الله السلال بانقلاب عسكرى ضد الإمام البدر الذى فر إلى السعودية، وقد أعلن النظام الجمهورى وألغى النظام الملكى، وانفتح اليمن على العالم وساهمت كل من الكويت والمملكة العربية السعودية ومصر فى تقدم اليمن وتحضره.

ونتيجة لوجود الجيش المصرى فى اليمن منذ عام ١٩٦٢م لمساعدة الثورة اليمنية تشجعت الحركة الوطنية فى عدن والجنوب فى مقاومة الوجود البريطانى ولقيت كل مساعدة من الجمهورية العربية اليمنية ومن مصر حتى اضطرت انجلترا إلى الجلاء عن عدن وإعلان إستقلالها مع مشيخات الجنوب تحت إسم جمهورية اليمن الجنوبية عام ١٩٦٧م.



الصراع الإستعمارى حول الجزر اليمنية
فى القــرن ١٩

■ مقدمـــة ■

تمثل الجزر اليمنية وأهمها سقطرى و بريم وكمران بمواقعها الجغرافية أهمية استراتيجية خاصة للقوى البحرية العالمية الساعية لفرض سيطرتها على مدخل البحر الأحمر الجنوبى وصولا للسيطرة على كل الأقطار المطلة على هذا البحر حتى برزخ السويس فى مصر شمالا ..

وقد كانت البرتغال أسبق هذه القوى العمالية البحرية نشاطا فى هذا المجال منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى حيث حاولت السيطرة على عدن وجزر سقطرى وبيريم وكمران من خلال محاولاتها للوصول إلى موانى جدة والسويس والسيطرة على الأقطار الإسلامية المطلة على البحر الأحمر مثل مصر والحجاز والسودان واليمن بعد أن نجحت فى السيطرة على المدن الإسلامية المزدهرة بشرق أفريقيا ومملكة هرمز وجزر البحرين فى الخليج العربى ..

ولولا صلابة موقف أهالى عدن والجزر اليمنية القوية فى مواجهة الإعتداءات البرتغالية المتكررة ، ولولا التقليد الإسلامى الذى وضعه سلاطين المماليك فى مصر وأكده العثمانيون عندما أحتلوا مصر والحجاز منذ عام ١٥١٧م ، وذلك التقليد الذى يحرم على السفن التى ترفع أعلاماً عليها صليب دخول مياه البحر الأحمر لأن أراضى الأماكن المقدسة للمسلمين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة تطل عليه ..

لولا هذا وذاك لنجح البرتغاليون فى الإستيلاء على عدن والجزر اليمنية عند مدخل البحر الأحمر الجنوبى ومدوا عدوانهم إلى الحجاز والسودان ومصر، وكرروا مافعلوه فى أقطار الخليج من ممارسات عدوانية غاشمة ليس على الأرض فقط بل وضد السكان الآمنين العزل الذين تعرضوا لوحشية وقسوة البرتغاليين ..

وإذا كان البرتغاليون قد جلوا عن تلك الجهات مع مطلع القرن الثامن عشر الميلادى فقد بدأت تظهر قوى بحرية عالمية أخرى تمثلت فى البرتغاليين والفرنسيين ..

فعندما نجح بونابرت فى الإستيلاء على مصر أواخر القرن الثامن عشر تطلع إلى مداخل البحر الأحمر والخليج العربى بهدف السيطرة على طرق التجارة الشرقية ولضرب المصالح البريطانية فى الهند، ولو طال أمد بقاء الحملة الفرنسية فى مصر وقتا أطول من فترةالثلاث سنوات التى بقيتها لتحقق لبونابرت بعض ما كان يهدف إليه إن عجز عن تحقيق كل الأهداف ..

ونتيجة للحملة الفرنسية على مصر تنبهت بريطانيا إلى أهمية البحر الأحمر من مدخله عند باب المندب إلى شماله عبر مصر، ومن ثم ساهمت بأكبر قدر فى إخراج الحملة الفرنسية من مصر، وحرصت على أن تكون لها النفوذ الأعلى فى مصر بعد خروج الفرنسيين وارتقاء محمد على كرسى الباشوية فى مصر اعتبارا من عام ١٨٠٥م.

وعندما حاول محمد على السيطرة على مدخل البحر الأحمر الجنوبى من قواعده فى اليمن وقفت له بريطانيا موقف المعارضة بل والتهديد وانتهى الأمر باستيلائها على عدن عام ١٨٣٩م، وعن هذا الموقع أخذت تسيطر على مدخل البحر الأحمر الجنوبى عن طريق السيطرة على جزره الجنوبية (جزر اليمن) وأهمها سقطرى وبريم وكمران ..

ولكن القوة الفرنسية والقوة الإيطالية تطلعت إلى شرق أفريقيا وساحل البحر الأحمر وهنا تمت المساومات بين بريطانيا وهذه القوى من أجل تقسيم مناطق النفوذ خاصة بعد إجلاء مصر عن مناطق الصومال الشمالى وأرتيريا إلى جانب السودان عام ١٨٨٥م، وقد انتهى الصراع بسيطرة بريطانيا على تلك الجزر المساندة لكل من عدن والصومال الشمالى المستعمرات البريطانية ..

التسابق الإستعمارى الأوروبى

لكى نستجلى الصراع حول الجزر اليمنية لابد لنا أن نبحث عن جذور هذا الصراع من خلال التسابق الإستعمارى الأوروبى فى أفريقيا وفى المنطقة العربية. فقد تميز القرن التاسع عشر بوضوح الظاهرة الإستعمارية الأوروبية، وقد انطلقت الدول الأوروبية للإستعمار تحت ستار البعثات التبشيرية أوالشركات التجارية أوالمستكشفين، ومن ثم حدثت منافسة بين الأوروبيين من أجل الفوز بمناطق نفوذ أوسيطرة أوالإمتلاك للأرض وماعليها من مواد خام..

وجاء إفتتاح قناة السويس للملاحة البحرية العالمية عام ١٨٦٩م ليزيد المنافسة الدولية حول أفريقيا والمنطقة العربية، تلك المنافسة التى كادت تؤدى إلى صدام محاصرا بألمانيا أن تدعو إلى عقد مؤتمر يكون مقره برلين لتقسيم مناطق النفوذ والإستعمار فى أفريقيا دون الحاجة إلى الصدام المسلح، وبالفعل انعقد ماعرف بمؤتمر برلين من نوفمبر ١٨٨٤م وأصدر قراراته فى فبراير عام ١٨٨٥م.

وجاءت قرارات مؤتمر برلين لتعطى ضوءاً أخضر للدول الأوروبية لكى تنطلق فى سباق لاحتلال أراضى القارة الأفريقية، ذلك أنه على الرغم من أن المؤتمر انعقد أساسا لبحث موضوع الإدعاءات البلجيكية فى حوض نهر الكونغو فى مواجهة الإدعاءات الفرنسية شمال النهر والإدعاءات البرتغالية جنوب النهر، إلا أن أثره على الإستعمار الأوروبى فى أفريقيا السوداء كلها كان أكثر إتساعا، وكان أقصى ما سعى إليه هو محاولة وضع مبدأ يمكن على أساسه دراسة الإدعاءات الإستعمارية والإعتراف بها (١).

وقد شهد القرن التاسع عشر نشاطا فرنسيا عموما لامتلاك أراضى خارج القارة الأوروبية خاصة بعد حروب الثورة الفرنسية ونابليون، وكان الدافع وراء هذاالنشاط الفرنسى التنافس البريطانى الفرنسى على المستعمرات فى العالم الجديد وفى منطقة البحر المتوسط وخاصة مصر وبلاد الشام، وفى منطقة الجنوب العربى والهند وشرق أفريقيا والخليج العربى.

---

(١) بيون هانش: تاريخ افريقيا ص ١١.

وكان وراء النشاط البريطاني الإستعماري عدة عوامل أهمها نجاح ثورة الإستقلال الأمريكية ضد الحكم البريطاني عام ١٧٨٣م بصورة أشعرت بريطانيا بضرورة الإتجاه شرقا لتعويض هذه الممتلكات الغنية، كما أن تهديدات حكومة الثورة الفرنسية وحروب الإمبراطور نابليون الأول وأطماعه كانا من دوافع اتجاه بريطانيا لتأسيس إمبراطورية فى الشرق، وما صدامها مع حملة بونابرت على مصر سوى مظهر لهذا الإتجاه البريطاني..

كما كان من عوامل بناء الإمبراطورية البريطانية الأسطول البريطاني التجاري والحربي الذى كان سيد البحار بلا منازع، والذى استخدمته فى الإستيلاء على رأس الرجاء الصالح عام ١٧٩٥م أولا من شركة الهند الشرقية الألمانية المفلسة، ثم ثانيا من الجمهورية البتافية (هولندا) عام ١٨٠٦م كرد فعل لتحركات نابليون فى أوروبا (٢)..

هذا إلى جانب نظم الليبرالية ومبدأ حرية التجارة، واتباع سياسة العزلة عن المشكلات المباشرة للقارة الأوروبية، أوبمعنى آخر اتباع سياسة عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأوروبية (٣) بالإضافة إلى نجاح الثورة الصناعية فى بريطانيا التى غدت كما عرفت طوال القرن التاسع عشر بأنها مصنع العالم..

وقد أدركت بريطانيا أهمية مصر والبحر الأحمر منذ مجيء الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م وزادت أهمية البحر الأحمر فى نظر بريطانيا منذ افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية عام ١٨٦٩م وأدركت أن البحر الأحمر هو الطريق الطبيعي إلى الشرق الأقصى أوعلى حد تعبير اللورد سالسبورى Lord Salisbury بأن طريق البحر الأحمر هو «وتر بريطانيا الحساس» .. Our Road of Communication With the Indies, our Senstive Nerve- String. (٤).

---

(٢) Kirkwood, K.: Britain and Africa, p. 16.

(٣) د. محمد رياض وآخرون: أفريقيا.. ص٣٠.

(٤) د. محمد صفى الدين: أفريقيا بين الدول الأوروبية ص١٤٨.

وكانت بريطانيا قد أخذت تعمل منذ أستولت على عدن عام ١٨٣٩م على إيجاد ممتلكات لها فى شرق وشمال شرق أفريقيا (٥)، وأخذت تعمل على الإنفراد بالسيطرة على البحر الأحمر خاصة بعد أن اشترت الحكومة البريطانية نصيب مصر من أسهم شركة قناة السويس بموافقة الخديوى إسماعيل..

وانطلاقا من حساسية بريطانيا لكل نشاط استعمارى آخر يفرض وجوده فى البحر الأحمر، فإنها من موقعها فى عدن وجزيرة بريم عند مضيق باب المندب أخذت ترقب تحركات الإيطاليين أثناء نشاطهم لتحقيق مطامعهم فى إقليم أريتريا منذ رفع العلم الإيطالى على عقب فى ١٣ مارس ١٨٧٠م (٦)، ومنذ ضمت إيطاليا أراضى سلطنة «راحيتا» أو «رهيطة» إلى مناطق نفوذها فى أريتريا عام ١٨٨١م، وإن كانت بريطانيا قد أغمضت عينيها عن النشاط الإيطالى عندما تبين لبريطانيا عام ١٨٨١م أيضا أن الفرنسيين يبذلون أقصى جهد لإخراج مصر من قبضة بريطانيا (٧)، كما أن بريطانيا كانت تخشى من وقوع موانى سواحل البحر الأحمر الغربى فى قبضة المهديين (٨).

وعلى الرغم من الموقف الودى من جانب بريطانيا نحو نشاط إيطاليا الإستعمارى فى البحر الأحمر، فقد كانت حساسيتها لكل ما يحدث فى البحر الأحمر يدعوها إلى متابعة كل نشاط تقوم به إيطاليا فنجد مثلا برقية مرسلة من القنصل البريطانى العام فى القاهرة سير إيفلن بارنج Evylen Baring يكتب لوزير الخارجية البريطانية اللورد «جرانفيل» Granville يقول: إن الكولونيل «تشرمسيد

---

(٥) Kirkwood. K.: op. cit.. p. 19.

(٦) د. السيد رجب حراز: أريتريا الحديثة ص ٨١-٨٢.

(٧) د. محمد صبرى: الامبراطورية السودانية فى القرن ١٩ ص ١٦٥.

(٨) د. السيد رجب حراز: التوسع الإيطالى فى شرق أفريقيا ص ١٦٦.

Chermside أبرق من عدن بأن الإيطاليين احتلوا جزر دهلك المواجهة لميناء مصوع » (٩) ..

ونظرا لشدة حساسية بريطانيا نحو النشاط الإستعمارى الفرنسى بالذات فى شرق أفريقيا والبحر الأحمر، فقد دار صراع بين الطرفين حول جزر الأخوة وهى مجموعة من الجزر الأقرب إلى مدخل البحر الأحمر الجنوبى، وهى عبارة عن مجموعة من الجزر الصخرية عددها سبعة جزر وتبعد عن جزيرة بريم بحوالى عشرة أميال نحو الجنوب، وطبيعة سطح هذه الجزيرة بركانية لونها بنى وارتفاع سطحها متوسط (١٠) وقد حاولت فرنسا احتلال هذه الجزر وخاصة جزر «موسى» و«أوباد» أو«أوقات» كما تذكر فى بعض المصادر عام ١٨٨٤م عند تأسيس المستعمرة الفرنسية فى «أوبوك»، ولكن الحكومة البريطانية سارعت إلى الإعلان بأن هذه الجزر صارت لبريطانيا العظمى منذ عام ١٨٤٠م بموجب تنازل من شيوخ «تاجورة» و«زيلع» (١١).

وبناء على هذا قد أعلن الميجور هنتر Hunter بأن وجودا بريطانيا قد تأسس فعلا فى هذه الجزر (١٢). ثم أعلنت الحكومة البريطانية على لسان نائب الملك فى الهند بأن العلم البريطانى قد تم رفعه على تلك الجزر فى الوقت الذى احتلت فيه القوات الفرنسية تاجورة (١٣).

ومع ذلك فقد أصبحت جزر الأخوة من نصيب فرنسا التى رفعت العلم ذى الثلاثة ألوان على كل الجزر السبعة وذلك فى خريف عام ١٨٩٠م

---

(٩) F.O.403. Further Correspondence respecting the Red Sea and Somalicoast: No.83/277. Sir Evylen Baring to Earl Granville Cairo, June 13, 1885 No. 478.

(١٠) Ibid, No. 126, Inclosure 3 in No. 26 : Extract from the «Red Sea Pilts» editian of 1883, p. 144.

(١١) Ibid, No. 82, No. 261, Mr. Godley to Sir J.Pannceforte, India Office, November 7, 1884.

(١٢) Ibid, No. 82, No. 323, Sir Zvylen Baring to Earl Granville, Cairo December 6, 1884.

(١٣) Ibid, No. 82, Inclosure in No. 349. The Viceroy of India to the Earl of Kimberley, Culcutta, December 11, 1885.

(١٤)، كجزء من توزيع مناطق النفوذ بين بريطانيا وفرنسا فى المنطقة، واستنادا إلى حصول بريطانيا على ماعرف باسم الصومال الشمالى الذى يضم موانى «زيلع» و«بلهار» و«بربرة» بينما تأسست مستعمرة فرنسية فى جيبوتى التى تنتمى إليها هذه الجزر الواقعة إلى الجنوب من جزيرة بريم التى تسيطر عليها بريطانيا..

ومصدر أهمية هذه الجزر أنها تحرس المدخل الجنوبى للبحر الأحمر، ومن ثم فإن القوة التى تسيطر على هذه الجزر يكون لها صوت مسموع فى استراتيجية مدخل البحر الأحمر عند باب المندب وبالتالى يؤثر على بقية الأقطار المطلة على هذا البحر..

جزيرة سقطرى

تقع جزيرة سقطرى بالقرب من الساحل الجنوبى للجزيرة العربية إلى الشرق من عدن وهى جزيرة جبلية وعرة قليلة السكان تنتشر حولها الشعب المرجانية، ولها أهمية استراتيجية لمن يريد التحكم فى مدخل البحر الأحمر..

ونتيجة لهذا الموقع والأهمية الأستراتيجية فقد اتجهت أنظار بريطانيا إليها أثناء صراعها مع فرنسا على السيطرة على مدخل البحر الأحمر الجنوبى، ومن ثم استطاعت بريطانيا عقد أتفاق مع سلطان سقطرى بتاريخ ٢٣ أبريل عام ١٨٨٦م يضع الجزيرة وملحقاتها تحت الحماية البريطانية (١٥)..

وكان قد ورد تقرير من حاكم عام الهند إلى المركيز سالسبورى بتاريخ ٢٩ يناير ١٨٧٥م حول تطور علاقة بريطانيا بجزيرة سقطرى جاء فيه:

١ ــ أن حق السيادة على الجزيرة للرؤساء الكبار من القبيلة العربية المسماة «المهارة» Mahare تقيم فى «كشين» Kisheen، وقد تمت الموافقة بين حكام الجزر وحكومة الهند على إقامة محطة للفحم لتموين سفن الأسطول البريطانى منذ عام ١٨٣٣م.

---

(١٤) Ibid. No. 126. Inclosure 2 in No. 26. Captain Aueste Brigadir General Jobb. Aden. September 11. 1890.

(١٥) F.O.403. 88. No. 26. Mr. Godley to sir J. Pauncefote. India Office. September 1. 1886.

٢ـ وفى عام ١٨٣٨م قدم عرب «كشين» اقتراحا بربط سقطرى ببريطانيا ولكن الحكومة البريطانية رفضت.

٣ـ وفى عام ١٨٤٧م وردت إلى عدن أخبار عن محاولات فرنسية لفرض السيطرة الفرنسية على جزيرة سقطرى.

٤ـ وفى عام ١٨٧١م حاولت إيطاليا فرض سيطرتها على جزيرة سقطرى (١٦).

وكان قد حدث اتفاق بين كل من على بن عبد الله بن سالم بن سعد بن بن عقرير سلطان سقطرى من جانب والبريجادير جنرال جون وليام شنيدر John William Schneider حاكم عدن من جانب الحكومة البريطانية على ظهر الباخرة البريطانية «بريتون» Briton فى كشين بتاريخ ٢٣ يناير ١٨٧٦م تعهد فيها سلطان سقطرى عن نفسه وأهله وخلفائه من بعده بعدم الأتفاق مع أية قوة أخرى بما يتعارض مع مصالح بريطانيا بالنسبة لجزيرة سقطرى أو الجزر المجاورة التابعة لها، فى مقابل مبلغ ثلاثة آلاف دولار عند التوقيع ومبلغ ٣٦٠ دولار سنويا (١٧).

ومع إتفاقية ٢٣ أبريل ١٨٨٦م ـ أى بعد عشر سنوات من الأتفاق المبدئى أو تعهد سلطان سقطرى ـ طلب السلطان أن تمتد الحماية البريطانية المتفق عليها عام ١٨٨٦م، لتشمل جزيرة «كشين» Kishen وتوابعها، ولكن الحكومة البريطانية طلبت أولاً إضافة مادة جديدة لمعاهدة ١٨٨٦م تنص على تعهد السلطان بعدم التعامل مع أية قوة أوروبية أخرى أو إعطائها تسهيلات فى أراضيه وذلك لمواجهة التطلعات الألمانية فى هذه الجهات (١٨).

وقد تعهد السلطان على بن عبد الله وسالم بن أحمد عن نفسه وعن ذويه وعن خلفائه كتابة بعدم الدخول فى مراسلات أو اتفاقات أو معاهدات مع أية

---

(١٦) F.O. 403. 8. Inclosure I in No. 64. The Governor-General of India in Council to the Marquis of Salisloury. Fort William. January 29, 1875.

(١٧) Ibid. Inclosure 4 in No., 131. Brigadier-General Schneider to Mr. Thornton. Aden Residency. February L. 1876.

(١٨) F.O. 403. 88. Inclosure 4 in No. 26. the Earl of Kimberley to the Viceroy of India. India Office. March 27. 1886.

قوة أوروبية أخرى ، مع التأكيد على قبول الحماية البريطانية على جزيرة سقطرى وملحقاتها وكشين باخلاص ضد أعداء السلطان سواء من المسيحيين أو العرب أو من غيرهم . ولن تدخل السلطنة فى أية اتفاقات مع أية قوة خارجية دون علم الحكومة البريطانية ، وأن السلطان يأمل أن توافق الحكومة البريطانية على عقد اتفاق بندر كشين وملحقاتها تحت الحماية البريطانية على غرار الإتفاق بوضع سقطرى، تحت الحماية البريطانية (١٩) .

وقد صيغت هذه التعهدات فى إتفاقية تتكون من ثلاث مواد تم التوقيع عليها فى ٢٣ أبريل عام ١٨٨٦م ــ التى سبق الإشارة إليها ــ وقعها عن الجانب البريطانى البريجادير جنرال أ . ج . ف . هوج A.G.F Hogg المقيم السياسى البريطانى فى عدن ومن سقطرى السلطان على بن عبد الله (٢٠) .

وتقع جزيرة سقطرى، فى المحيط الهندى على بعد ٢٤٠ كيلو مترا من شرقى الشمال الشرقى لرأس عسير ــ الذى يسمونه فى بعض اللغات الأوروبية رأس جوارد افوى ــ الذى يقع فى أقصى الشمال الشرقى من أرض جمهورية الصومال الديمقراطية . وتبلغ مساحة سقطرى ٣٥٧٩ كيلو مترا مربعا ، وعدد سكانها ١٥ ألف نسمة وأعلى موقع فيها ١٤٠٠ متر .

ويقال إن اسم عاصمتها وميناءها «تمريدا» مشتق من اسم التمر، وينمو بها النخيل والسنط والطلح اللذان يؤخذ منها الصمغ ، ويزرع بها الطباق والرمان والمقاثىء ــ من خيار وبطيخ وشمام ــ والعود والند وغيرهما من الأشجار العطرية ، وقد عرف قدماء المصريين سقطرى وكانوا يسمونها «ربى العطور» وبها الماشية بدسم ألبانها ، والسن من أهم صادرات سقطرى ، ومن حيواناتها البرية حمار الوحش والسنور (القط) الذى يؤخذ

---

(١٩) Ibid, Inclosures. 15. 16. in No. 26. Sultan Ali bin-Abdulla-Bin-Salim-bin-Afrir to Brigadier-General Hogg. 20th Rajab. 1303 (April 23. 1886).

(٢٠) Ibid, Inclosure 19 in No. 26. Protectorate Treaty.

منه السمك. وفى سقطرى أنهار يجرى بها الماء طول العام ويصطادون منها السمك.

وكانت سقطرى قاعدة بحرية وجوية لبريطانيا حتى أصبحت جزءا من أرض جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بعد الاستقلال.

جزيرة بريم

تقع جزيرة بريم فى مضيق باب المندب على بعد ميل من الساحل العربى وأحد عشر ميلا من الساحل الأفريقى، وتفصل باب المندب إلى قسمين. المضيق الصغير الذى يفصل الجزيرة عن الشاطىء العربى وعرضه ثلاث كيلو مترات، والمضيق الكبير وعرضه نحو إحدى وعشرون كيلو مترات، وتستعمل السفن المضيق الصغير نظرا لوجود مجموعة من الجزر البركانية الصغيرة المسماة الأخوة فى المضيق الكبير.

وتتكون جزيرة بريم من تشكيلات صخرية بركانية هى عبارة عن مجموعة من التلال التى تنحدر نحو الشاطىء، وتحيط بالميناء طولها حوالى ميل ونصف وعرضها نصف ميل ويبلغ أعلى إرتفاع فى الجزيرة نحو ٢٤٥ قدما، وتبعد الجزيرة حوالى مائة ميل عن ميناء عدن ومائتى ميل عن جزيرة كمران.

ونتيجة لهذا الموقع فقد اتجهت أنظار بريطانيا نحو جزيرة بريم لتحكم السيطرة على مدخل البحر الأحمر الجنوبى، ولذلك احتلتها القوات البريطانية لتراقب تحركات القوى الأخرى فى المنطقة، ولذلك نجد الكابتن «سنيل» Captain Snell مساعد المقيم البريطانى فى بريم يكتب للمقيم السياسى البريطانى فى عدن البريجادير جنرال «هوج» فى ١٨ فبراير ١٨٨٦م تقريرا عن تحركات الأتراك فى «الشيخ سعيد» وهى مدينة يمنية جاءها الأتراك من مدينة «مخا» اليمنية (٢١).

---

(٢١) F.O. 403, 87, Inclosure 2 in No. 97. Captain Snell to Brigadir-General Hogg, Perim, February 18, 1886.

وفى ١١ مارس ١٨٨٦م أرسل الميجور هنتر Major Hunter المقيم السياسى فى عدن إلى حكومة الهند البريطانية فى بومباى أرفق برسالته تقريرا من مساعد المقيم السياسى البريطانى فى بريم عن وصول قوات تركية من «مخا» إلى «الشيخ سعيد» ومعها أسلحتها من المدافع الكبيرة والبنادق(٢٢)، مما يؤكد استخدام بريم كمنطقة مراقبة بريطانية لكل ما يجرى قرب مدخل البحر الأحمر الجنوبى.

وفى ١٥مارس ١٨٨٦م كتب الكابتن «سنيل» مساعد المقيم السياسى البريطانى فى بريم تقريرا رفعه إلى البريجادير جنرال «هوج» عن تحركات الأتراك فى «الشيخ سعيد»، حيث ذكر فى التقرير أن الأتراك أنزلوا فى «الشيخ سعيد» مايلى :—

٣٧ برميل بارود البنادق.

٣٠٠ صندوق يحتوى كل منها على ٢قنيفة صلبة.

١٥٠ صندوق يحتوى كل منها على ٢قنيفة مدفع(٢٣).

والشيخ سعيد منطقة من مواطن اليمن البحرية وموقعها على مضيق باب المندب قريبا من عدن بازاء جزيرة بريم، وقد اعترفت المعاهدة التى وقعت فى الاستانة بين فرنسا والدولة العثمانية عام ١٨٧٠م بحقوق فرنسا فى هذه المنطقة وأقرت حصول شركة «رابو وبازن» وهى احدى الشركات التجارية الكبرى فى مرسيليا ملكية هذه المنطقة حتى انتقلت هذه الملكية إلى الحكومة الفرنسية عام ١٨٨٦م(٢٤).

ونتيجة لهذه المعاهدة انتهى الصراع العثمانى الفرنسى حول منطقة «الشيخ سعيد» وظلت تابعة لفرنسا حتى عادت القوات العثمانية إلى احتلال هذه المنطقة مرة أخرى أواخر القرن التاسع عشر، ولم ينته الوجود

---

(٢٢) Ibid Inclosure 2 in No. 116. Major. Hunter to the Chief Secretary to the Government. Bombay. Aden, March 11, 1886.

(٢٣) Ibid. Inclosure 4 in No. 126. Brigadier-General Hogg to the Secretary to the Government. Bombay. Aden Residency; March 25, 1886.

(٢٤) عبد الواسع بن يحيى الواسعى اليمانى: تاريخ اليمن.. ص ٦٤—٦٨.

العثمانى فى الشيخ سعيد إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لتظل المنطقة، نسيا منسيا وهى منطقة يمنية تعرضت أيضا لمطامع إيطاليا بعد استيلائها على الحبشة عام ١٩٣٦م، ونتيجة للصراع الفرنسى الإيطالى حول المنطقة ظلت المنطقة بعيدا عن سيطرة القوتين الاوروبيتين حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وأما جزيرة بريم التى تعرف أيضا بأسم «ميون» فهى جزيرة من جزر البحر الأحمر اليمنية تقع فى مدخل باب المندب. وتشرق عليه وموقعها على خط عرض ١٢ درجة و١٢ دقيقة شمالا وخط ٤١ درجة و٣ دقيقة. وتبعد عن ساحل جزيرة العرب بمسافة ثلاثة كيلو مترات تقريبا.

وكانت جزيرة بريم تابعة لإمام صنعاء حتى احتلهتا بريطانيا عنوة عام ١٨٥٧م وطولها من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى تسعة كيلو مترات وعرضها خمسة كيلو مترات ويبلغ أقصى إرتفاع سطحها ٧٥ مترا عن سطح البحر، وقد بنى البريطانيون على هذه القمة فنارة عام ١٨٦٠م، والجزيرة بيضاوية الشكل، وليس بالجزيرة ماء عذب، وجميع الظواهر تدل على أن جزيرة بريم بقيت بدون سكان مدة إلى أن احتلهتا انجلترا لتتخذ منها مركزا استراتيجيا لسياستها الاستعمارية فى المنطقة (٢٥).

وقد سمحت الحكومة البريطانية لشركة الهند الشرقية البريطانية منذ عام ١٨٥٩م استخدام جزيرة بريم لخدمة عملياتها وأصبح العلم البريطانى يرفرف على الجزيرة منذ شهر فبراير من ذلك العام، ومن ذلك التاريخ استطاعت الشركة اقامة منشآت بريطانية كبناء قلعة تضم حامية عسكرية، ولها ميناء يستقبل السفن الكبيرة التى ترسو فى حماية مدافع القلعة التى تشرف على الجزيرة كلها وعلى مضيق باب المندب.

وبسبب صعوبة الحياة على جزيرة فان بريطانيا ركزت نشاطها وسيطرتها على عدن مع بقاء حامية فى بريم يتم تغييرها بين الحين والآخر مع

---

(٢٥) المرجع السابق ص ٦٩ — ٧٣.

تمسك بريطانيا بالجزيرة لأهميتها الأستراتيجية عند مدخل البحر الأحمر الجنوبى.

وتقع جزيرة بريم على بعد ١٦٠ كيلو مترا غربى عدن وتبلغ مساحتها ١٣ كيلو مترا مربعا وهى جزيرة جرداء بركانية احتلها البريطانيون أولا عام ١٧٩٩م ثم هجروها لعدم وجود الماء بها، حتى احتلوها مرة أخرى عام ١٨٥٧ ـ كما ذكرنا ـ وميناؤها يبلغ اتساع مدخله ٧٨٦ مترا وبها الآن مطار صغير بناه البريطانيون وكانت الجزيرة خاضعة لسلطة حاكم عدن البريطانى قبل الاستقلال. وهى الآن أحدى الجزر التابعة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

جزيرة كمران

تقع جزيرة كمران على بعد مائتى ميل شمال مضايق باب المندب، وعلى بعد يسير لا يتعدى ثلاثة أميال من ساحل اليمن الشمالى، وتقع فى مواجهتها مدينة الصليف الشهيرة بجبال الملح، وهى أكبر جزيرة فى مجموعة الجزر الصغيرة والمرتفعات الضحلة المتناثرة فى تلك المساحة وتعرف بأسم كمران.

وتقع جزيرة كمران على خط الطول ٢٤ درجة و٣٦ دقيقة شرقا، وعلى خط العرض ١٥ درجة و٢٠ دقيقة شمالا. وقد جاء أسم كمران فى كتاب الهمدانى (٢٦) بعد حديثه عن بلاد المهدى فى قوله: ثم ينعطف البحر على اليمن مغربا وشمالا من عدن فيمر فى سحال لحج وأبين وكثيب بيرامس وهو رباط وسواحل بنى مجيد من المندب فساحل العميرة كمران (٢٧).

وقد جاء ذكر جزيرة كمران فى القرن التاسع عشر عندما فكر محمد على أن يمد نفوذه إلى اليمن فى الثلاثينيات من هذا القرن امتداداً من الحجاز فقرر إرسال حملة عسكرية تحت قيادة ابن أخته إبراهيم يكن باشا الذى سافر فى نوفمبر ١٨٣٧م متجهاً بجيشه نحو الحديدة ومخا، وكان الأسطول المصرى على

---

(٢٦) الهمدانى: صفة جزيرة العرب ص ٢٥.

(٢٧) حمزة لقمان: تاريخ الجزر اليمنية، بيروت ١٩٧٢ ص٩.

أهمية الاستعداد فى مياه البحر الأحمر للاستيلاء على جميع الموانى اليمنية ، وقد سبق لهذا الأسطول أن مهد لهذه الأعمال الحربية بالاستيلاء على جزيرة قمران أو « كمران » ومخا وزبيد وبيت الفقيه واللحية ، ووضعت بها حاميات قوية ، ولم يبق من الموانى الهامة سوى عدن(٢٨) .

وقد اضطر محمد على إلى سحب قواته من اليمن بل ومن الجزيرة العربية كلها وذلك أثناء صراعه مع السلطان العثمانى عام ١٨٣٩م ، خاصة أن بريطانيا استطاعت إقناع الدول الكبرى ــ روسيا وفرنسا على وجه الخصوص ــ بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية كما أن بريطانيا قد نجحت فى الإستيلاء على عدن فى يناير ١٨٣٩م ، وقد وقعت جزيرة كمران منذ إنسحاب القوات المصرية فى دائرة النفوذ البريطانى .

وجزيرة كمران تبلغ مساحتها ٥٧ كيلو مترا مربعا على بعد ٧٢ كيلو مترا من شمالى ميناء الحديده اليمنى ، وعلى بعد ٣٢٠ كيلو مترا من شمالى جزيرة بريم وأرضها مستوية رملية منخفضة ، وكانت أيام الحكم التركى محجرا صحيا للحجاج واستولت عليها بريطانيا عام ١٩١٥م أيام الحرب العالمية الأولى .

وهى من جزر جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ويسكنها الآن حوالى ألف نسمة يشتغلون بالصيد ، ويستبدلون بصيدهم الخضراوات من أهل اليمن وبها مصايد صغيرة للؤلؤ . وبعض المراجع الأجنبية يذكر أن اسمها مثنى « قمر » ولم يذكر فى المراجع العربية إلا بالكاف : كمران .

أمن البحر الأحمر
مصر ــ السعودية ــ اليمن

▪ مقدمــة ▪

عند الحديث عن أمن البحر الأحمر لايعنى ضمان أمن مياه هذا البحر دون أراضى الأقطار المطلة عليه ، بل أن أمن مياه البحر من أمن أراضى هذه الأقطار ، ولنا فى القرآن الكريم خير مثل إذا يقول الله تعالى « واسأل

---

(٢٨) د. السيد رجب حراز : المدخل إلى تاريخ مصر الحديث .. ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦ .

القرية التى كنا فيها» صدق الله العظيم ، وليس المقصود بالقرية مبانيها وشوارعها وإنما المقصود سكانها ، ومن هنا عندما نتحدث عن أمن البحر الأحمر فإننا نعنى أمن الأقطار المطلة على هذاالبحر وضمان كيانها واستقرارها ضد الأخطار الخارجية .

وقد أثيرت قضية أمن البحر الأحمر فى عام ١٩٧٧م عندما بدأت مشكلة القرن الأفريقى تطفو وتفرض نفسها على السياسة العالمية ، وماتبع ذلك من وجود قوى أجنبية فى مياه البحر الأحمر. ومن هنا جاءت مبادرة الرئيس السودانى جعفر محمد نميرى الداعية إلى عقد إجتماع قمة لرؤساء الدول المطلة على البحر الأحمر للبحث فى كيفية ضمان أمن هذاالبحر.

وليست هذه القضية جديدة على المنطقة بل هى قضية قديمة ترجع إلى أوائل القرن السادس عشر عندما اجتاز البرتغاليون رأس الرجاء الصالح ووصلوا إلى مداخل الخليج العربى والبحر الأحمر بهدف تحويل التجارة الهندية عن هذين البحرين العربيين كأسلوب لمحاربة التجارة الإسلامية العربية وبالتالى الأقطار العربية التى كانت التجارة العالمية بين الشرق والغرب تمر عبر مياهها وأراضيها .

وهى قضية قديمة عندما استولى العثمانيون على أقطار الشرق العربى فى أوائل القرن السادس عشر أيضا وأرادوا إيقاف زحف البرتغاليين إلى هذه الأقطار باتباع تقليد جديد يدعو إلى منع دخول المراكب المسيحية فى البحر الأحمر لأنه يطل على الأماكن المقدسة للمسلمين فى الحجاز، وهو التقليد الذى ظلت الدولة العثمانية متمسكة به حتى أواخر القرن الثامن عشر (٢٩) وكانت تعنى بذلك عدم السماح للسفن البرتغالية المعتدية بصفة خاصة بدخول مياه البحر الأحمر وتهديد الممتلكات العثمانية .

اذن فالقضية قديمة ولكن يجددها ظهور قوى أجنبية غير « بحر أحمرية » فى مياه هذا البحر بل واتخاذ مواقف عدائية من بعض الدول العربية التى تطل على مياهه . فعندما انتزعت انجلترا من فرنسا أكبر مستعمراتها فى الهند

(٢٩) د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ص١٢٨ .

فى صلح باريس عام ١٧٦٣م، اتجه اهتمامها إلى تيسير المواصلات البرية القديمة وأهمها طريق البحر الأحمر ومصر، وطريق الخليج والفرات (٣٠).

ومنذ ذلك الوقت أخذ اهتمام انجلترا بالبحر الأحمر يزداد، فوجدناها تستولى على عدن ــ مدخل البحر الأحمر الجنوبى ــ عام ١٨٣٩م، وتنذر محمد على بأن أى اعتداء على عدن يعد اعتداء على جزء من الأملاك البريطانية (٣١). ثم أخذت انجلترا تعمل على إيجاد ممتلكات لها فى شرق وشمال شرق أفريقيا (٣٢). حتى اذا افتتحت قناة السويس للملاحة العالمية عام ١٨٦٩م عملت انجلترا على الأنفراد بالسيطرة على البحر الأحمر من جنوبه إلى شماله فى مصر خاصة بعد شرائها لنصيب مصر من أسهم شركة القناة.

وفى سبيل ذلك وضعت انجلترا سياستها على الأهتمام بالبحر الأحمر فى المقام الأول، إذا جاء فى تعليمات اللورد سالسبورى Salisburg وزير الخارجية البريطانية للسير ادوارد ماليت Malet والأخير فى طريقه إلى القاهرة ليتسلم مهمام منصبه كقنصل عام لانجلترا فى مصر، ووكيل حكومة الملكة، وهذه التعليمات مؤرخة فى ١٦ أكتوبر ١٨٧٩م ــ يجب أن يكون واضحا فى الأذهان أنه إذا قسمت الامبراطورية العثمانية إلى أقاليم وأصبحت مصر مستقلة فان الجزء من مصر الذى يستحوذ على اهتمام انجلترا هو ساحل البحر الأحمر، إلى جانب الخطوط الحديدية ووسائل المواصلات الأخرى عبر برزخ السويس (قناة السويس) وإذا تم فعلاً تقسيم مصر ذاتها وبقى ساحل البحر الأحمر ووسائل المواصلات تحت سيطرة انجلترا أى خاضعة للنفوذ الانجليزى بينا ظلت داخلية البلاد من جهة أخرى فى حالة من الأستقرار فى ظل نظام حكم يكفل هذا الأستقرار فان انجلترا لن تجد فى هذه الحالة سببا يدعوها إلى القلق أوعدم الرضا (٣٣).

---

(٣٠) د. أحمد عزت عبدالكريم وآخرون: دراسات تاريخية فى النهضة العربية الحديثة ص ٢٢١.

(٣١) جورج كيرك: موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ١٢٢.

(٣٢) Kirkwood: Britain and Africa. p. 19.

(٣٣) Langer: European Alliances, chap. 8.

وهكذا حدث الأحتلال الانجليزى لمصر عام ١٨٨٢م لتصبح لانجلترا السيطرة على مداخل البحر الأحمر الجنوبية (عدن) والشمالية (قناة السويس)، وحتى عندما أرغمت انجلترا مصر على إخلاء السودان دافعت البحرية البريطانية عن ميناء سواكن وظلت تحتفظ به ـ باسم مصر ـ طوال عهد الدولة المهدية فى السودان، ولذلك لانعجب أن نسمع من جوزيف شمبرلين Champerlain أحد قادة الاستعمار البريطانى يصف البحر الأحمر بأنه وتر بريطانيا الحساس.

وعندما قامت الثورة المصرية عام ١٩٥٢م تطلعت إلى ضمان أمن البحر الأحمر بواسطة الأقطار التى تقع على شواطئه دون وجود قوى خارجية، ومن هنا ظهر ما عرف بميثاق أمن جدة عام ١٩٥٦م الذى ضم كلا من مصر والمملكة العربيةالسعودية واليمن، وهو وأن كان ميثاقا دفاعيا إلا أنه يعنى حماية لأمن البحر الأحمر من خلال الدفاع المشترك عن الدول العربية الموقعة على الميثاق ضد العدوان الخارجي سواء فى الأرض أوالبحر.

ثم جاء مؤتمر تعز فى مارس ١٩٧٧م نتيجة لمبادرة الرئيس جعفر محمد نميرى لتثير القضية من جديد أمام خطر جديد، وفى هذه الوريقات سنسوق القضية من ١٩٥٦م، مروراً بعام ١٩٧٣م، وحتى مؤتمر تعز عام ١٩٧٧م.

ميثاق أمن جدة

لم يكن عقد هذا الاتفاق بين حكومات كل من جمهورية مصر، والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية بمدينة جدة بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٥٦م وبحضور كل من الرئيس جمال عبدالناصر، والملك سعود الأول والأمام أحمد إلا حلقة من حلقات الأتفاقات بين الأقطار العربية كانت مصر محورها وقلبها.

ذلك أنه منذ فبراير ١٩٥٥م بدأت مصر سلسلة من اللقاءات العربية والاتفاقات الثنائية والثلاثية والجماعية من أجل التضامن العربى ضد القوى الخارجية، كان منها المؤتمر الذى شاركت فيه حكومات كل من الأردن وسوريا واليمن والسعودية إلى جانب مصر وأصدر قراراته بالقاهرة فى

فبراير ١٩٥٥م، وكان منها البيان السورى المصرى الصادر بدمشق فى ٣مارس ١٩٥٥م، والذى انضمت إليه المملكة العربية السعودية فى ٥مارس من نفس العام، وينص على عدم الانضمام إلى الحلف التركى العراقى أوأية أحلاف أخرى، وعلى اقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادى عربى مشترك، وعلى الالتزام بالاشتراك فى صد أى عدوان يقع على احدى دول المنظمة، وعلى انشاء قيادة مشتركة دائمة، وعلى عدم قيام أية دولة مشتركة فى المنظمة بعقد اتفاقات دولية عسكرية(٣٤).

كما كان من بين هذه الاتفاقات العربية ميثاق الحلف العسكرى الذى تم التوقيع عليه فى القاهرة فى ٢٧أكتوبر عام ١٩٥٥م بين كل من المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر لضمان الأمن والسلام ورد العدوان الخارجى عند وقوعه فى أطار من مبادىء ميثاقى الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية.

ثم جاء ميثاق أمن جدة لتكتمل المسيرة فى اطار التحالفات العربية حيث جاء فى البلاغ الذى أذيع فى ختام الاجتماعات التى عقدت بين الزعماء الثلاثة بمدينة جدة فى العاشر والحادى عشر من شهر رمضان ١٣٧٥هـ الموافق للعشرين والحادى والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٥٦م، بأنه قد عقدت خلال هذين اليومين عدة اجتماعات تم فيها بحث المسائل التى تهم الدول الثلاث بوجه خاص، وتتصل باقرار الأمن والسلام فى العالم العربى بوجه عام، ودارت المباحثات والمشاورات بين الرؤساء فى جو ودى خالص، وتكاتف كامل، وحرص الجميع على تمكين أواصر الاخاء والتعاون بين دولهم مستهدفين فى ذلك أمانى الشعوب العربية فى الحرية والكرامة والأمن والسلام. وقد أسفرت هذه الاجتماعات عن عقد اتفاقية دفاع مشترك وقعها الزعماء الثلاثة وأتاحت لهم تبادل الرأى فى وضع الخطط العملية التى تكفل نمو الروابط الاقتصادية والثقافية والفنية بين الدول العربية وتوثيق عرى التعاون بينها لتحقيق خير الأمة العربية.

---

(٣٤) أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية جـ٢ ص١٢٩.

من هذه المقدمة للاتفاق تتضح المبررات لعقده بين الدول الثلاث، وهى الدول التى تمسك بكل شاطىء البحر الأحمر الأسيوى ومعظم الشاطىء الأفريقى، والتى تمسك بمدخل البحر الأحمر من الجنوب والشمال، وان كان الاتفاق دفاعيا إلا أنه يمكن القول أن أمن البحر الأحمر عمل دفاعى.

ومن ثم جاء فى صلب الميثاق: «أن حكومات مصر، والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية، توطيدا لميثاق الجامعة العربية. وتأكيدا لاخلاص الدول المتعاقدة لهذه المبادىء، ورغبة منها فى زيادة تقرية وتوثيق التعاون العسكرى، وحرصا على استقلال بلادها ومحافظة على سلامتها، وايمانا بأن اقامة نظام أمن مشترك فيما بينها يعتبر عاملا رئيسيا فى تأمين سلامة واستقلال كل منها، وتحقيقا لأمانيها فى الدفاع المشترك عن كيانها، وصيانة الأمن والسلام وفقا لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافها، وعملا بما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية، قد اتفقت على عقد اتفاقية لهذه الغاية».

ويقيننى أن النص على ايمان كل من حكومات مصر والسعودية واليمن بأن اقامة نظام أمن مشترك فيما بينها يعتبر عاملا رئيسيا فى تأمين سلامة واستقلال كل منها، دليل على أصرار هذه الأقطار الثلاثة على تأمين سلامتها الأقليمية سواء فى الأرض أوالبحر، وحيث أنها تطل على البحر الأحمر ولها فيه مياه أقليمية. فان تأمين هذا البحر ضد أى اعتداء خارجى من مسئولية هذه الأقطار كدفاعها عن الأرض.

كما أن يقيننى بأن الدفاع عن كيان واستقلال هذه الأقطار الثلاثة يستلزم بالضرورة الدفاع عن البحر الأحمر الذى تطل عليه من الناحيتين وأن هذا الدفاع عن الأرض والبحر يحقق أمانيها فى الدفاع المشترك عن كيانها بحسبان البحر الأحمر جزء من مسئولية هذه الأقطار فى تأمين السلامة الإقليمية لها.

ومن ثم فقد نصت المادة الأولى من هذا الميثاق الأمنى على حرص الأقطار الموقعة عليه على «دوام الأمن والسلام واستمرارهما» وهذا يعنى اعتزام كل من مصر والسعودية واليمن على تأمين الأرض والبحر ضد كل عدوان خارجى ولكن ــ كما جاء فى نفس المادة ــ باللجوء أولاً إلى أسلوب «فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السليمة». وذلك تمشيا مع نصوص ميثاقى هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية بهذا الخصوص.

كما نصت المادة الثانية من الميثاق على أن «تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منها أوعلى قواتها اعتداء عليها، ولذلك فانها عملا بحق الدفاع الشرعى الفردى والجامعى عن كيانها تلتزم بأن تبادر كل منها إلى معونة الدولة المعتدى عليها وبأن تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم جميع ماليها من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الأعتداء ولاعادة الأمن والسلام إلى نصابهما».

ويقينى أيضا أن ضمان البحر الأحمر عمل جماعى ودفاع مشترك لاتنفرد به دولة واحدة، ومن ثم نصت هذه المادة الثانية على مشاركة دول الميثاق فى ضمان الأمن والسلام حتى وإن استدعى الأمر اللجوء إلى استخدام القوة المسلحة ضد العدوان الخارجى على أرض أومياه دول الميثاق مجتمعة أواحدى دوله حتى ينتهى العدوان. وتعود إلى الأرض أوالمياه الأقليمية الأمن والإستقرار ويستتب السلام.. وحسب أن مياه البحر الأحمر مياه اقليمية لدول ميثاق أمن جدة الثلاث باعتبارها تشرف على هذا البحر من جانبيه الأفريقى والأسيوى وتمتلك معظم شواطئه على القارتين.

كما نصت المادة الثالثة على أن «تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها، بناء على طلب إحداها، كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر فى سلامة أراضى أية واحدة منها أواستقلالها، وفى حالة خطر الحرب الداهم أوقيام حالة مفاجئة يخشى خطرها تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى إتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التى يقتضيها الموقف».

واعتقادى أن توتر أو اضطراب العلاقات الدولية بصورة تؤثر على أمن وسلامة أراضى ومياه الميثاق أمر يستدعى التشاور لاتخاذ الاجراءات اللازمة

لضمان الأمن والسلامة لأراضي مصر والسعودية واليمن وبينها مياه البحر الأحمر الواقع وسط هذه الأراضي، ومن ثم التزمت هذه الأقطار الثلاثة باتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية الضرورية لضمان استمرار الأمن والسلام ودوام الإستقرار للمنطقة أرضها وبحرها.

وحرصت المادة الرابعة من الميثاق على تأكيد التزام الأقطار الثلاثة بالدفاع المشترك وضمان الأمن حتى فى حالة وقوع عدوان خارجي مفاجيء على أحد دول الميثاق سواء حدث العدوان على الأرض أو المياه الأقليمية لتلك الدولة. وجاء هذا التأكيد فى النص أنه «بالاضافة إلى الإجراءات العسكرية التى تتخذ لمواجهة العدوان، تقرر الدول الثلاث فورا الاجراءات التى تضع خطط هذه الأتفاقية موضع التنفيذ(٣٥).

وتتوالى مواد الميثاق لتؤكد التزام الدول الثلاث بضمان أمن وسلامة أراضيها ومياهها باتخاذ الأجراءات اللازمة لتنفيذ هذا الألتزام ومن بين هذه الاجراءات مانصت عليه المادة الخامسة بتشكيل عدة أجهزة تتولى تنفيذ مانص عليه الميثاق من التزام دفاعي مشترك مثل: المجلس الأعلى، والمجلس الحربى والقيادة المشتركة.

وقد عالجت المواد السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة كيفية تشكيل هذه المجالس واختصاصاتها ووظائفها وتمثيل دول الميثاق الثلاث فيها فالمجلس الأعلى يتكون من وزراء الخارجية والحربية للدول المتعاقدة، والمجلس الحربى يتكون من رؤساء أركان حرب الجيوش الثلاثة التابعة لدول الميثاق، بينما تتكون القيادة العامة من قائد عام وهيئة أركان الحرب والوحدات التى يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وادارة أعمالها وتمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب وهى ذات صفة دائمة.

ويقينى أن هذه الأجهزة هى الأدوات أو الوسائل العلمية الكفيلة بضمان الأمن والإستقرار، وأن مجرد قيامها دليل على التزام دول ميثاق أمن

---

(٣٥) وزارة الخارجية: مكة المكرمة: مجموعة المعاهدات.

جدة بالدفاع عن أراضيها ومياهها، هذا وقد تشكلت القيادة العامة وجعل على رأسها قائد عام مصرى واختيرت القاهرة مقر لهذه القيادة العامة.

وانتهى الميثاق بالمادتين الحادية عشرة والثانية عشرة، الأولى نصت على عدن تعارض نصوص الميثاق مع مواثيق هيئة الأمم المتحدة، بينما نصت الثانية على سريان الميثاق لمدة خمس سنوات تتجدد بتلقاء نفسها لمدة خمس سنوات أخرى وهكذا، ولأى دولة من الدول المتعاقدة أن تنسحب منها بعد ابلاغ الدولتين الأخريين كتابة برغبتها فى ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أى من المدة المذكورة سابقا.

وهكذا كان ميثاق أمن جدة خطوة عربية لضمان أمن البحر الأحمر ولمواجهة أية تهديدات خارجية لهذا البحر، وبالتالى للدول المطلة عليه، لأن تهديد أمن البحر الأحمر تهديد للدول الواقعة على شواطئه الأفريقية والأسيوية فى آن واحد، كما أن تهديد أمن الدول التى لها سواحل على البحر الأحمر تهديد لأمن هذا البحر وجعله مسرحا لاضطرابات دولية بل وتنافس عالمى حول امكانيات البحر الأحمر وامكانيات دوله فى وقت واحد.

ومما هو جدير بالذكر أن ميثاق أمن جدة الذى شاركت فى التوقيع عليه حكومات كل من مصر والسعودية واليمن فى ٢١ أبريل عام ١٩٥٦م تمشت مواده ونصوصه مع مواد ونصوص ميثاق الحلف العسكرى الذى تم التوقيع عليه فى القاهرة بتاريخ ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٥م بين كل من حكومتى جمهورية مصر والمملكة العربية السعودية. أى أن الميثاق الثنائى الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٥٥م كان هاديا ومقدمة لميثاق الأمن الثلاثى الذى عقد بجدة فى العام التالى.

مؤتمر تعز عام ١٩٧٧م

لم يكن انعقاد مؤتمر تعز فى ٢٢/٢٣ مارس ١٩٧٧م الا آخر الخطوات التى اتخذتها الدول المطلة على البحر الأحمر حتى الآن للبحث فى كيفية ضمان أمن هذا البحر بعد أن تعرض هذا الأمن لتهديدات قوى خارجية أومعادية للأقطار العربية المطلة على هذا البحر. إذ كانت هناك خطوات

أخرى فردية وجماعية من جانب الأقطار العربية ومنذ ميثاق أمن جدة حتى مؤتمر تعز للحفاظ على أمن وأستقرار البحر الأحمر من بين تلك الخطوات موقف المملكة العربية السعودية من مرور السفن الاسرائيلية فى خليج العقبة تحت مظلة قوات الطوارىء الدولية فى شرم الشيخ عقب حرب السويس عام ١٩٥٦م ـــ ذلك الموقف العنيد الذى استنكر مرور السفن الاسرائيلية باعتبارها سفنا معادية تهدد أمن البحر الأحمر والدول العربية المطلة عليه، وجاء ذلك الاستنكار فى البيان الرسمى الذى أصدرته الحكومة السعودية يوم ١٤ شعبان سنة ١٣٧٦هـ الموافق عام ١٩٥٧م (٣٦). كما جاء هذا الأستنكار مرة أخرى فى مذكرة وزارة الخارجية السعودية المواجهة لوزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٧٦هـ ردا على بيان وزارة الخارجية الأمريكية الصادر فى ٥ يونيو عام ١٩٥٧م باعتبار خليج العقبة ممرا عالميا حرا تستطيع السفن الامريكية المرور فيه متى شاءت، بينما لم تكن تستطيع ذلك عندما كانت شرم الشيخ فى القوات المصرية، وخليج العقبة خليج عربى تمر فيه فقط السفن المصرية السعودية والأردنية. كما جاء الأستنكار أخيرا فى اذاعة لسياسى سعودى بالتليفزيون الأمريكى يوم ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٧٦هـ (٣٧).

ثم جاء عدوان اسرائيل عام ١٩٦٧م على مصر والاردن وهما من دول البحر الأحمر إلى جانب سوريا لينبه إلى خطورة انطلاق إسرائيل إلى مياه هذا البحر جنوبا إلى آسيا وأفريقيا، وهذا يستلزم المواجهة العربية للوقوف أمام دخول السفن الاسرائيلية المعادية إلى مياه البحر الأحمر ولم تكن هناك خطورة عملية فى هذا السبيل قبل حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م.

ولعلنا نتذكر ما أعلنته مصر فى بداية المعركة (٦ أكتوبر ١٩٧٣م) ـــ أن كل البحر الأحمر من باب المندب جنوبا حتى قناة السويس شمالا منطقة عمليات عسكرية وأن مصر تحذر من دخول أية سفن إلى البحر الأحمر أثناء المعارك وحتى إشعار آخر حتى لا تتعرض للقذائف المصرية من السفن

---

(٣٦) أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية جـ٣ ص ١٩٨.

(٣٧) نفس المصدر ص ٢٠١.

الحربية أوطائرات القتال. وحقيقة هذا الأعلان ــ فى رأيى ــ هو منع السفن الاسرائيلية من المرور فى هذا البحر أودخول سفن أجنبية بهدف مساعدة اسرائيل، وهذا حفاظ على أمن هذا البحر وضمان لحرمان العدو من المساعدات الأجنبية الخارجية.

وفى اعتقادى أن هذا الإعلان الذى صدر عن الدولة العثمانية فى القرن السادس عشر، عندما احتلت مصر والحجاز ووصلت إلى اليمن، بأن البحر الأحمر تطل على الأرض التى تتشرف بوجود الأماكن المقدسة فيها فيحرم على السفن المسيحية المرور فى مياه هذا البحر، والاعلان العثمانى يهدف فى المقام الأول حرمان السفن البرتغالية من دخول البحر الأحمر حيث كانت البرتغال آنذاك أعدى أعداء الشعوب الإسلامية وإعلان مصر عام ١٩٧٣م يهدف فى المقام الأول إلى ضمان أمن البحر الأحمر لمصلحة مصر والدول العربية المطلة عليه وحرمان القوة المعادية ومن يساندها من انتهاك أمن هذا البحر وتهديد سلامة وكيان الأقطار العربية «البحر أحمرية» وفى مقدمتها مصر.

ثم جاء مؤتمر تعز عام ١٩٧٧م كخطوة عملية بارزة المعالم على طريق ضمان أمن البحر الأحمر ضد التهديدات الخارجية ومن هنا لابد من الوقوف على مبررات عقد هذا المؤتمر قبل أن نبحث فى كيفية انعقاده ونتائج الاجتماعات أى القرارات التى صدرت عن المؤتمر ومدى مناسبتها لضمان أمن البحر الأحمر.

لعل أهم المبررات التي دفعت بالقضية إلى الظهور فى الأقطار العربية المطلة على البحر الأحمر هى :ـــ

أولا: حدوث ثورة اشتراكية فى أثيوبيا أدخلت الاتحاد السوفييتى إلى مياه البحر الأحمر عند السواحل الأثيوبية والارترية..

ثانيا: ازدياد اشتعال الثورة الارترية ضد السيطرة الأثيوبية..

ثالثا: الصدام بين أثيوبيا والصومال حول إقليم أوجادين الذى تسيطر عليه أثيوبيا رغم أن معظم سكانه صوماليون ودخول الأتحاد السوفييتى وكوبا إلى جانب أثيوبيا.

رابعا: محاولات اسرائيل التعاون مع أثيوبيا ضد الدول العربية من أجل أن تجد لها مواقع فى جنوب البحر الأحمر.

خامسا: الصراع البحرى على شواطىء المحيط الهندى قرب مدخل البحر الأحمر بين الولايات المتحدة الامريكية والأتحاد السوفييتى.

سادسا: الخلافات العربية البحر أحمرية خاصة بين اليمن الشمالية واليمن الجنوبية، وبين اليمن الجنوبية وسلطنة عمان.

هذه أهم المبررات لعقد هذا المؤتمر، وهى مايمكن تسميته بخريطة الصراع التى دفعت بالرئيس جعفر محمد نميرى إلى إعلان مبادرته التى أنتجت عقد مؤتمر تعز..

أولا: الثورة الأثيوبية

تعتبر أثيوبيا هى الدولة غير العربية الوحيدة التى تطل على البحر الأحمر ومن ثم نجدها تنظر بارتياب إلى أى اجتماع يدعو إليه أحد الزعماء العرب حتى ولو كان الاجتماع لبحث موضع أثيوبيا طرف فيه مثل أمن البحر الأحمر. ثم أن اعلان الثورة الاشتراكية فى أثوبيا منذ عام ١٩٧٤م قد باعد بينها وبين التعاون مع الأقطار العربية «البحر أحمرية» وخاصة مصر والسعودية والسودان واليمن الشمالية بسبب إدخال الأثيوبيين للوجود السوفييتى والكوبى إلى مياه البحر الأحمر، مما اعتبرته الأقطار العربية تهديدا لأمنها وأمن البحر الأحمر. ولاشك أن هذا مبرر قوى من المبررات التى كانت وراء الدعوة لعقد مؤتمر لبحث ضمان أمن البحر الأحمر.

ثانيا: الثورة الارترية

ترجع أصول القضية الارترية إلى سنوات طويلة منذ أن أنهى الامبراطور هيلاسلاسى امبراطور أثيوبيا كيان الأقليم الاريترى وجعله جزءا من امبراطوريته هذا على الرغم من أن الثورة فى الاقليم لم تبدأ إلا منذ حوالى عشرين عاما حين هاجم الثوار انذاك أحد المخافر الحكومية فى أقصى حدود أريتريا الغربية الملاصقة للسودان. ومنذ ذلك الحين والثورة تشتد ضد حكم الامبراطور ثم ضد الحكم العسكرى فى أديس أبابا حتى سيطر الاريتريون على حوالى ٨٠٪ من أراضى الأقليم.

ومما يزيد فى حدة الأزمة الأريترية أن النظرة الامهرية لحكام أثيوبيا الجدد للثورة فى الأقليم لاتكاد تختلف عن نظرة الأمبراطور هيلاسلاسى إذ كان الامبراطور يحاول أن يحبسها عن سمع العالم كله، يصورها وهما بأنها مجرد نوع من «الشفتا» ــ أى قطاع الطرق الجبلية ــ وحكام أثيوبيا العسكريون يصورونها الآن بأنها مجرد عمليات عنف مصدر من الخارج من بعض الدول العربية من أجل القضاء على الامبراطورية الأثيوبية (٣٨).

ونظرا لاشتغال الثورة الأريترية والموقف المتصلب لحكام أديس أبابا فلا يمكن اعتبار الموضوع مسألة داخلية، حيث أن للأقليم الأريترى تاريخه الذى كان فيه غير خاضع لاثيوبيا، ثم أن الأقليم يقع على ساحل البحر الأحمر وبه ميناءى عصب ومصوع اللذان تعتمد عليهما أثيوبيا كل الاعتماد ــ إلى جانب ميناء جيبوتى فى حركة التجارة الأثيوبية مع العالم الخارجى. ومن هنا لابد للأقطار «البحر أحمر بة» من أن تبحث الموقف فى أريتريا، لأن استمرار التوتر هناك يهدد أمن البحر الأحمر والأقطار المطلة عليه.

ثالثا: الصدام الصومالى الأثيوبى

منذ أن حصلت الصومال على استقلالها فى أول الستينات من القرن الحالى وهى تنظر باهتمام إلى الإقاليم الصومالية الخاضعة لدول أفريقية أخرى منذ أن سيطر الاستعمار الغربى على شرق أفريقيا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ومن بين هذه الأقاليم الصومالية أقليم أوجادين الذى تسيطر عليه أثيوبيا رغم أنه يكون جزءا طبيعيا متمماً للصومال وغالبية سكانه العظمى من الصوماليين ومن هنا كان التوتر بين الدولتين المتجاورتين أثيوبيا والصومال.

ومما يزيد من حدة الصراع بين الدولتين اصرار أثيوبيا على عدم التفاوض مع الصومال لتقرير مصير إقليم أوجادين بين المتنازع عليه، ورغم أن الأتحاد السوفييتى كان صديقا للطرفين: جهورية الصومال الديمقراطية ذات النظام الاشتراكى، والحكم العسكرى فى أثيوبيا الأكثر اتجاها نحو

---

(٣٨) جريدة الأهرام (عدد الجمعة ١٥ أبريل ١٩٧٧م).

الاشتراكية، إلا أنه من الواضح أن الروس يتعاطفون مع الأثيوبيين. وهذا يفتح بابا لتدخل قوى أجنبية فى مسألة «بحر أحمرية» مما يهدد أمن البحر الأحمر.

ومما تجدر ملاحظته أن لروسيا ومنذ القرن التاسع عشر تطلعات نحو أثيوبيا بصفة خاصة، وتشير الوثائق البريطانية إلى محاولات روسيا القيصرية إيجاد موضع قدم لها فى أثيوبيا سواء بادعاءات دينية أولتقديم مساعدات عسكرية للأثيوبيين ضد أعدائهم.

فتذكر موسكو جازيت فى عددها الصادر فى ١٦ سبتمبر ١٨٨٧م أن من الخطأ تجاهل المصالح الروسية فى أثيوبيا والبحر الأحمر فى الوقت الذى تتواجد فيه مطامع انجليزية وفرنسية هناك وأن مصالح روسيا مع أثيوبيا تعتمد على الارتباط الدينى بين البلدين اذ أن مذهبها هو الأرثوذكسية (٣٩).

وتحقيقا لما نادت به «موسكو جازيت» بدأ توافد الروس على أثيوبيا فى شكل جماعات أوحملات منظمة، فيرسل القنصل البريطانى فى بورسعيد بتاريخ ٦ يناير ١٨٨٩م أن ٤٤٦ رجلا روسيا مع قليل من النساء ورجال الدين غادروا - بورسعيد آنذاك على باخرة نمساوية متجهين إلى أوبوك (٤٠). كما أبرق القنصل البريطانى فى سواكن بأن هذه البعثة الروسية والتى أتضح أنها بقيادة الجنرال نيكولا ييف Nicolaieff وعدد أفرادها حوالى ١٥٠ فردا قد غادرت أبوك على نفس الباخرة وتراقبها سفينة حربية إيطالية (٤١). ثم أضاف حاكم سواكن عن طريق سير أيفلن بارنج المعتمد البريطانى فى مصر - أن هذه البعثة الروسية تنوى التوجه من أوبوك إلى جنوب الحبشة عن طريق هرر للعمل فى الجيش الأثيوبى، حيث تحتاج

---

(٣٩) F.O. 403/90 75: Sir R. Morier to the Marquis of Salisburg. St. Betesburg. September 20. 1887.

(٤٠) F.O. 403/123/2: Consul nurrell to the Marquis of Salisburg. Port Said. January 6. 1889.

(٤١) F.O. 403/123/13: Sir E. Baring to the Marquis of Salisburg. Cairo. January 15.. 1889.

أثيوبيا لعدد من الضباط ، وحيث يوجد فعلا بعض القوزاق Cossacks في أوبوك ومن المنتظر وصول المزيد الذين يحتمل وصول عددهم إلى ألفين (٤٢) .

وكما أن السفير البريطاني في سان بطرسبرج St. Petersburg أرسل لوزير الخارجية البريطانية يذكر أن حملة روسية يقودها كارجوبولوف Kargopoloff في طريقها إلى الحبشة ، حيث غادرت طقشند ستمر بكل من فارس ، بومباى وعدن إلى جيبوتى ، ثم تتقدم إلى هرر تحت ادعاء بأن مهمتها البحث العلمى (٤٣) . وكانت هناك بعثة ثالثة بقيادة الكابت الروسى ليونتييف Leentieff في طريقها إلى الحبشة واستمرت هذه البعثة حوالى خمسة سنوات في نزولها بالقاهرة ومحاولة دخول الحبشة عن طريق الخرطوم ، أوعودتها بعد وصولها عن طريق البحر إلى الحبشة ، وردا على استفسارات البريطانيين في شرق أفريقيا أجاب الايرل أوف كمبرلى Earl of Kimberley بأنه فهم من السفير الروسى في لندن بأن هدف بعثة ليونتييف الوحيد هو الجانب الدينى فقط (٤٤) .

وقد سقت هذه الشواهد لأدلل على اهتمام الروس من وقت مبكر بشرق أفريقيا ومدخل البحر الأحمر، فما نشاهده الآن ومنذ أوائل السبعينيات من القرن الحالى من تواجدهم في القرن الأفريقى ما هو إلا إحياء لأطماعهم القديمة منذ الثمانينات من القرن الماضى .

وفى إعتقادى أنه على الرغم من أن الصومال كانت أسبق من أثيوبيا في الإرتباط بالروس حتى وصل هذا الأرتباط إلى حد اعطائهم تسهيلات في ميناء بربره الصومالى ، إلا أن أثيوبيا ــ عندما حدثت بها الثورة الإشتراكية كانت أكثر اغراء من الصومال بحكم وجود ظروف اقتصادية واجتماعية

---

(٤٢) F.O 403 123·15: Sir E. Baring to the Marquis of Salisburg. Cairo. January 17. 1887.

(٤٣) F.O. 403/125/193· Sir. Morier to the Marquis of the Salisburg, St. Petersburg. April 7, 1890.

(٤٤) F.O. 403 22 54. The Earl of Kimberley to Sir F. Lascelles, Foreign Office. February 2, 1895

تشجع على انتشار المبادىء الاشتراكية الماركسية فى أثيوبيا عن الصومال، ناهيك عن عامل الدين، فالصومال بلد إسلامى شعبه الفقير يتمسك بالإسلام دينا، بينما الأثيوبيون مسيحيون شرقيون، والروس كانوا قبل الثورة البلشفية مسيحيين شرقيين.. لهذا صار الأتجاه الروسى نحو أثيوبيا يهدد أمن البحر الأحمر ويهدد مصالح الأقطار العربية المطلة على هذا البحر.

رابعا: اسرائيل ومداخل البحر الأحمر:

منذ أن أصبح لإسرائيل ميناء على خليج العقبة وصارت سفنها خاصة بعد أحداث السويس عام ١٩٥٦ من تمخر عباب البحر الأحمر اتجهت لتكوين صلابة قوية مع أثيوبيا لتصبح للسفن الاسرائيلية مواضع قدم فى مواجهة الغلبة العربية على مياه البحر الأحمر ومداخله من الشمال والجنوب ومن هنا حدث التعاون الاسرائيلى الأثيوبى فى المجالات العسكرية والاقتصادية والفنية.

وعندما تحققت الغلبة العربية على مياه البحر الأحمر أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣م حاولت اسرائيل من جديد اثارة مخاوف أثيوبيا من هذه الغلبة لكى يصبح لاسرائيل موضع قدم فى أى مكان من الجزر الصخرية العديدة الخالية من الحياة والتى تتناثر حول المدخل الجنوبى للبحر الأحمر، فى مواجهة جزيرة مينون أوبريم التى تحكم مضيق باب المندب علما بأن تلك الجزر الصخرية تتنازع السيطرة عليها كل من حكومات الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الدمقراطية وأثيوبيا. ومحاولات اسرائيل هذه تهدد أمن البحر الأحمر وبالتالى تزيد من تهديداتها لأمن الأقطار العربية المطلة على هذا البحر.

خامسا: أمريكا وروسيا ومدخل البحر الأحمر:

استطاع الأمريكيون الحصول على عدد من القواعد العسكرية فى المحيط الهندى فى كل من موريشيوس ومالديف وجزر بيوجاسيا، كما استطاعوا أيضا استئجار جزيرتى دهلك وسنتيان لمدة ٢٥ سنة من أثيوبيا والجزيرتان

من الجزر الأخوات السبع التي لاتبعد عن مضيق باب المندب بأكثر من ٦ أميال بحرية (٤٥).

وفى المقابل حصل الاتحاد السوفيتى على تسهيلات بحرية فى عدن وفى ميناء بربره الصومالى، وفى موزمبيق وبدأ يتطلع إلى الموانىء الأثيوبية على البحر الأحمر.

وهذه التحركات الأجنبية عند مدخل البحر الأحمر الجنوبى تتطلب بالضرورة اليقظة واعداد العدة لضمان أمن البحر الأحمر ودوله وابعاده عن الصراعات الدولية والمطامع الأجنبية.

سادسا: الخلافات العربية «البحر أحمرية»:

ان وجود خلافات ــمهما كانت أسبابهاــ بين قطرين أو أكثر من الأقطار «البحر أحمرية» يهدد بالضرورة أمن البحر الأحمر وأمن أقطاره ناهيك عن صعوبة القيام بعمل مشترك لابعاد الأخطار الخارجية والصراع الدولى عن البحر الأحمر وأقطاره. فالخلاف القائم بين جمهورية اليمن الجنوبية وسلطنة عمان، من ذلك النوع من الخلافات التى تحول دون الأتفاق على عمل مشترك لضمان أمن البحر الأحمر وخاصة تأمين مدخله الجنوبى أمام المحاولات الخارجية للتدخل وفرض الوجود.

كانت تلك ــفى رأيىــ مبررات كافية لأن ينعقد مؤتمر تعز ولكن هل كانت تلك المبررات لمجرد اجتماع رؤساء أربع دول فقط من دول هذا البحر؟.

فى الواقع جاءت مبادرة الرئيس جعفر نميرى لعقد مؤتمر يبحث فى كيفية ضمان أمن البحر الأحمر موجهة إلى كل دول البحر الأحمر وفى مقدمتها مصر والمملكة العربية السعودية والسودان والصومال واليمنيين فقط هى التى استجابت للنداء واجتمع رؤساؤها فى تعز فى مارس ١٩٧٧م.

ولسنا بصدد الدخول فى تفاصيل اللقاء الرباعى، ولكننا نستعرض بالمناقشة التوصيات التى صدرت عن المؤتمرين، وقد سبقت تلك التوصيات

---

(٤٥) جريدة الأهرام عدد الجمعة ١٥ أبريل سنة ١٩٧٧م.

ابراهيم الحمدى رئيس اليمن الشمالية وجعفر نميرى رئيس جمهورية السودان توضح الهدف من المؤتمر واستجابة الأقطار الأربعة للمبادرة السودانية.

ومما جاء فى كلمة المقدم ابراهيم الحمدى: «أننا كدولة مطلة على حوض البحر الأحمر مسئولية عنه بحكم حقنا فى السيادة الوطنية على مياهنا الأقليمية.

كما أن هذا اللقاء يعتبر فريدا من نوعه عمليا واستراتيجيا وبخاصة ومحادثاتنا ليست مقتصرة على موضوع بعينه وإنما سنتناول العديد من المواضيع التى تهمنا كمسئولين فى دولنا وشعوبنا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

وهذا فى رأيي هام للغاية فلا يمكن النظر إلى ضمان أمن البحر الأحمر باعتبارها مسألة استراتيجية فقط، لأن وجود تخلف اجتماعى واقتصادى على شواطىء البحر الأحمر يساعد على عدم الاستقرار ويفتح بابا للصراع الدولى يدخل منه ويفرض نفوذه. ومن هنا كانت كلمة رئيس اليمن الشمالية لما دلالتها الواعية ودعوة للعمل الجاد المتكامل الشامل.

وأضاف الرئيس الحمدى فى كلمته أن هذا اللقاء ليس مظاهرة ضد أحد ولا من أجل التآمر على أحد ولا أرى فيه خروجا عن حقنا المشروع كأخوة أشقاء فى أن نلتقى لنتدارس أمورنا وقضايانا صغيرة وكبيرة وخصوصا مايتعلق بالتعاون المشترك على مافيه حماية سيادتنا على أرضنا ومياهنا الأقليمية فى حوض البحر الأحمر وعلينا اليوم تقع مسئولية عظيمة تلك هى الخروج بأوطاننا من شباك الصراع الدولى وفى سبيل الحفاظ على أمن البحر الأحمر فى حاجة بالطبع إلى مساندة أشقائنا العرب من مبدأ وحدة النضال العربى ضد الصهيونية وقوى الغزو الأجنبى، ومن مبدأ أن أول خطر يتهدد منطقة عربية هو خطر على العرب أجمعين (٤٦).

كانت هذه الكلمات علامات على أهداف المؤتمر وماينبغى عمله لتحقيق تلك الأهداف وازالة مخاوف أثيوبيا والتمسك بميثاق الأمم المتحدة

---

(٤٦) جريدة الثورة اليمنية: العدد ٢٩١١ الأربعاء ٣ ربيع الثانى فى ١٣٩٧هـ/ ٢٣ مارس ١٩٧٧م.

الداعية إلى السلام والاستقرار وكانت تلك الكلمات مقدمة للوصول إلى التوصيات التى صدرت عن المؤتمر فى شكل بيان صحفى كان أهم جاء به.

بسم الله الرحمن الرحيم: «انطلاقا من روح التضامن العربى وأهمية التشاور بين الأشقاء وفى يوم الثلاثاء الثانى من شهر ربيع الثانى ١٣٩٧هـ الموافق ٢٢من شهر مارس ١٩٧٧م تم لقاء تشاورى على مستوى قمة بين كل من :ـــ

* فخامة الرئيس جعفر نميرى رئيس جمهورية السودان الديمقراطية.
* فخامة الأخ محمد سياد برى الأمين العام للحزب الأشتراكى الثورى الصومالى ورئيس جمهورية الصومال الديمقراطية.
* فخامة الأخ سالم ربيع على رئيس مجلس الرئاسة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.
* فخامة الأخ المقدم ابراهيم محمد الحمدى رئيس مجلس القيادة والقائد العام للقوات المسلحة للجمهورية العربية اليمنية.

وبعد أن أجريت لهم مراسم الإستقبال ... .. تشاوروا حول تنسيق جهود دولهم مع الدول العربية المقتدرة فى سبيل تطوير مواردها والرقى بشعوبها فى إطار التعاون والتضامن العربى وفى هذا الشأن تم الأتفاق على تحرك مشترك. وتناول الرؤساء الوضع فى حوض البحر الأحمر واتفقوا على ضرورة أن يظل منطقة سلام ووئام وأن تعمل الدول المطلة عليه على تحقيق هذا الهدف بالتشاور والتنسيق فيما بينها نظرا للعلاقات الطيبة بين فرنسا والدول العربية وتحقيقا لوعود فرنسا المعلنة والمتعلقة فى اعطاء الساحل الصومالى ــ جيبوتى ــ[٤٧] استقلاله التام عن طريق الديمقراطية الحقة، يناشد الرؤساء الأربعة فرنسا بمنح جميع المواطنين فى الساحل الصومالى حقهم الشرعى فى ممارسة الاقتراع على أسس وطنية وديمقراطية وليس على أسس قبلية مما قد يؤدى إلى التناحر وتهديد الأمن والسلام فى البلاد وتأزم الموقف فى المنطقة.

---

(٤٧) لم تكن قد حصلت بعد على استقلالها.

وشددّ الرؤساء على أهمية التضامن لمواجهة السياسة العدوانية لاسرائيل والقوى الصهيونية التى تدعها . واتفق الرؤساء على أهمية استغلال ثروات البحر الأحمر لمافيه خير شعوب الدول المطلة عليه ، وتقرر فى هذا الشأن تكوين لجنة فنية مشتركة لاجراء الاتصالات الضرورية اللازمة للدول المطلة على البحر الأحمر واعداد الدراسات اللازمة وأن تواصل الدول المشتركة فى هذا اللقاء جهودها من أجل عقد لقاء موسع يضم كافة الدول المطلة على البحر الأحمر(٤٨) .

« صدر فى تعز يوم الأربعاء الثالث من ربيع الثانى ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣من مارس ١٩٧٧ » :

وليس لنا من تعليق على هذا البيان الصحفى الذى صدر فى ختام يومين من الاجتماعات بين رؤساء الأقطار العربية الأربعة التى تمسك بزمام مدخل البحر الأحمر الجنوبي إلا أن نقول أنه كان بداية لإثارة قضية لها أهميتها وتنبيه الأقطار العربية « البحر أحمرية » إلى الأخطار التى تهددهم سواء كانت أخطارا خارجية ترجع إلى الصراع الدولى حول المنطقة أوأخطارا داخلية تتمثل فى وجود تحركات اسرائيلية وشكوك أثيوبية ، أوكانت مخاطر تخلف الأقطار العربية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا بصورة تساعد على عدم الإستقرار بل وتتيح الفرصة للتدخل الأجنبى إلى جانب الخلافات بين الأقطار العربية ذات الأثر الخطير على كل عمل مشترك لمصلحة العرب .



---

(٤٨) جريدة الثورة اليمنية : العدد ٢٩١٢ الخميس ٤ ربيع الثانى فى ١٣٩٧ هـ/ ٢٤ مارس ١٩٧٧م .

■ الفصل الثامن ■

سلطنة عمان

- مقدمــة
- جغرافية عمان.
- تاريخ عمان.
- عمان والعالم:

أولا: السيد سعيد بن سلطان.

ثانيا: السلطان سعيد بن تيمور.

ثالثا: السلطان قابوس بن سعيد.

■ مقدمـــة ■

نعنى باقطار الخليج العربية الكويت البحرين وقطر ودولة الأمارت العربية وسلطنة عمان، التى ظهرت للوجود كدول مستقلة فى عام ١٩٧١م باستثناء الكويت التى سبقت بقية أقطار الخليج العربى فى الأستقلال بعشر سنوات.

وفيما عدا سلطنة عمان فقد كانت أقطار الخليج العربى قبل الإستقلال عبارة عن مشيخات قبلية تعيش على ساحل الخليج تعمل فى الصيد والغوص على اللؤلؤ وركوب البحر للتجارة أولإرشاد السفن، حتى إذا ظهرت على سطح مياه الخليج سفن تحمل رايات مرسوم عليها الصليب ظهرت عمليات الجهاد البحرى الإسلامى حيث قاد رجال القبائل مراكبهم الصغيرة وكانوا يخرجون فى جماعات لمهاجمة تلك السفن الأجنبية.

وكانت عمليات الجهاد البحرى الإسلامى رد فعل لقسوة البرتغاليين فى التعامل مع سكان مشيخات الخليج العربى فى القرن السادس عشر ومن ثم انتقل رد الفعل العربى ضد السفن الهولندية ثم السفن البريطانية حتى حدث الصدام بين البريطانيين ومشيخة رأس الخيمة منذ عام ١٨٠٩م ذلك الصدام الذى انتهى بتدمير رأس الخيمة عام ١٨١٩م وفرض معاهدات المدنة على رأس الخيمة والشارقة ودبى وأبى ظبى وغيرها من المشيخات عام ١٨٢٠م وما بعده.

وقد تحولت هذه المعاهدات إلى ماعرف بالمعاهدات المانعة التى فرضتها بريطانيا على مشيخات الخليج العربى وكانت تمنع هذه المشيخات من أربعة أشياء هى:

١ـ عدم القيام بعمليات الجهاد البحرى أوأية عمليات بحرية تهدد السلم والأمن فى الخليج العربى أوتعوق حركة الملاحة والمواصلات للامبراطورية البريطانية.

٢ـ عدم الأتجار فى السلاح أوادخاله إلى منطقة الخليج العربى.

٣ـ عدم الاتجار فى الرقيق أوجلبه إلى مشيخات الخليج.

٤ـ عدم التنازل عن أية قطعة من الأرض من المشيخات لأية قوة أجنبية دون موافقة بريطانيا.

وبعد الحرب العالمية الأولى تحولت تلك المعاهدات المانعة إلى ماعرف بمعاهدات الحماية التى فرضت على مشيخات الساحل العمانى كما فرضت على سلطنة عمان وعلى قطر والبحرين والكويت، تلك المعاهدات التى ظلت سارية المفعول حتى أنهتها بريطانيا بالاعتراف باستقلال الكويت عام ١٩٦١م، ثم بإعلانها عام ١٩٦٨م بأنها تنوى الإنسحاب من منطقة الخليج العربى. وتعترف باستقلال مشيخات الخليج العربى فى موعد لايتجاوز نهاية عام ١٩٧١م، وبالفعل قامت فى خريف ذلك العام أقطار الخليج العربى المعروفة والسابق ذكرها وانتهت الحماية البريطانية.

ويجب أن نذكر أنه بمجرد اعلان بريطانيا عام ١٩٦٨م برغبتها فى الأنسحاب من منطقة الخليج العربى قبل نهاية عام ١٩٧١م دارت مفاوضات بين الأمارات التسع وهى البحرين وقطر وأبوظبى ودبى والشارقة ورأس الخيمة وعجمان والفجيرة وأم القرين لتكوين دولة اتحادية فيما بينها، ولكن نظرا لبعض الصعوبات فقد أعلنت كل من قطر والبحرين استقلالها فى سبتمبر ١٩٧١م، ثم تكون إتحاد ضم الأمارات السبع الباقية فى نفس العام تحت أسم دولة الأمارات العربية المتحدة.

كما يجب أن نذكر أن سلطنة عمان كانت على الرغم من معاهدة الحماية البريطانية تتمتع بشىء من الأستقلال أكثر من أقطار الخليج

الأخرى ، وفى عام ١٩٧١م تمت ازاحة السلطان سعيدبن تيمور لصالح أبنه قابوس بن سعيد الذى أنهى عزلة وانغلاق بلاده لتشهد نهضة عظيمة وتطورا كبيرا .

كما يجب أن نلاحظ أن أقطار الخليج العربى الخمس بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية كونت تنظيما إقليميا تحت اسم مجلس التعاون الخليجى منذ عام ١٩٨١م وهو تنظيم ينسق العلاقات الأمنية والثقافية والأقتصادية لمصلحة تلك الأقطار وهو بهذا إضافة لليقظة العربية .

تاريخ سلطنة عمان المعاصر

تعتبر سلطنة عمان من أقدم الكيانات السياسية فى منطقة الخليج ، ومن ثم كانت لها شخصيتها العربية المنبثقة من هويتها الإسلامية القوية ، كما كانت لها علاقاتها الدولية مما أعطاها مكانة دولية ، وقد نشط أهلها فى مجال ركوب البحر بخبراتهم الملاحية سواء للتجارة مع الهند وجنوب آسيا ، وللتجارة مع شرق أفريقيا ، وسواء لإرشاد السفن التى تمخر عباب المحيط الهندى مركز تجارة التوابل وأوروبا عبر الخليج وعبر البحر الأحمر..

وحتى نفهم الدور الحضارى لسلطنة عمان فى مراحل تاريخها الإسلامى والحديث والمعاصر لابد أن نتحدث عن جغرافية عمان وعرض سريع لتاريخها :

جغرافية عمان :

تقع عمان فى أقصى الجنوب الشرقى لشبه الجزيرة العربية وتبلغ مساحتها حوالى ثلاثمائة ألف كيلو متر مربع ، وسطحها يتميز بوجود سلاسل جبلية تمتد من رأس مسندم فى الشمال تتخللها أودية وبقاع خضراء إلى جانب سهل الباطنة الساحلى الخصب ، وتكسو الخضرة أيضا الجبل الأخضر الذى تكثر به الأشجار المثمرة ، وتمتد الجبال من رأس الحد فى الشمال الشرقى لتلتقى مع السلاسل الجبلية الممتدة من رأس مسندم..

ويحتل موقع عمان أهمية استراتيجية حيث تسيطر على مدخل الخليج العربى عند رأس المسندم ، هذا المدخل الذى يعرف بمضيق هرمز الذى

يتحكم فى مدخل الخليج العربى وارتباطه بالمحيط الهندى وتشارك إيران فى التحكم فى هذا المدخل، وبذلك تكون إيران قريبة جدا فى موقعها من عمان، إلى جانب قرب عمان من الهند التى تشارك عمان فى الإشراف على المحيط الهندى..

ولعمان شاطىء طويل يبلغ عبر خليج عمان حوالى ألف ميل، وتكثر الموانى مثل صحار وبركاء والسيب وخابرة ومسقط وقريات وصور ودقم، كما تمتلك عمان عدة جزر أهمها جزيرة مصيرة وجزر كوريا موريا الواقعة فى بحر العرب وتقع فى مواجهة برحكمان بالقرب من جعلان وقد لعبت الموانى والجزر دورا فى علاقة عمان بأقطار الخليج العربية وغير العربية وبشبه القارة الهندية عبر التاريخ..

وتنقسم عمان إلى خمس مقاطعات هى: الباطنة ومركزها صحار، والشرقية ومركزها سمد، والظاهرة ومركزها غبىّ قرب عبرى، وسير ومركزها نزوى، والجوف ومركزها البريمى..

ويعيش سكان عمان فى تنظيم قبلى يرجع أصله إلى قبائل قحطان اليمنية التى سكنت جنوب الجزيرة العربية والتى يمثلها بنى هينا أو الجانب المناوى، وإلى قبائل نزار العدنانية أو القيسية التى هاجرت من شمال غرب الجزيرة العربية والتى تمثلها قبائل بنى غافر أو الجانب الغافرى، وتنقسم القبائل فى شمال عمان إلى بدو وحضر، وهو التقسيم التقليدى فى المجتمعات العربية، وإلى جانب بنى هيناً وبنى غافر توجد قبائل بنو رواحة التى تسكن فى وادى سمايل التى ينتمى شيوخها إلى عائلة الخليجى، وبنى خروص التى تسيطر على واد رئيسى فى المرتفعات الوسطى، كما تتحكم فى المدخل الشمالى للجبل الأخضر، وقبيلة المعاويل فى الوادى الخصب المسمى باسمها (وادى المعاويل)، وقبيلة الموازنة التى تسيطر على واديها (وادى الموازنة) الذى يشكل معبرا يمكن من خلاله اجتياز الجبال فى الشمال إلى الجنوب، وقبيلة الحرث التى تسكن منطقة الشرقية الواقعة جنوب وادى سمايل، هذا إلى جانب قبيلة العوامر التى تبنى وتصون شبكة الأقنية المسماة بالأفلاج، وبنى بوحسن وبنى بوعلى، وبنى خالد بالشرقية أيضا،

وقبيلة بنى كعب ومركزها مدينة «مهاضة» فى منطقة الظاهرة، وقبيلة دورو التى تقطن المنطقة الواقعة جنوب وشرق عبرى وقبيلة حاثم، وقبيلة بنى بطاش التى تسكن فى منطقة الواقعة جنوب مسقط، وقبيلة بنى جابر وموطنها وادى سمايل وعلى طول ساحل الباطنة وقبائل وهيب والمراسيس والجنايا إلى الجنوب من الشرقية،و قبيلة البوسعيد ومقرها مدينة آدم على طرف الصحراء، وفى ظفار تسكن قبائل المهرة والكثير والقراس وشيحو..

وينقسم سكان عمان إلى خمسة أقسام من حيث النشاط الأقتصادى الأجتماعى هى سكان المدن الساحلية مثل مسقط ومطرح وصحار وصور وغيرها من المدن التى يعيش سكانها على التجارة وصيد الأسماك والأسفار البحرية، والسكان الذين يعتمدون على الزراعة وسقايتها من الآبار وهم سكان الساحل فى منطقة الباطنية، وسكان المدن الذين يعرفون بأسم الحضر وهم أهالى نزوى والرستاق وسكان القرى الرئيسية فى داخل البلاد الذين يعتمدون على الزراعة وفلاحة الأرض وعلى نظام السقاية المعروف بالأفلاج، والبدو الذين يسكنون السهول الواقعة جنوب البلاد وغربها، وسكان الجبال الذين يعرفون باسم الشحوح وهم يعيشون فى شبه جزيرة مسندم وسكان ظفار.

ولوقوع عمان على مدخل الخليج العربى من الجنوب، فقد لعبت القبائل العمانية دورا مهما فى سياسة الخليج والمحيط الهندى، وقد خرجت من عمان الأسر المالكة لسيراف وقيس وهرمز، وبقى العمانيون حتى مجىء الأوروبيين يشكلون القوة المحركة الكبرى فى تجارة الخليج، وظلت العلاقات مستمرة وطيدة بين الشاطئين الشمالى (الفارسى) والجنوبى (العربى) للخليج طوال عصور التاريخ، وبذلك بقى النفوذ العربى العمانى قويا فى جنوب فارس، والنفوذ الفارسى قويا على الشواطىء العربية المجاورة (١)..

تاريخ عمان:

يرجع تاريخ عمان إلى العصور القديمة حيث شهدت حضارات كانت لها صلة بحضارة بلاد ما بين النهرين شمالا وحضارة جنوب الجزيرة العربية

---

(١) دونالد هولى: عمان ص ٧٩.

التي أساسها مملكة سبأ والحمريين ويبدأ تاريخها المكتوب باستيطان العرب عمان وهم اليمنيون الوافدون من جنوب غرب الجزيرة العربية وقبيلة نزار التي جاءت من نجد، وعند إنهيار سد مأرب عام ١٢٠م ازدادت الهجرات العربية إلى عمان وكان أولاها قبيلة الأزد بقيادة مالك بن فهم الأزدي، وكانت عمان من أوائل البلاد التي اعتنقت الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعث عمرو بن العاص إلى الملك جيفر بن الجلندي بن المتكبر ملك عمان آنذاك يدعوه إلى الإسلام..

وفي العصر الإسلامي شاركت عمان في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية ليس في جنوب شرق الجزيرة العربية فقط بل وفي نشر الإسلام وحضارته في الهند والصين وشرق أفريقيا وحتى حوض نهر الكنغو بغرب أفريقيا، وكان للإسلام وحضارته الفضل في توحيد القبائل العمانية وجعلها ذات نظام سياسي واجتماعي واقتصادي ونشطت من خلاله في ارتياد مياه المحيط الهندي والخليج العربي من القرن السابع وحتى القرن الخامس عشر الميلادي عندما قدم البرتغاليون إلى المنطقة واحتكروا الملاحة والتجارة وسيطروا على المنطقة..

وفي التاريخ الحديث كان لسيطرة البرتغاليين على مياه المحيط الهندي والخليج وسواحل شرق أفريقيا والهند ومملكة هرمز عند مدخل الخليج وسواحل الخليج ذاتها تأثير كبير على الوضع في عمان، خاصة أن البرتغاليين فرضوا سيطرتهم على السواحل العمانية حوالي قرن ونصف قرن من عام ١٥٠٧م حتى عام ١٦٤٩م..

كانت السيطرة البرتغالية تحديا واجهه العمانيون بتحقيق وحدتهم الوطنية بقيادة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي وخليفته سلطان بن سيف، ومن خلال القوة العمانية تم طرد البرتغاليين عام ١٦٦٢م من هرمز وإن بقوا بمدينة مسقط حتى لحقت بهم هزيمة ساحقة وأخرجوا من عمان نهائيا في عام ١٦٤٩م، ثم ملاحقاتهم بطردهم من شرق أفريقيا في عام ١٩٨٩م..

ومع أوائل سنوات القرن السابع عشر استعادت عمان قوتها وازدهارها الحضاري وعادت لتسيطر على الملاحة في المنطقة الممتدة من سواحل الهند

حتى سواحل شرق أفريقيا والخليج العربى، ومن خلال هذا النشاط الملاحى اتسعت ممتلكات عمان لتشمل أجزاء من سواحل شرق أفريقيا تطل على المحيط الهندى فى عهد اليعاربة فى الفترة من عام ١٦٢٤ إلى ١٧٤١م..

ولكن الخلافات مالبثت أن وقعت فى عمان بين اليعاربة أدت إلى فقدانهم السيطرة على البلاد مما أدى إلى تعرض البلاد لأخطار الغزو الخارجى، وكان هذا دافعا لظهور الإمام أحمد بن سعيد والى صحار الذى قاد البلاد لتخليصها من الخطر المحدق بها وكانت نتيجة مواقفه الوطنية هذه أن تم اختيار أحمد بن سعيد إماما على عمان عام ١١٣٧هـ الموافق لعام ١٧٢٤م..

وبالإمام أحمد بن سعيد بدأ حكم أسرة البوسعيد التى مازالت تحكم عمان حتى اليوم والتى إشتهر من رجالها السيد سعيد بن سلطان فى النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٨٠٤ـ١٨٥٦م) الموافق للمدة من (١٢١٩ـ١٢٧٣هـ). وإذا كان التاريخ سجل للإمام أحمد بن سعيد دوره فى بناء الدولة الحديثة على أسس قوية بإنشاء جيش قوى وبتدعيم الأسطول العمانى وتطويره، وإحراز انتصارات ضد المنشقين فى الداخل، وضد المعتدين من خارج عمان مثل الفرس..

فإن التاريخ سجل لخلفائه دورهم فى استمرار البناء، ففى عهد حفيده حمد بن سعيد نقلت العاصمة من مدينة الرستاق فى داخل عمان إلى مسقط على الساحل، وكان الإمام أحمد بن سعيد قد خلف أولادا منهم سعيد بن أحمد وسلطان بن أحمد وقيس بن أحمد ومحمد بن أحمد وطالب بن أحمد (٢). وقد توفى الإمام أحمد بن سعيد عام ١١٨٨هـ الموافق لعام ١٧٧٥م فى الرستاق حيث بويع ابنه سعيد بالإمامة..

وبسبب سياسة الإمام سعيد السلبية اتجهت الأنظار نحو تعيين ابنه حمد بن سعيد الذى أصبح فيما بعد الحاكم الفعلى لعمان وأقام بمسقط بينما

---

(٢) نور الدين السالمى: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ـ جزآن طبعة خامسة ١٩٧٤ الجزء الثانى ص ١٧٢.

ظل أبوه فى الرستاق، وبذلك بدأ الفصام الحديث بين السلطنة والأمامة، وهو الفصام الذى جر آثار سيئة على السياسة الداخلية فى عمان، وكان حمد أول رجل فى أسرته يطلق عليه رسميا لقب، وقد شهدت البلاد فى عهده ازدهارا امتد إلى شرق أفريقيا. ولكنه مات فى عام ١٢٠٦هـ الموافق لعام ١٧٩٢م وكان والده الإمام سعيد على قيد الحياة مقيما فى الرستاق مهملا شئون الحكم مما أدى إلى المناداة بأخيه سلطان أحد أبناء الإمام أحمد بن سعيد حاكما لعمان الذى لم يلبث أم جمع فى يديه السيطرة الفعلية على مسقط ومعظم مناطق عمان (٣).

وعندما قتل سلطان أثناء صراع مع القواسم عام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ) فى مياه الخليج حدث انقسام عائلى حول من يخلفه، ولكن الحكم انتقل فى رأى مؤرخى عمان إلى سالم وسعيد بن سلطان حتى توفى سالم مصابا بالشلل عام ١٢٣٦هـ/ أبريل ١٨٢١م فانفرد سعيد بن سلطان بالحكم، وأن كان الحكم الفعلى بقى فى يد السيد سعيد منذ وفاة والده سلطان عام ١٨٠٤م بعد حكم دام اثنتين وخمسين سنة قطاها فى بناء دولة كبرى فى عمان وشرق أفريقيا..

وكان السيد سعيد حاكما عظيما، بل هو أعظم من حكم عمان فى تلك الفترة من التاريخ فلقد نجح فى دعم أركان الدولة وتوسيع رقعتها وتأكيد الإستقرار ونشر الرخاء فى البلاد وتكوين أسطول قوى وجيش مجهز بكامل المعدات والأسلحة وأصبحت له علاقات بكثير من القوى العربية والأسيوية والأفريقية بل والأوروبية والأمريكية حتى غدت عمان فى عهده توصف بأنها دولة بحرية أسيوية من الدرجة الأولى..

وبوفاة السيد سعيد بن سلطان عام ١٨٥٦م انقسمت السلطنة بين ولديه حيث حكم ماجد زنجبار والأقاليم الأفريقية، وحكم ثوينى مسقط، وقد تم الاعتراف الدولى بتأسيس السلطنتين فى إعلان رسمى صدر فى باريس عام ١٨٦٢م (١٢٧٩هـ) وأقرته كل من بريطانيا وفرنسا..

---

(٣) دونالد هولى: المرجع السابق ص ٤٥.

وبوفاة تويني مقتولا عام ١٨٦٦م (١٢٨٦هـ) التي ظل يحكم رغم المؤامرات الداخلية توفي عام ١٨٨٨م (١٣٠٦هـ) فخلفه ابنه تيمور الذي واجه مشكلات داخلية واقتصادية فتنازل عن العرش لابنه سعيد بن تيمور في عام ١٩٣٢م (١٣٥١هـ) الذي ظل يحكمه عمان حكما مطلقا ومغلقا حتى تولى قابوس بن سعيد الحكم في ٣٠ يوليو ١٩٧٠ وانتقل السيد سعيد إلى لندن حيث توفي هناك عام ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ).

تلك كانت صفحات من تاريخ عمان، وهي صفحات تؤكد أن الإنسان العماني لم يكن أبدا بالخامل أو المستسلم وإنما كان يسعى دائما في طموح كبير إلى التغيير لما هو أفضل وأحسن، وأن صفحات التاريخ أثبتت أن عمان كأقدم كيان سياسي في منطقة الخليج كانت لها علاقات خارجية متعددة.

عمان والعالم:

واجهت عمان عدة صعوبات من بعض جيرانها إلى جانب الصعوبات الداخلية ولذلك فإن كل تلك الصعوبات استعدت من السيد سعيد بن سلطان البحث عن خلفاء للمساعدة في التخلص منها، ومن ثم اتجهت أنظاره نحو أقطار أخرى عربية مثل مصر وأقطار أجنبية مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا..

وعن علاقة السيد سعيد بن سلطان بمصر وحاكمها محمد علي فقد اتصفت العلاقة بين الرجلين بالتقدير المشترك غير المندفع، ورغم أن الرجلين كانا معاديان للنشاط السعودي في الجزيرة العربية إلا أن الرسائل المتبادلة بين السيد سعيد بن سلطان ومحمد علي كانت قليلة، وإن كانت قد عبرت عن إعجاب السيد سعيد بالبناء الحديث للدولة التي أقامها محمد علي في مصر، كما عبرت عن وجود رغبة لدى السيد سعيد في إقامة علاقات أوثق مع باشا مصر[٤].

وتمشيا مع العلاقة الودية بين السيد سعيد بن سلطان ومحمد علي وانطلاقا من تقدير محمد علي للدور الذي قام به السيد سعيد بن سلطان في مقاومة

---

(٤) نفس المرجع ص ١٣٩.

النفوذ السعودى فى عمان فى الفترة الممتدة من عام ١٨٠٦م إلى عام ١٨١٨م، فقد أحسن محمد على وشريف مكة يحيى بن سرور استقبال السيد سعيد بن سلطان عندما ذهب للحج عام ١٨٢٤م، إذ أرسل محمد على مجموعة من كبار ضباطه لاستقباله وتحيته، وأطلقت المدفعية فى جدة حينما اقتربت العمانية «ليفربول» المقلة للسيد سعيد من الميناء وعند عودته من الحج إلى مسقط حمل معه هدايا كثيرة من محمد على ومن شريف مكة..

واستمرت الصلات بين مصر وسلطنة عمان ودية رغم موقف بريطانيا المعادى للنشاط المصرى فى الجزيرة العربية وفى الخليج العربى بصفة خاصة، وذلك الموقف الذى لم يكن باستطاعة السيد سعيد بن سلطان تجاهله نظرا للعلاقة الخاصة التى ربطت بينه وبين البريطانيين الذين ساعدوه ضد اعدائه والخارجين عليه، ومع ذلك لم يأخذ السيد سعيد من محمد على موقفا عدائيا، بل أن الوثائق المصرية تشير إلى أن السيد سعيد بعث برسالة إلى محمد على فى عام ١٢٥٥هـ الموافق لعام ١٨٤٠م ويطلب فيها بالحاح سرعة إرسال أحد جنود المدفعية المصريين للخدمة فى مدفعية السيد سعيد..

وبالنسبة لعلاقة سلطنة عمان بالقوى الأجنبية، فسوف نستعرض العلاقة بين السلطنة والولايات المتحدة الأمريكية حيث تتضح فى هذا الاستعراض شخصية السيد سعيد المتميزة ومكانة السلطنة الدولية فى عهده، ذلك أنه إذا كانت المغرب تعتبر أول دولة عربية تقيم علاقات ودية وتجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية فأن سلطنة عمان كانت الدولة الثانية التى أقامت علاقات مع الولايات المتحدة..

وقد تشابهت نظرة كل من دولة المغرب وسلطنة عمان إلى الولايات المتحدة من حيث أنها دولة حديثة الأستقلال عن بريطانيا ذات التاريخ الإستعمارى فى العالم، وباعتبارها تسمى لتحقيق مصالح اقتصادية وليست لها نوايا استعمارية واضحة، هذا بالاضافة إلى أنه لم تكن للعرب معها خبرة استعمارية مؤلمة تجعلهم يتشككون أويتخوفون من إقامة علاقات معها، ومن ثم سعت المغرب إلى تكوين علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة فى مواجهة التآمر الاستعمارى الأوروبى على المغرب، كما سعت سلطنة عمان إلى

إقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة تحقيقا للتوازن مع القوى الأجنبية الأخرى الطامعة فى مد نفوذها على منطقة الخليج والمحيط الهندى وشرق أفريقيا ..

ومن هنا فأن عقد اتفاقية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٣٣م جاء متمشيا مع سياسة الولايات المتحدة فى المنطقة العربية بمعنى أن قيام سلطنة عمان بتوقيع مثل هذه الاتفاقية لا يمكن النظر إليه على أنه عمل منفرد قامت به السلطنة دون غيرها من الأقطار العربية ..

تمتعت سلطنة عمان فى عهد السيد سعيد بن سلطان بقدر كبير من الاستقلال تمتاز به غيرها بقدر كبير من الأستقلالتمتاز به عن غيرها من أقطار الخليج العربى، كما تميزت بامتدادها حتى شرق أفريقيا حيث صار للسلطنة جناح جناح أفريقى فى زنجبار أو (زنزبار) إلى جانب القلب الذى مقره مسقط فى مدخل الخليج العربى ورغم أن زنجبار ظللت خاضعة لحكم سلطنة عمان منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادى إلا أنها لم تلق العناية الكافية للتنمية والتطور حتى اتجه إليها السيد سعيدبن سلطان فى العشرينيات القرن التاسع عشر، حيث أدخل زراعة القرنفل فى زنجبار واعتباره محصولا تجاريا، وحيث أنشأ عدة مزارع على الأرض الأفريقية ودفع بالتجار العمانيين للتوغل فى القارة الأفريقية للمتاجرة مع الأفارقة. كما قدم مساعدات ذات أثر كبير فى نجاح رحلات المستكشفين الأوروبيين داخل أفريقيا الذين مارسوا عمليات الكشف النصف الأول من القرن التاسع عشر..

كان تطرير الشق الأفريقى من سلطنة عمان فى عهد السيد سعيد عامل جذب للقوى الأجنبية لكى تسعى إلى تقوية علاقاتها بالسلطنة ككل ولكى تحصل على متاجر وزنجبار بصفة خاصة، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أول القوى الأجنبية فى التطلع إلى فتح أسواق زنجبار أمام تجار الأمريكان لبيع المنتجات والسلع الأمريكية من ناحية ولشراء المنتجات والسلع المنتجة فى الشق الأفريقى من سلطنة عمان من ناحية أخرى..

وقد بدأت مقدمات العلاقات التجارية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية حينما زار التاجر الأمريكى الكابتن (أدموند روبرتس) Edmond Robertes الذى ينتمى إلى نيوها مبشير فى عام ١٨٢٧م زنجبار متطلعا إلى تحقيق كسب مادى كبير هناك ولكنه لم يجد التسهيلات التى يلقاها البريطانيون هناك حلفاء السيد سعيدبن سلطان ومن ثم عاد إلى الولايات المتحدة يحمل فكرة عقد معاهدة مع السلطنة لكى تروج التجارة الأمريكية فى ممتلكات السلطنة (٥).

تم توقيع الاتفاقية التجارية بين السلطنة والولايات المتحدة فى ٢١ سبتمبر ١٨٣٣م وكانت أول اتفاقية يعقدها السيد سعيدبن سلطان مع دولة كبرى وقد صارت تلك الأتفاقية المثل الذى سارت على منواله معاهدات السلطنة مع بريطانيا عام ١٨٣٩ ومع فرنسا عام ١٨٤٤م وقد ظلت الاتفاقية الأمريكية العمانية سارية المفعول حتى عام ١٩٥٨م حين أبطل مفعولها واستبدلت بمعاهدت جديدة للصداقة والعلاقات الإقتصادية والحقوق القنصلية بين الطرفين..

وبموجب هذه الأتفاقية تمتع الأمريكيون فى ممتلكات السلطان العربية (مسقط) والأفريقية (زنجبار) بامتيازات اقتصادية وقضائية، حيث صار التجار الأمريكيون يتاجرون فى أراضى السلطنة وينزلون فى موانيها يدفعون ٥٪ فقط رسوما على البضائع التى يجلبونها إلى موانى السلطنة وأن يعفوا من دفع أية ضرائب أخرى على الصادرات والواردات وأن يعفوا كذلك من رسوم الإرشاد الملاحى فى موانى السلطنة. كما صار من حق القنصل الأمريكى فى السلطنة فض المنازعات التى تنشأ بين رعايا دولته، ونصت المعاهدة كذلك على حق قنصل السلطنة فى الفصل فى القضايا بين رعايا دولته فى الولايات المتحدة (٦)..

---

(٥) د. ريتشارد ستيفنس: استعراض لبداية العلاقة الأمريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة عمان ومسقط (١٨٣٣ـ ١٨٥٦) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ص ١٢٢.

(٦) نفس المصدر ص ١٢٥.

وفى تقييمنا للاتفاقية التجارية الأمريكية العمانية نلاحظ أن الأتفاقية جعلت السيد سعيدبن سلطان يشعر بأهميته وبقدرته على الدخول فى اتفاقية مع دولة كبرى، مما جعله يميل إلى كسب المزيد من رضا الأمريكيين فيعرض عليهم امتيازات تجارية خاصة فى شرق أفريقيا على أن يقفوا بجواره ويساعده بالسلاح لإخضاع «مومباسا» لسيادته، ولم يغضبه عدم استجابة الأمريكيين لطلبه..

كما أن إدارك السيد سعيد بن سلطان بأنه قادر على عقد اتفاقية مع دولة كبرى أشعره بالندية ويستند إليها فى مواجهة القوى الكبرى الأخرى ـ خاصة انجلترا وفرنسا ـ فى تحقيق نفع له ولسلطته تكسبه مكانه دولية وتكسب السلطنة اعترافا دوليا تسعى إليه الأقطار الحديثة ذات الحكومات الناشئة فى كل من أفريقيا وآسيا بل وأمريكا اللاتينية..

وعلى الجانب الأمريكى فقد استقبل الرئيس الأمريكى أندروجاكسون رسالة السلطان التى حملها إدموند روبرتس مع نص الإتفاقية عند عودته إلى الولايات المتحدة بكل تقدير حيث أكدت الرسالة على تمنيات السيد سعيد الطيبة للرئيس الأمريكى وشكره على الرسالة التى حملها إليه روبرتس التى حملت المودة والتقدير من الرئيس الأمريكى للسيد سعيد..

ونتيجة لما جاء فى الرسالة وما احتوته الأتفاقية من نصوص فى صالح الولايات المتحدة دون أن تحملها تبعات أوتضع عليها من قيود، فقد كان وقع الأتفاقية فى الولايات المتحدة طيبا، وتمت مصادقة كل من الرئيس جاكسون والكونجرس دون إبطاء كيف لاوالاتفاقية لم تحمل الولايات المتحدة أية التزامات نحو سلطنة عمان كما أن الولايات المتحدة قد أصبحت مرتبطة بصداقة إحدى القوى الأسيوية الأفريقية التى تفخر بامتلاكها المجفف والتوابل (٧)..

ونتيجة لازدياد النشاط التجارى الأمريكى فى ممتلكات سلطنة عمان بشرق أفريقيا فقد أختارت الحكومة الأمريكية أحد رعاياها ويدعى المستر

---

(٧) دونالد هولى: عمان ونهضتها الحديثة ص١٨٧.

ريتشارد ووترز Richard Waters عام ١٨٣٦م ليكون أول قنصل أمريكى فى مسقط ذاتها فى عام ١٨٣٨م..

وقد ظلت العلاقة بين سلطنة عمان والولايات المتحدة الأمريكية ودية حتى منتصف القرن التاسع عشر أى على مدى يقرب من عشرين سنة منذ عقدت الاتفاقية التجارية بين الطرفين عام ١٨٣٣م ولكن حدث أن اضطربت تلك العلاقة نتيجة عدة عوامل منها:

أولا: رغبة السيد سعيد فى تعديل المادة الثانية من معاهدة الصداقة والتجارة المعقودة بين الطرفين عام ١٨٣٣م والتى تنص على أن من حق التجار الأمريكيين دخول كل الموانى الخاضعة للسلطان وأصر السيد سعيد على أن المادة الثانية تشير فى رأيه ــ إلى أن هذا الحق كان يقتصر على ميناء رئيسى واحد هو ميناء زنجبار ولم ترغب الحكومة الأمريكية فى الاستجابة لطلب السلطان فتحرم تجارها بصفة رسمية من التجارة فى بقية موانى السلطنة خشية أن تفتح هذه الموانى أمام تجار دول أخرى..

ثانيا: الخلاف بين السيد سعيد والأمريكيين حول مدى سلطة المحكمة القنصلية الأمريكية فى السلطنة على الرعايا الأمريكيين وقد فجر هذاالخلاف ارتكاب بحار أمريكى جريمة قتل فى حق مواطن عربى، كما فجره الخلاف الذى كثيرا ما كان ينشب بين الرعايا الأمريكيين فى السلطنة وبين التجار الهنود المعروفين باسم «البونايان» الهندوس من غير ذوى الكتاب ــ والمشمولين بالحماية البريطانية (٨).

وقد لعب القنصل الأمريكى فى زنجبار «شارلس وارد» Charles Ward الذى تسلم مهمام وظيفته فى الجزء الأفريقى من السلطنة بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٤٦م، دورا فى سوء العلاقة بين السيد سعيد والولايات المتحدة مما أدى إلى قطع العلاقة بين البلدين فى يوليو ١٨٥٠م، واعتقد «وارد» أن القنصل البريطانى فى زنجبار كان وراء سوء العلاقة بين

(٨) د. ريتشارد ستيفنس: المرجع السابق ص ١٣٠.

الولايات المتحدة والسلطنة ، وتوقع تفكك السلطنة بعد وفاة السيد سعيد وأشاع ذلك مما أغضب السيد سعيد..

ورغم أن السيد سعيد كان حريصا على استمرار العلاقة مع الولايات المتحدة فأنه أضطر إلى توقف تلك العلاقة بعد أن استنفد الوسائل المتاحة لكى يحل المشكلات التى أثيرت بين الطرفين ، فقد بعث السيد سعيد برسالة إلى الحكومة الأمريكية فى سبتمبر ١٨٤٧م ، إلا أنه لم يتلق ردا عليها مما دفعه إلى التمسك بتفسيره للمادة الثانية للمعاهدة المعقودة بين البلدين ، وكانت الرسالة تطلب ضمانات أمريكية محددة حول المدى المحدد للتجارة الأمريكية فى سواحل أفريقيا الشرقية التابعة للسلطنة وتطلب تحديدا للاختصاصات القضائية للقنصل الأمريكى فى السلطنة ، ووقف أى تدخل فى الشئون الداخلية للسلطنة من جانب القنصل الأمريكى..

وأرادت الولايات المتحدة ألا تفقد صداقة السلطان فأرسل الرئيس الأمريكى «ميلارد فيلمور» رسالة حملها مبعوثه إلى السيد سعيد يدعى « الكومودور أوليك » وغادر القنصل « وارد » إلى الولايات المتحدة ، وعندما وصل « أوليك » إلى زنجبار فى أول ديسمبر عام ١٨٥١م اجتمع مع التجار الأمريكيين قبل أن يسلم رسالة الرئيس الأمريكى للسيد سعيد ، وعرف منهم مدى صداقة السيد سعيد وحسن معاملته لهم وأنه لم يسىء للعلم الأمريكى كما أدعى القنصل « وارد » وأنهم يتمتعون بامتيازات فى السلطنة تفوق ما يتمتع به غيرهم من التجار الأجانب..

وعندما غادر المبعوث الأمريكى « أوليك » زنجبار ترك أثرا طيبا بين أهل السلطنة وحكامها ، وتحمل القناصل الأمريكيون منذ عام ١٨٥٢م مسئولية العمل على تحسين العلاقات بين السلطنة والولايات المتحدة الأمريكية . وبالفعل امتلات تقارير هؤلاء القناصل بالإشادة بروح المودة التى يبديها السيد سعيد نحو الأمريكيين وأن العلاقات التجارية بين البلدين ثابتة ومستقرة (٩) .

---

(٩) نفس المصدر: ص ١٣٣.

ورغم أن العلاقة بين سلطنة عمان والولايات المتحدة خلال الفترة الممتدة من الاتفاقية التجارية لعام ١٨٣٣م، ولمدة مائة عام تقريبا لم تعتبر ذات أهمية بالغة من وجهة نظر أى من الطرفين، إلا أن وجودها فى حد ذاته كان يبشر بعهد جديد فى مجال العلاقات الدولية..

وتمشيا مع السياسة الودية بين سلطنة عمان والولايات المتحدة التي بدأت مع معاهدة الصداقة والتجارة التى عقدت بين البلدين عام ١٨٣٣م بعث السيد سعيد بسفينته المسماة «سلطانة» فى رحلة إلى ميناء نيويورك الأمريكى عام ١٨٤٠م لشراء الأسلحة والذخيرة التى كان فى حاجة إليها أثناء صراعه ضد الوجود البرتغالى فى موزمبيق وتولى قيادة هذه السفينة ربان بريطانى يدعى «وليام سليمان» William Soliman واختار السيد سعيد أمين سره الخاص الحاج أحمد بن نعمان ليكون ممثلا له فى الولايات المتحدة، بل أول مبعوث عمانى إلى الولايات المتحدة..

وقد حمل الحاج أحمد بن نعمان معه هدية السيد سعيد للرئيس الأمريكى وكانت عبارة عن جوادين عربيين، وبعض الجواهر وسيفا مطعما بالذهب إلى جانب العطور وقد أهدى الرئيس الأمريكى للسيد سعيد باخرة كبيرة مؤثثة بأثاث فاخر إلى جانب ٤ مسدسات تلقائية الدوران وبندقيتين تلقائيتى الدوران كذلك..

كما حملت السفينة «سلطانة» أكثر من ألف من أجولة التمر العمانى وحوالى عشرين بالة من السجاد الإيرانى، ومائة كيس من قهوة «مخا» و١٠٨ من أنياب العاج وحوالى ثمانين جوالا من صمغ الكوبال الراتينجى، و١٣٥ جوالا من القرنفل، وألف جلد من جلود الحيوان المجففة، وهذه الحمولة بيعت لحساب السيد سعيد فى نيويورك (١٠)..

وقد لقى ركاب السفينة سلطانة كل تكريم وترحيب من محافظ «بمروكلين» ومن رئيس نادى البحرية فى نيويورك، وصدرت أوامر الرئيس الأمريكى «فان بورين» Van Buren ووزير بحريته

---

(١٠) دونالد هولى: المرجع السابق ص ١٨٨.

بإدخال السفينة سلطانة إلى حوض الأسطول الأمريكي وتجهيزها للإبحار على نفقة الحكومة الأمريكية. ومن ثم شحنها بالمنتجات الأمريكية التي أشرنا إليها لتعود بها إلى السيد سعيد..

استغرقت رحلة السفينة سلطانة حوالي عشرة أشهر منذ أن خرجت من زنجبار حتى عادت إليها، وقد قاد رحلة العودة إلى أرض الوطن ربان أمريكي استطاع أن يجتاز بها المحيط الأطلنطي بأمواجه المضطربة بسلام، عادت وعليها مبعوث السيد سعيد الحاج أحمد بن نعمان بعد أن أتم مهمته على خير وجه فكان بحق خير سفير لبلده في تلك البلاد البعيدة..

وإن دلت رحلة السفينة سلطانة إلى نيويورك على شيء فإنما تدل على رغبة كل من سلطنة عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان والولايات المتحدة الأمريكية في تقوية واستمرار العلاقات الودية بين الطرفين وخاصة في المجالات الاقتصادية وهي المجالات التي كانت تستهوي التجار الأمريكيين أكثر من أي شيء آخر، في الوقت الذي لم تكن فيه حكومة الولايات المتحدة الأمريكية راغبة في التدخل في المشكلات السياسية انطلاقا من سياسة العزلة التي سارت عليها منذ أعلنت استقلالها عن انجلترا..

وقد استفادت سلطنة عمان من علاقتها بالولايات المتحدة في أن الوجود التجاري الأمريكي القوي في السلطنة قد جعل مسألة سيادة تلك البلاد واستقلالها عند وفاة السيد سعيد أمرا ثابتا لا يحتاج إلى نقاش. وحتى بعد انقسام السلطنة بين ولدي السيد سعيد: «ماجد» في زنجبار «وثويني» في مسقط، فقد بقيت السلطنة في مسقط بعيدة عن أي نزاع استعماري لأن سيادتها ضمنتها اتفاقيات دولية بينما وقعت زنجبار فريسة للاستعمارين الانجليزي والألماني..

وقد أشار تقرير عن السياسة الخارجية الأمريكية عام ١٩٤٦م نحو إمارات الخليج العربي عامة وسلطنة عمان خاصة (١١)، بأنه في الوقت

---

(١١) Memorandum Prepared in the department of state (secret) Washington, March 15, 1946, No. 790 0014-946- Current U.S. Policy toward the arab Principalities of the Persion Gulf and the Gulf of Oman.

ثانيا: السلطان سعيد بن تيمور

كان سعيد الإبن الأكبر للسلطان تيمور وتلقى تعليمه فى إحدى مدارس الأمراء التى تشرف عليها حكومة الهند البريطانية، وكانت بريطانيا قد اعترفت به وليا للعهد أثناء حياة أبيه باعتباره الأبن البكر، وكان ذلك دافعا للسلطان سعيد فى أن يعتمد على عدد من المستشارين البريطانيين والأجانب وإن كان قد نجح فى جعل البريطانيين يخفضون من قيودهم التى كانوا يفرضونها على سياسة الحكم فى عمان منذ عام ١٨٩٩م..

وقد ورث السلطان سعيد حكم البلاد وهى تعانى مصاعب مالية، ولكنه استطاع من خلاله تصميمه على أن يكون مستقلا وسيد مصيره أن يعالج الشئون المالية بما حقق قدرا من الأستقرار وتنمية موارد الدخل خاصة بعد اكتشاف النفط وتسويقه، كما تميز حكمه باستقلال السلطنة وحرية التصرف من الوجهتين الفعلية والقانونية..

وكان حكم السلطان سعيد لسلطنة عمان يتجه نحو العزلة والانغلاق والجمود أكثر فأكثر، وكانت إقامة السلطان سعيد بمدينة صلالة وعدم زيارة شمال السلطنة منذ عام ١٩٥٨م وحتى إقصائه عن الحكم عام ١٩٧٠م سببا فى ازدياد الجمود والتحفظ للحكم فى عمان بل كان السلطان شديد التقتير وعدم الإنفاق على رفاهية شعبه..

لقد عاشت السلطنة فى عهد السلطان سعيد خاصة فى السنوات الأولى من حكمه هادئة تسير فى مجراها الطبيعى. ولكنه واجه ثورة داخلية قام بها نظام الإمامة الأباضية فى منطقة عمان، تلك الثورة التى انكمشت منذ عام ١٩٥٩م، كما واجه مشكلة تخطيط حدود السلطنة مع المملكة العربية السعودية حتى إنتهى الأمر عام ١٩٥٥م بإقرار الحدود عند منطقة البوريمى..

وكانت مساعدات البريطانيين للسلطان سعيد فى التخلص من مشكلات الثورة الداخلية ومشكلة الحدود، مبنية على مواقفه الإيجابية من بريطانيا أثناء معارك الحرب العالمية الثانية بالسماح بإقامة مهابط لطائرات سلاح الجو البريطانى فى عدد من المناطق بين صلالة ومسقط..

الذى تعترف فيه الولايات المتحدة بالوضع الخاص لبريطانيا العظمى فى إمارات الكويت والبحرين وقطر والساحل العمانى المتصالح فأن سياستنا ـ أى سياسة الحكومة الأمريكية ـ نحو هذه المنطقة تعتمد على أن الوضع البريطانى الخاص فى هذه الإمارات لن يؤدى إلى إلحاق الضرر بالمصالح الأمريكية أومصالح السكان المحليين والحكومات القائمة. وأن سياستنا نحو سلطنة عمان تستند على واحدة من أقدم معاهداتنا التى مازالت نافذة المفعول وهى معاهدة الصداقة والتجارية الموقعة بين الطرفين فى ٢١ سبتمبر ١٨٣٣م..

ويضيف التقرير مؤكدا على أهمية العلاقة بين الولايات المتحدة وسلطنة عمان مشيرا إلى أن الذكرى المئوية لتوقيع المعاهدة المشار إليها والتى أحييت فى مارس ١٩٣٤ تميزت بزيارة قامت بها بعثة دبلوماسية أمريكية خاصة لمسقط وفى عام ١٩٣٦م استقبل الرئيس الأمريكى «فرانكلين روزفلت» Franklin Rosevelt فى واشنطن السلطان سعيدبن تيمور سلطان عمان كضيفة الخاص..

واختتم التقرير سرده للأحداث المقارنة بين تلك المعاهدات التى وقعتها الإمارات العربية الخليجية مع بريطانيا العظمى ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر وبين المعاهدات العمانية البريطانية فالإمارات العربية الخليجية تعهدت لبريطانيا منذ عام ١٨٢٠م بالمساعدة للقضاء على «القرصنة» فى الخليج العربى، ووضع حد لدخول السلاح والرقيق على بلادهم، وعن طريق سلسلة من المعاهدات أعطى حكام الإمارات للبريطانيين حق استغلال أراضيهم مقابل الحماية البريطانية، وفيما بين عامى ١٩١٣، و١٩٢٣ ربط حكام الإمارات العربية الخليجية أنفسهم أكثر بالتعهد بعدم إعطاء امتيازات للبحث عن البترول فى أراضيهم لأية دولة أخرى دون موافقة وقبول البريطانيين..

بينما وافق سلطان عمان فى عام ١٩٢٣م على مجرد استشارة المركز السياسى البريطانى فى الخليج وحكومة الهند البريطانية قبل البحث عن البترول فى سلطنته..

وبينما المفاوضات دائرة بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية لحصول الأخيرة على تسهيلات جوية بأراضي المملكة، بدأت، ومنذ أغسطس ١٩٤٢م مفاوضات مماثلة بين الولايات المتحدة وسلطنة مسقط وعمان أن للولايات المتحدة علاقات خاصة بسلطنة مسقط وعمان تحكمها اتفاقية التجارة والصداقة لعام ١٨٣٣م، إلا أنه صار لبريطانيا منذ وفاة السيد سعيد سلطان مسقط وعمان وزنزبار عام ١٨٥٦م واقتسام ولديه ماجد وتوينى ممتلكاته مركز خاص ونفوذ قوى فى السلطنة..

وقد حاولت الحكومة الأمريكية منذ عام ١٩٣٠م احياء نفوذها فى السلطنة بعقد معاهدة جديدة بين الطرفين إلا أن الحكومة البريطانية وقفت للمحاولات الأمريكية بالمرصاد، ومع ذلك فقد ظهرت نشاطات أمريكية فى السلطنة تمثلت فى اتساع نشاط البعثة التبشيرية الأمريكية فى مجال الصحة والتعليم فى كل من مسقط ومطرح، حتى أنه عند افتتاح المستشفى الجديد التابع للبعثة فى مطرح عام ١٩٣٤م قام الوزير المفوض الأمريكى فى بغداد بافتتاح المستشفى أثناء زيارته لمسقط احتفالا بمرور مائة عام على توقيع المعاهدة المسقطية الأمريكية (١٢).

كما تمثلت النشاطات الأمريكية فى السلطنة وقبل الحرب العالمية الثانية فى التطلع للتنقيب عن البترول فى السلطنة، ولما كانت شركة البترول الانجليزية الإيرانية قد بدأت منذ عام ١٩٢٤م بالتنقيب عن النفط فى السلطنة فلم تواجه بمنافسات تذكر من جانب الشركات الأمريكية إذ كانت المنطقة خاضعة للنفوذ البريطانى وفى عام ١٩٣٧م بدأت شركات بترول عمان وظفار المحدودة وهى فرع من شركة نفط العراق وبها رأسمال أمريكى فى التنقيب عن البترول بموجب اتفاق وقعته الشركة مع سعيد بن تيمور سلطان مسقط وعمان..

وقد حاولت شركات البترول الأميركية استخدام أحد الرعايا الإيطاليين ويدعى باستورى (Pastori) وأحد البولنديين ويدعى الكونت برورك

---

(١٢) د. جمال زكريا قاسم: الخليج العربى. دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤-١٩٤٥م ص٢٦٣.

(Prork) للحصول على امتياز عن النفط فى سلطنة مسقط وعمان لصالح الشركات الأمريكية إلا أن الوكيل البريطانى فى مسقط تشكك فى نشاطهم ومن ثم رفض التصريح لهما بالإقامة فى مسقط . وقد ظهر أن باستورى كان يعمل لحساب بعثة إيطالية أمريكية مهتمة بالتنقيب عن النفط كما أوضحت تحريات الوكيل البريطانى على أن بروك كان بدوره عميلا لشركة على عقود امتيازات فى الساحل الجنوبى من الخليج([١٣]) .

ومعنى هذا أن سلطنة مسقط وعمان صارت تتبع فى سياستها الخارجية «النصيحة البريطانية» وهذا يعنى أن الولايات المتحدة فى محاولاتها التفاوض مع السلطنة بشأن التسهيلات الحربية يجب أن تأخذ فى اعتبارها الوضع الخاص لبريطانيا فى السلطنة والذى يستلزم دخول بريطانيا كطرف فى أى مفاوضات تجريها الولايات المتحدة مع السلطنة . وقد دارت هذه المفاوضات من خلال الوزير المفوض الأمريكى فى نيودلهى، وسكرتير حكومة الهند للشئون الخارجية ووزير الخارجية الأمريكية واستغرقت الفترة من يونيو إلى نوفبر ١٩٤٢م .

وتبدأ إثارة هذا الموضوع فى رسالة بعث بها الوزير الأمريكى فى نيودلهى (The Officer in Charge) إلى وزير الخارجية الأمريكية جاء فيها أنه منذ يونيو ١٩٤٢م بعث ببرقية إلى البعثة الدبلوماسية الأمريكية بالقاهرة ويعود ليؤكد ما جاء بها من أن سكرتير حكومة الهند المسئول عن إدارة الشئون الخارجية قد سبق واقترح بطريقة غير رسمية أنه من المستحسن لحكومة الولايات المتحدة القيام باتصالات دبلوماسية مع سلطان مسقط من أجل الحصول على تسهيلات من السلطنة لصالح القيادة الجوية الأمريكية ..

وأضافت الرسالة بأنه تبعا لما قاله سكرتير حكومة الهند، فان السلطان الذى كان فى الماضى حياديا ومن السهل إثارة شكوكه عند تعامله مع البريطانيين صار متعاونا، ومن أجل هذا السبب، فأن أى مندوب أمريكى يذهب إلى هناك يجب اختياره بدقة، ينطبق بصفة خاصة عند الذهاب إلى

---

(١٣) نفس المرجع ص ٩٠٥.

«سلالة» حيث يتخذها السلطان مقرا لإقامته فى الصيف، وملجأ له حين كان الماضى يبحث عن ملجأ له بعيدا عن البريطانيين..

ومضت الرسالة إلى القول بأنه طبقا لمعلومات سكرتير حكومة الهند عن الأثر الذى أحدثه عند السلطان وصول أربعة موظفين من شركة بان أمريكان للطيران (Pan American Airways) إلى سلالة بدون سابق إنذار الذين قرروا أنهم جاءوا لعمل ترتيبات ضرورية للتسهيلات الأرضية.

وتضيف الرسالة بأنه تنفيذا لتوجيهات وزارة الخارجية الأمريكية المؤرخة فى ٣يوليو ١٩٤٢م، فأننى سألت سكرتير حكومة الهند إذا كانت حكومة الهند لديها الرغبة لاعطاء الممثل البريطانى فى مسقط تعليمات للتباحث مع السلطان بهذا الخصوص نيابة عن الحكومة الأمريكية وبعد عدة أيام تلقيت إجابة مشجعة فسطرت مذكرة إلى السكرتير فى ٨يوليو ١٩٤٢م اعبر عن الرغبة فى الحصول على موافقة السلطان على التسهيلات لجيش الولايات المتحدة شبيهة بتلك التسهيلات المعطاه حاليا للبريطانيين بحيث تشمل هذه التسهيلات استخدام مطارات فى مسقط بواسطة الطائرات العاملة فى خدمة جيش الولايات المتحدة وإقامة الأشخاص سواء كانوا عسكريين أومدنيين اللازمين لخدمة الطائرات ولانشاء ولتشغيل محطات اللاسلكى والأرصاد الجوية..

وتمضى الرسالة إلى القول بأن هناك ثمة تأخير من جانب، حكومة الهند فى إرسال التعليمات للممثل البريطانى فى مسقط نظرا لضرورة التشاور مع السلطات العسكرية البريطانية فى القاهرة بخصوص تسهيلات اللاسلكى والأرصاد الجوية المطلوبة كما أن الصعوبة أيضا حدثت عند الحصول على وسيلة نقل جوية للوكيل البريطانى السياسى من مسقط إلى سلالة. والمعتاد وجود موظف صغير مساعد للوكيل السياسى فى سلالة..

وعلى أية حال ــ كما جاء فى الرسالة ــ فإننى تلقيت الآن مذكرة مؤرخة فى ٢١أغسطس ١٩٤٢م من السكرتير المقيم لحكومة الهند تصف نتائج مباحثات الوكيل السياسى ومراسلاته مع صاحب العظمة السلطان، ومعطيا اهتماما لملاحظات السكرتير المقيم بهدف تقديم المساعدة المطلوبة، وكما

ستلاحظ وزارة الخارجية فأن صاحب العظمة السلطان قد وافق على التسهيلات المطلوبة ولكن تحت خمسة شروط بموجبها يتوقف عليها اعطاء التسهيلات. و يعتقد السكرتير المقيم لحكومة الهند أن هذه الشروط عادية ومعقولة، وقرر أن ـ أن الوكيل السياسى البريطاني. ومساعد الوكيل السياسى، سوف يكونان مسئولين إذا رغبت وزارة الخارجية الأمريكية فى تدبير الأمور للأشخاص الأمريكيين كما يقومون بالنسبة للسلاح الجوى الملكى البريطانى ([14]).

واختتمت الرسالة بطلب تعليمات برقية حول ما إذا كانت شروط السلطان مقبولة من علمه لدى وزارة الخارجية الأمريكية، وأنه يجب أن يكون مفهوما أنه لن تكون هناك صعوبات فى سبيل الحصول على التسهيلات المطلوبة فى مسقط على أساس مؤقت، وأرفق الوزير المفوض الأمريكى فى نيودلهى برسالته هذه ثلاثة مرفقات هى :ـ

جاء بالمرفق الأول أنه فى السادس من شهر يونيو ١٩٤٢م تم ابلاغ المستر ميريل بأن حكومة الهند قد تلقت علما بأن قيادة الدفاع الجوى للولايات المتحدة عازمة على انشاء محطات للتوقف فى مطارات بأراضى مسقط للطائرات التى تستخدم خطوط الطيران المارة بجنوب الجزيرة العربية فى كل من «سلالة» و«رأس الحد» وربما مصيره وقد أشير إلى وجود اتفاقية للصداقة والتجارة بين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وسلطان مسقط المعقودة فى ٣١سبتمبر ١٨٣٣م وأقترح أنه من المناسب لتنظيم ذلك أنه قبل إرسال القوات الأمريكية على الحصول على الموافقة الكاملة لصاحب العظمة السلطان..

وكان واضحا انه تحقيقا لذلك فإن الحكومة البريطانية كانت مهتمة وأخذت على عاتقها مهمة الحصول مسبقا على موافقة صاحب العظمة سلطان مسقط على بناء مطارات، وأيضا استخدام الطائرات لها، ووجود فنيين

---

(14) U.S.. The officer in charge at New Delhi (Merrell) to the secretary of state (Hull), New Delhi, August 23, 1942 (Received September 14, 1942) No. 811. 248/720.

أرضيين من أجل صيانة وحماية هذه المطارات. وكان مفهوما أن مستر «ميريل» قد خاطب وزارة الخارجية بذلك..

وأنه قد وصلت الآن معلومات من «سلالة» بأن أربعة رجال من شركة بان أمريكان للطيران قد وصلوا هناك وقرروا أنهم جاءوا من أجل إنشاء محطة مرحلية لخدمة خطوط طيران بان أمريكان بين الخرطوم وكراتشي، وأن رجالا آخرين من الشركة سيفدون خلال أيام قليلة ومعهم معدات لاسلكية وأنهم يتوقعون نقل ركاب لهم صفة الخصوصية حسبما تسمح بذلك الاولويات فى سجلات الرحلات الحكومية وأنهم يرغبون فى التفاوض مع سلطان مسقط بخصوص بناء معسكر، واستخدام عمال محليين، وتدبير المؤن والامدادات اللازمة..

وجاء التقرير أن سلطان مسقط شعر بالقلق من وصول هؤلاء الأشخاص المفاجىء ـ دون سابق إنذار ـ وفى نفس الوقت أصر على أن هؤلاء الرجال يجب أن يتم الحاقهم بسلاح الجو الملكى البريطانى وأن يرتبطوا بقوانيين سلاح الجو الملكى البريطانى..

إن التقرير المقدم من رجال شركة بان أمريكان للخطوط الجوية فى سلالة والذى يحمل رغبة الشركة بنقل ركاب خصوصيين إذا سمحت بذلك سجلات الرحلات الحكومية إنما يخالف ما أكده ـ تعهده به ـ الكولونيل لويس جونسون Louis Johnson الممثل الشخصى للرئيس روزفلت فى الهند. فى الاجتماع الذى عقد بادارة الشئون الخارجية فى السابع والعشرين من أبريل ١٩٤٢م بأن شركة طيران بان أمريكان إنما تعمل تحت ظل إدارة وملكية حربية كاملة وأن عملياتها تتقرر كليا عن طريق وزارة الحربية الأمريكية، وأن ذلك لم يحدث شيء منه للآن ومن ثم فأنه سوف يؤدى أوقد يؤدى إلى تأكيد أواثبات أوترتيب حقوق تجارية (١٥).

---

(١٥) U.S. Documents, Enclosure I, The Joint secretary to the Government of India in the External Affairs Department (Weight man) to the American Officer in Charge at New Delhi (Merrell), Aide-Memoire, (File Copy not Signed) Joint Secretary to the Government of India, New Delhi, 13 June 1942.

وجاء بالمرفق الثانى رسالة من الوزير المفوض الأمريكى بنيودلهى إلى السكرتير المقيم لحكومة الهند المسئول عن إدارة الشئون الخارجية. ويشير فيها إلى المباحثات التى دارت حديثا بوزارة الخارجية بخصوص استخدام الطائرات وهيئة الموظفين Personnel فى دائرة اختصاص جيش الولايات المتحدة فى مطارات «سلالة»، «رأس الحد»، «مصيرة»، و«مسقط»، ومذكرة السكرتير المقيم الموضحة للموضوع بتاريخ ١٣ يونيو ١٩٤٢م تؤكد هذه الأمور..

وأن لديه الآن مايمكن إضافته وهو أن حكومة الولايات المتحدة تطلب من حكومة الهند لتقوم بجهد مكثف لابلاغ الممثل البريطانى فى مسقط ليفاتح صاحب العظمة سلطان مسقط فى هذا الموضوع لصالح حكومة الولايات المتحدة. وهذه الرغبة من الحكومة الأمريكية تهدف إلى الحصول على موافقة صاحب العظمة على تسهيلات لجيش الولايات المتحدة مشابهة لتلك التسهيلات الممنوحة للبريطانيين، تلك التسهيلات التى تشمل استخدام مطارات مسقط بواسطة طائرات تحت مسئولية جيش الولايات المتحدة، وإقامة أقل عدد ممكن من الأشخاص، سواء كانوا عسكريين أو مدنيين اللازمين لصيانة الطائرات وتشغيلها، ولاقامة وتشغيل محطات للارصاد الجوية واللاسلكى..

وأن المعلومات المتصلة بالمهمة الجديدة كما وردت من وزارة الحربية الأمريكية والآتية قدمت من أجل امكان الاستفادة منها فى تقديم تعليمات لممثل بريطانيا العظمى:

- البريجادير جنرال فيتزجرالد Brigadir General Fitzgerald من جيش الولايات المتحدة قد تعين ليتولى قيادة العمليات الجوية Ferry فى الشرق الأوسط وأفريقيا، وسيكون تحت إشرافه وإدارته لمباشرة عمليات شركة بان أمريكان للطيران فى هذه المناطق، وأن الخدمة المقترحة تعتبر ذات أهمية قصوى للاتصال بنقل المعدات الحربية الأساسية إلى كراتشى، وفى طيران طائرات النقل، وعودة الملاحين الجويين..

وانطلاقا من ترتيبات متفق عليها مع وزارة الحربية الأمريكية ، فأن شركة بان أمريكان للطيران سوف تشغل رحلات جوية من الخرطوم إلى كراتشي لنقل معدات عسكرية وأشخاص عسكريين. وفى الحالات التى يكون فيها الفضاء مهيأ، وعلى أية حال . وبعد إتمام عملية نقل المعدات الحربية الأساسية ، فأنه من المرغوب فيه أن يسمح للطائرات بنقل أى مسافرين غير رسميين تكون سفرياتهم معينة كضرورة ملحة يقررها ممثلو الولايات المتحدة فى المنطقة ..

وفى عرض هذا الموضوع على حكومة الهند ، أبلغت بأن أوضح التأكيدات الكبيرة على أهمية هذه الخدمة ــ المهمة ــ الجديدة للدفاع عن الهند (١٦) .

وأمام المرفق الثالث برسالة ميريل Merrell فجاء موجها من السكرتير المقيم لحكومة الهند إلى المستر ميريل ، بأن ورد له تقرير من وكيل صاحب الجلالة البريطانية السياسى فى مسقط يتعلق بنتيجة مباحثاته ومراسلاته مع صاحب العظمة السلطان ، وأنا أقرر الوضع المناسب لمعلوماتك ..

وافق صاحب العظمة السلطان بأن يمنح حكومة الولايات المتحدة تسهيلات للقوات الجوية التابعة لجيش الولايات المتحدة مشابهة لتلك التسهيلات الممنوحة حاليا للحكومة البريطانية ، وتشمل بالتحديد استخدام المطارات فى أراضي مسقط بواسطة الطائرات العاملة ضمن خدمات جيش الولايات المتحدة ، والإذن بانشاء مبانى فى «صلالة» و«مصيرة» و«رأس الحد» (وتشمل خورجاراما Jarama) وعمل محطات نزول لأسراب الطائرات فى تلك الأماكن . ومنح الأذن أيضا بنزول أقل عدد ممكن من الأشخاص اللازمين لتشغيل وصيانة هذه الطائرات ، وانشاء وتشغيل محطات لاسلكى وأرصاد جوية ضرورية لسلاح الجو التابع للولايات المتحدة لتدعيم مثل هذه الخدمات القائمة آنذاك والعاملة بواسطة سلاح الجو الملكى

---

(١٦) U.S. Documents. Enclosure 2. The American Officer in Charge at New Delhi (Merrell) to the Joint Secretary the Government of India in the External Affairs Department (Weightman). No. 20. New Delhi. July 8. 1942.

البريطانى Royal Air Force والاتفاقات (الامتيازات) الممنوحة من قبل صاحب العظمة تشمل أكثر من ذلك بأعفاء الرسوم الجمركية كل من البترول وزيوت التشحيم اللازمة لطائرات سلاح الجو التابع للولايات المتحدة الأمريكية، وأيضا للامدادات، التى يتم تخزينها، والصالحة التى ترد إلى أراضى مقسط واللازمة لتشغيل هذه الطائرات.

وقد قرن السلطان تحقيق هذه التسهيلات بشروط معينة وهى كما جاءت فى كلماته:

١ــ يشترط أن توضح الأمور لنا مثل: على من تقع المسئولية ومن يجيب على أى سؤال يثار بخصوص تصرف الأشخاص الأمريكيين... الخ

٢ــ الإقرار ببيع الآتى للسلطنة اعترافاً بما قدمته بمنح هذه التسهيلات:

(أ) ٢٠٠ بندقية و ٢٠٠,٠٠٠ صندوق من الذخيرة.

(ب) ٢ مدفع ماكينة بقطع غيار وذخيرة كافية.

(جـ) ٢ مدفع يدوى بقطع غياره وذخيرة كافية.

(د) ٢ سيارة حجم متوسط والتى تستخدم بواسطة العسكريين.

(هـ) بعض المهمات الطبية كما يقدرها أصدقاؤنا بالحكومة البريطانية.

٣ــ التعهد بدفع تعويض عن أية أضرار يتسبب فيها الموظفون الأمريكيون أوالطائرات وتصيب ممتلكاتنا، أوالأشخاص أوممتلكات رعايانا.

٤ــ التعهد بأن الموظفين الأمريكيين يقبلون ويلتزمون بكل قوانيننا وأحكامنا المحلية كما هى أوما يتم وضعه فى تصرفاتهم خاصة تلك التى تتصل بتعيين الحراس لمعسكراتهم أولاشخاصهم.

٥ــ والتعهد بأن حراس المعسكرات الأمريكية وحراس الأشخاص الذين نمدهم نحن بهم يجب أن يقبلوا وأن تدفع لهم رواتب.

ومن المحتمل أن أجد مناسبا إضافة بعض الإيضاحات حول هذه الشروط فى ضوء الخبرة التى اكتسبتها حكومة الهند فى علاقاتها مع سلطان مسقط..

بالنسبة للشرط (أ) فأن الحقيقة المؤسفة أن شكوك السلطان المتوارثة فى الأجانب قد تدعمت بتصرفات معينه جعلت صاحب العظمة يعترض على هيئة موظفى شركات بان أمريكان للطيران الذين كانوا لفترة ما فى «صلالة» تحت إشراف وإدارة غير كافيين. و ينصح الوكيل السياسى بأن صاحب العظمة يتمسك بالأهمية العظمى لهذا الشرط، وأنه من الضرورى أرضاءه تماما بالالتزام بهذا الشرط. وأن حكومة الهند ستكون سعيدة أن تقدم مساعدتها فى هذا الأمر، وأنه إذا رغبت حكومة الولايات المتحدة، فأنهم سيكونون مستعدين لإعطاء تأكيد للسلطان بأن وكيلهم السياسى ومساعد الوكيل السياسى فى مسقط سوف يمثلان سلاح الجو التابع للولايات المتحدة، تمام بنفس الدرجة التى يمثلان بها سلاح الجو الملكى البريطانى فى علاقاتهم بالسلطان..

والشرط رقم (٢) يتفق مع العادات المألوفة للحكام العرب عند اعطاء تسهيلات فى أقطارهم لقوى أجنبية، وأن حكومة الهند لا تشك أن حكومة الولايات المتحدة سوف تقتنع بمطالب صاحب العظمة السلطان. وإذا أرادت حكومتك ورغبت فى تلقى مقترحات حول نوع وكمية الإمدادات الطبية التى تكون مقبولة لدى السلطان فأن حكومة الهند ستكون مستعدة تماما لكى تحصل على تقرير من الوكيل السياسى وفى ضوء الظروف والأحوال المحلية. ويمكن الإضافة هنا أنه بالنسبة لتأكيدات الوكيل السياسى فأن الإمدادات بالأسلحة وبسيارات النقل، والمهمات الطبية، تلك التى طلبها السلطان يمكن أن تتطلب بعض التأجيل، وأن السلطان أبلغه بأنه لا يعتبر أمدادهم بأى حال من الأحوال كشرط مسبق لإعطاء التسهيلات المطلوبة.

والشروط رقم ٣، ٤، ٥ لم تؤخذ كأسباب تؤدى إلى مصاعب خاصة، أن رجال سلاح الجو الملكى البريطانى قد قبلوا قوانين محلية معينة فى سلوكهم فى أراضى مسقط وبالنسبة لمسألة تعيين الحراس للمعسكرات والأشخاص فهذه لم تكن باهظة من الناحية العملية كما أن هناك أوامر صارمة بالنسبة لأفراد السلاح الجوى الملكى البريطانى الموجودين فى مطارات جنوب الجزيرة العربية فى أراضى مسقط.

وبالنسبة للشرط الخامس أن الوكيل السياسى فى مسقط سوف يعطى تعليمات لاستخدام نفوذه لضمان ألا يلجأ السلطان إلى مطالب غير معقولة فيما يتصل بعدد الحراس المحليين الذين يطلب استخدامهم أوبالنسبة للأموال التى ستعطى لهم ..

ويطلب السكرتير المقيم معرفة إذا كانت شروط صاحب العظمة السلطان مقبولة لدى حكومة الولايات المتحدة من عدمه ، فأذا كان الأمر كذلك مطلوب التوقيع على اتفاق مع السلطان فيجب إخطار الوكيل السياسى البريطانى بمسقط حتى يخبر السلطان بذلك (١٧).

وجاءت خاتمة الموضوع ـ موضوع التسهيلات الجوية العسكرية الأمريكية بأراضى مسقط ـ فى رسالة برقية بعث بها وزير الخارجية الأمريكية إلى المستر «ميريل» وجاء فيها : لقد ابلغت وزارة الحربية وزارة الخارجية بأنها سوف ترد على الشروط العديدة التى فرضها سلطان عمان كما جاءت فى المرفق رقم (٣) فى الرسالة المشار إليها ، وفيما يختص بالشرط الأول تقرر وزارة الحربية بأن البريجادير جنرال فيتزجرالد القائد العام لجناح أفريقيا والشرق الأوسط ، وقائد النقل الجوى بجيش الولايات المتحدة الأمريكية ، مع أركان حربه فى أكرا وساحل الذهب البريطانية هو الشخص الذى يمكنه الأجابة على أية أسئلة تتصل بتصرفات الأشخاص الأمريكيين. وعلى أى حال فإذا رغب السلطان فى وجود شخص أوقريب من أرض عمان فأن وزير الحربية سوف يطلب من فيتزجرالد تعيين ضابط له صلاحية من قيادته ..

وبالنسبة للشرط الثانى، تقرر وزارة الحربية ، أنها فى مركز يسمح لها بتقديم وتسليم الامدادات العسكرية للسلطان خلال الفترة زمنية معقولة . وأن على حكومة الهند ـ أن يطلب منها ـ لتعيين نوع وكمية المهمات الطبية

---

(١٧) U.S. Docment. Enclosure 3. The Joint Secretary to the Government of India in the External Affairs Department (Weightman) to the American Officer in Charge at New Delhi (Merell). No. 7195-X142. New Delhi. 21 August. 1942.

لتقديمها. وتعتبر وزارة الحربية الشرط الثالث تماما وتقرر أن الشرطين الرابع والخامس مقبولين مع المحافظة على الأوامر الحكمية الصارمة فيا يتصل بالنقاط التي يعسكر فيها الامريكيون، ومن ثم فأنها إذا فسرت بطريقة معقولة فأن تكون هناك عقبات فى الوقت الحاضر.

وفى ضوء ما سبق فأن على البعثة أن تطلب من حكومة الهند لتوجيه وكيلها السياسى فى مسقط فى أن ينقل عن هذه الحكومة ــ الأمريكية ــ التأكيدات أو الضمانات الضرورية للسلطان (١٨).

وعند هذا الحد توقفت الوثائق الأمريكية، بقبول السلطات الأمريكية لشروط سلطان مسقط وعمان ازاء منح تسهيلات جوية فى أراضى السلطنة للطائرات الأمريكية خلال المعارك العالمية الثانية، واستعانة المسئولين الأمريكيين بزملائهم البريطانيين فى الهند من أجل اعطاء السلطان الضمانات التى طلبها..

ومن الجدير بالذكر أن المناطق التى كانت مثار مفاوضات بين الطرفين من أجل التسهيلات الجوية للطائرات الأمريكية بأراضى سلطنة مسقط وعمان وتركزت على الساحل العمانى المطل على البحر العربى مثل سلالة (أو زلالة أوصلالة وهو الأسم الغالب) وجزيرة مصيرة، وخوريجاراما (أوجرما) ومثل رأس الحد عند مدخل خليج عمان..

ثالثا: السلطان قابوس بن سعيد

قاد قابوس بن سعيد حركة تصحيحيه فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ليخلف والده على عرش السلطنة بعد أن وجد البلاد تعيش فى عزله وسط صراعات بين الداخل والساحل، وجاء جلوسه على عرش السلطنة بداية عهد جديد للإنسان العمانى محوره ومحط اهتمامه، ومن ثم وضع خطة للنهوض بالبلاد داخليا وخارجيا فى المجالات الآتية :ــ

أولا : مجال الخدمات.

---

(١٨) U.S. Documents. The Secretary of State to the Officer in Charge at New Delhi (Merrell). Washington. November 4, 1942. 6 P.M. No. 811. 248/720: Telegram.

ثانيا : مجال الأنتاج .
ثالثا : مجال العلاقات الخارجية .

ولكى ندرك ماقام به السلطان قابوس بن سعيد من جهود للنهوض بالسلطنة ووضعها فى مصاف الدول العصرية ، لابد أن نناقش هذه المجالات التى احتوتها خطته ..

مجال الخدمات :

كان الإنسان العمانى محط أهتمام السلطان قابوس ولذلك وضعت الخطط والسياسات من أجل بناء الوطن العمانى المؤمن بربه والمنتمى لوطنه والمنتج والعامل فأهتم بالتعليم الحديث على النسق العالمى ، التعليم الذى يعد المواطن الصالح المواطن القادر على العمل والإنتاج المواطن القادر على التفاعل مع أبناء وطنه ومع العالم ، المواطن الذى تفخر به الدولة وتعتز به ، وكانت صيحة السلطان قابوس يوم ٩ أغسطس ١٩٧٠م دليلا على وعيه بأهمية التعليم ، فقد قال « أن تعليم شعبنا وتدريبه يجب أن يبدأ فى أسرع وقت ممكن ..

وهذه العبارة الموجزة تدل دلالة واضحة على أن التعليم الحديث كان مهملا ولم يجد له مجال ، حيث أن قوله يجب أن يبدأ تدل على أنه لم يكن هناك تعليم قبل الحركة التصحيحية وكما تذكر المدارس ، فأن السلطان قابوس تسلم الحكم وفى البلاد ثلاث مدارس فقط تضم ٢٤ فصلا دراسيا ، وبلغ من اهتمامه بالتعليم أنه ضاعف أعداد المتعلمين خلال الخمس سنوات من حكمه ٥٤ مرة ، ولعلنا اليوم نجد التضاعف يزداد ..

ولم تكن سياسة قابوس التعليمية قاصرة على الحكم : أعداد المدارس وأعداد التلاميذ وأعداد الفصول ، بل تعدت ذلك إلى الاهتمام بالكيف ، من حيث أعداد المناهج المتطورة التى تحقق الأهداف الوطنية المرجوة والوسائل التعليمية وأنظمة الامتحانات والريادة والأشراف العلمى والنفسى والاجتماعى ، وارسال البعثات إلى الخارج وعقد اتفاقيات مع الأقطار العربية الشقيقة من أجل التعاون الثقافى والعلمى بما يخدم المواطن العمانى كما وجدت الفتاة العمانية فرصتها للتعليم التى حرمت منها فى الماضى فى

كل المجالات فقد تدفقت الفتيات بأعداد كبيرة منذ البداية على المدارس يطلبن الحصول على حقهن فى التعليم ..

وكانت تطلعات السلطان قابوس فى أعداد المواطن العمانى على أرض عمان وبخبرة عمانية دافعا لانشاء جامعة قابوس، تلك الجامعة الفنية التى خطط لها أحسن تخطيط على المستوى العالمى، حيث احتوى التخطيط على اعداد المبانى اللازمة والكوادر العلمية المؤهلة للقيام بعملية التعليم فى كليات الجامعة قبل افتتاح الجامعة واستقبال الطلاب، ومن هنا لم تبن الجامعة بطريقة عشوائية ارتجالية وانما أسست على خطة علمية مدروسة.

وقد شجعت سياسة السلطان قابوس التعليمية الشباب العمانى على الالتحاق بجامعتهم فى تخصصاتهم المختلفة وانتضمت الفتيات إلى جانب الفتيان فى قاعات الدراسة وحظيت الجامعة بوجود أساتذة متخصصين على مستوى عالى من أبناء السلطنة ومن أبناء الأقطار العربية الشقيقة ومن دول العالم المتقدمة فى أوروبا وأمريكا.

وانطوت سياسة السلطان قابوس فى مجال الخدمات بالنسبة للإنسان العمانى على تحقيق حكمة «العقل السليم فى الجسم السليم» بانشاء المستشفيات والمراكز الصحية ووسائل العلاج الحديثة فى كل مكان بالسلطنة بعد أن كانت البلاد محرومة من هذه الخدمات وأصبح شعار السلطنة الصحى العلاج لكل مواطن مهما بعد مكانه وموقعه باعتبار الإنسان العمانى أساس التقدم والرخاء، ومن ثم تعددت الأنشطة الصحية المقدمة للمواطن من مستشفيات ومستوصفات واسعاف وخدمات صحية فى القرية والمدينة وفى المدرسة وفى المصنع وحيثما يتواجد الإنسان العمانى ..

وفى مجال الخدمات أيضا قامت سياسة السلطان قابوس على تنمية الموارد البشرية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية استنادا إلى ما ذكره: لا يمكننا ونحن نمارس مسئولية بناء قطر مترامى واسع الأرجاء خرج من عزلته إلا أن نجند أنفسنا ونشمر عن ساعد العمل كل فى موقعه وبكل ما وهبه الله من طاقة يدفع البناء عاليا، لتكون دعامة ثابتة راسخة، إننا دائما نفكر وندرس ونخطط ثم نعمل ونراقب ونرى النتائج ..

وتأسيسا على ذلك وضعت خطة التنمية الاجتماعية تهدف إلى تنمية القوى العاملة بالبلاد والوصول إلى استخدام الأمثل لها ووضع برنامج شامل متعدد الأهداف لتنمية المجتمعات المحلية بسائر أنحاء السلطنة فى ضوء الفهم الكامل للقوى الأقتصادية والاجتماعية فى البلاد..

وفى هذا الإطار صدرت التشريعات التى تستهدف حماية المواطن العمانى وتحقيق التنمية للمجتمع عن طريق إعداد الكوادر الفنية اللازمة لمجالات العمل وافساح المجال أمام الشباب لممارسة مختلف أوجه النشاط الرياضى والاجتماعى والثقافى بافتتاح الأندية الرياضية والمؤسسات الثقافية والاجتماعية وانشاء وحدات للشئون الاجتماعية والشباب وملاعب الصالحة ليمارس فيها الشباب أنشطتهم الرياضية المتنوعة إلى جانب إنشاء مبانى لجمعية المرأة العمانية لتتمكن من المساهمة والمشاركة فى نشاط الحركة النسائية بعمان.

وفى نفس الاطار الاجتماعى أقامت وزارة الشئون الاجتماعية مظلة من الرعاية الاجتماعية للأسر المحتاجة، وأنشئت وحدات للشئون الاجتماعية فى العاصمة مسقط والمدن الداخلية والساحلية بالسلطنة قدمت مساعدات لكل ذى حاجة إيمانا من الحكومة بالمحافظة على كرامة الإنسان العمانى والترابط الأسرى فى أطار التقاليد العربية الموروثة..

مجال الانتاج

من المعروف أن انتاج بلد ما هو حصيلة جهد الإنسان مع مكونات بيئته، وحيث حرم الإنسان العمانى فى الماضى من أن يتفاعل بجدية وبمساعدة من الحكومة، فقد وضعت حكومة السلطان قابوس نصب أعينها اتاحة كل الرفص لكى يمارس الإنسان العمانى دوره فى زيادة دخل بلده عن طريق الإنتاج الزراعى، والصناعى، والتجارى،و والبترول وما إليها من ألوان الإنتاج التى تعود عليه وعلى بلده بالخير.

وقامت سياسة حكومة السلطان قابوس على تشجيع الزراعة بانشاء وزارة للزراعة قامت باتخاذ كافة السبل لزيادة الإنتاج الزراعى فى المجالات.

الزراعية المتاحة عند حدوث الحركة التصحيحية . وتوسيع رقعة الأرض بهدف زيادة الإنتاج من المحاصيل المألوفة ، وإدخال أنواع جديدة من المحاصيل ، وذلك عن طريق التوسع الرأسى والتوسع الأفقى بحيث تزيد المساحة المنزوعة عن ٩٠ ألف فدان وتزيد غلتها عما هى عليه .

وحيث تمتد الشواطىء العمانية ١٧٠٠ كيلو متر اهتمت حكومة السلطان قابوس بتشجيع عملية صيد الأسماك وتوفيره للسوق المحلى وللتصدير ، وقد استعانت الحكومة بالخبرة المحلية والخبرة العالمية فى هذا المجال ، وخاصة لأقامة مصانع لتعليب الأسماك وصناعة السفن إلى جانب تشجيع الصيادين ورعايتهم .

وحيث تمثل الثروة الحيوانية فى السلطنة احدى الركائز الأساسية للأنتاج الزراعى فان حكومة السلطان قابوس اهتمت بتنمية الثروة الحيوانية فى السلطنة من حيوانات وطيور لتحقيق الأكتفاء الذاتى والحد من الاستيراد من الخارج . وذلك بتشجيع المواطنين على تربية الحيوان والدواجن وإقامة مصانع للعلف ومصانع لاستغلال جلود الحيوان ، وتهتم بصحة الثروة الحيوانية بتقديم الخدمات الصحية البيطرية .

ويمثل النفط مصدرا مهما من مصادرالدخل فى السلطنة ، وقد تم اكتشاف النفط وبكميات تجارية فى عام ١٩٦٤م بعد عمليات تنقيب شاقة منذ عام ١٩٦٢م ، ومنذ عام ١٩٦٧م بدأ استغلال النفط اقتصاديا ، وفى عهد السلطان قابوس شهد مجال النفط دفعة جديدة باكتشاف حقول جديدة فى وسط السلطنة وجنوبها ، وتعدد شركات التنقيب عن البترول فالى جانب شركة تنمية نفط عمان ، شاركت كل من شركة صن أو يل عمان الأمريكية Sun وشركة ألف عمان الفرنسية وشركة ألف سميتومو الفرنسية اليابانية ، وكلها تعمل من خلال اتفاقيات تراعى مصالح السلطنة بما يحقق نسبة أكبر فى عائدات النفط .

وشهدت السلطنة فى عهد السلطان قابوس نشاطا واضحا فى البحث عن المعادن فى أنحاء السلطنة ، وقد تم اكتشاف معدن النحاس منذ عام ١٩٧٣م ، ومعدن الاسبستوس الذى يستفاد منه فى صناعة الأسمنت فى

منطقة جبيبى غرب صحم، كما دلت عمليات التنقيب على اكتشاف معدن الحديد والنيكل والفحم والكروم والمنجنيز فى مناطق مختلفة.

وكانت الصناعة من المجالات التى شهدت تطورا فى عهد السلطان قابوس، إذ كانت الصناعات القائمة فى البلاد قبل عام ١٩٧٠م هى الصناعات التقليدية وفى العهد الجديد بدأت السياسة الصناعية فى اتجاهين الأول المحافظة على الحرف التقليدية وتطوير الصناعات المهنية الصغيرة عن طريق استبدال الآلات المستخدمة بآلات مبسطة حديثة وتدريب الحرفيين على استعمالها وتسويق منتجاتهم بما يضمن زيادة دخولهم ورفع مستوى معيشتهم ودعم حرفهم.

وكان الاتجاه الثانى للسياسة الصناعية يقوم على إنشاء صناعات جديدة ذات مستوى عالمى فبدأ العمل عام ١٩٧٤م فى إنشاء مصنع الأسمنت وإنشاء صناعات عديدة مستخرجة من النفط والغاز الطبيعى وكثير من الصناعات الأخرى التى تحتاجها البلاد والقيام بمشروعات الكهرباء والمياه، بإنشاء محطات للكهرباء لاستخدامها فى الصناعة وفى الإنارة وإنشاء محطات لتحلية مياه البحر.

واهتمت حكومة السلطان قابوس بالتجارة الداخلية والخارجية، إذ تعمل وزارة التجارة والصناعة على تشجيع وتنمية النشاط التجارى بالبلاد وتخطيط السياسات والأنظمة من أجل استقرار المعاملات التجارية وتنظيم اجراءات التصدير والاستيراد لتوفير المواد الرئيسية واستقرار أسعارها، ويقوم ميناء قابوس بدور كبير فى تنشيط الحركة التجارية بين السلطنة والعالم الخارجى، كما تقوم غرفة التجارة والصناعة التى تأسست عام ١٩٧٣م بدور كبير فى تنظيم وتنشيط التطور التجارى والصناعى بالبلاد.

ولخدمة النشاط الأقتصادى بالبلاد فقد شهدت حركة المواصلات تطورا كبيرا فى عهد السلطان قابوس، إذ أخذت حركة شق الطرق ورصفها تعمل على ربط كافة أنحاء السلطنة بعضها ببعض من أجل تنفيذ خطة التنمية والتطور والبناء فى كافة أنحاء البلاد بعد أن كانت محرومة من الطرق المرصوفة قبل عام ١٩٧٠م، وبالتالى كثرت حركة النقل البرى على هذه

الطرق بما يربط بين مدن السلطنة وبينها وبين الأقطار العربية الشقيقة المجاورة كدولة الأمارات العربية المتحدة.

ومنذ افتتاح مطار السيب الدولي عام ١٩٧٣ زادت حركة النقل الجوى، خاصة مع سياسة الانفتاح على العالم التى اختطها السلطان قابوس بعد العزلة التى كانت مفروضة على البلاد قبل عام ١٩٧٠م وصار مطار السيب يستقبل أضخم الطائرات الحديثة مثل طائرات الجامبو والكونكورد.

هذه صورة مختصرة عن انجازات سلطنة عمان فى عهد السلطان قابوس، مقارنة بما عاشته البلاد قبل عام ١٩٧٠م وهى مقارنة توضح مكانة عمان بين دول العالم المتحضر..



■ الفصل التاسع ■

إيران ــ العراق ــ الكويت

ــ مقدمــة

ــ الحرب العراقية الإيرانية .

- مقدمــة .
- العلاقات العراقية الإيرانية .
- الحــرب .

ــ ادعاء الصهيونية بحق اليهود التاريخى فى فلسطين :

- تاريخ اليهود .
- زعم شعب الله المختار.
- زعم الحق التاريخى .

ــ ادعاء نظام الحكم فى العراق بالحق التاريخى فى الكويت :

- العراق والكويت .
- مواقف دول العالم .
- المقارنة .
- الدروس المستفادة .

▪ مقدمــة ▪

الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.. لقد كان غزو العراقى للكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠م وادعاء نظام الحكم فى العراق بالحق التاريخى للعراق فى الكويت دافعا لنا للبحث عن أصل هذا الادعاء.. هل هناك فى السياسة حق تاريخى لدولة ما على دولة أخرى أوعلى جزء منها؟ وهل كانت الكويت فى وقت من الأوقات جزء من العراق؟.

ولقد أثار الإدعاء العراقى اهتمامنا واشفاقنا فى نفس الوقت لأننا منذ أكثر من سبعين عاما ومنذ صدر تصريح اللورد بلفور Balfour وزير الخارجية البريطانية فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م بما نصه:

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أوالوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلاد الأخرى» (١).

نقول أننا منذ أكثر من سبعين سنة ونحن كعرب ومسلمين نعارض فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين القائمة على حق اليهود التاريخى وعلى أن

---

(١) نجيب صدقة: قضية فلسطين ص٤٧.

اليهود شعب الله المختار احفاد سليمان الحكيم ملك أورشليم .. ونكون متناقضين مع أنفسنا اذا فعلنا ذلك . فنحن نعتبر الحركة الصهيونية حركة معادية للإسلام فلماذا نعتبر موقف صدام حسين فى الكويت ؟

هذه التساؤلات هى التى دفعتنا إلى البحث الذى نتقدم به لمقارنة ادعاء الحركة الصهيونية بحق اليهود التاريخى فى فلسطين وادعاء حكام العراق بحقهم التاريخى فى الكويت حيث أن هذه الحق التاريخى استخدامها بعض الشعوب والدول فى عصور تاريخية مختلفة ، ولكنها كانت تلحقها فى كثير من الأحيان الفشل لأنها كانت تؤدى إلى عدم الإستقرار فى العلاقات الدولية بل تؤدى إلى الحرب والدمار الذى يصيب العمران والتقدم الحضارى .

وفى الصباح الباكر من يوم الخميس ١١ المحرم ١٤١١ هـ الموافق ٢ أغسطس عام ١٩٩٠ م اجتاحت القوات العراقية المسلحة أرض الكويت الدولة العربية المستقلة دون سابق إنذار ، ففر الكويتيون بأرواحهم وأعراضهم قاصدين أرض المملكة العربية السعودية وبعض الأقطار العربية الشقيقة الأخرى ، ومن لم يستطع منهم الفرار تعرض للتقتيل أو التعذيب أو الإغتصاب .

ولكى يبرر نظام حكم صدام حسين فى العراق ما فعله بالكويت أعلن أنه :

أولا : جاء لتأديب أهل الكويت الذين سرقوا بترول العراق عن طريق استخراج البترول بكميات كبيرة من حقل الرميلة المجاور للحدود العراقية مما أدى إلى سحب إذا كان يمكن لو كان الإدعاء صحيحا الحصول على تعويض عن طريق التفاهم مع الكويت وليس عن طريق الغزو وبقوات عسكرية كبيرة .

ثانيا : وعندما وجد ضعف الإدعاء الأول والذى لو كان صحيحاً لخرج من أرض الكويت بقواته بعد أن سرقت قوات العراق كل ما كان على أرض الكويت من أموال فى البنوك ومشغولات ذهبية وآلات وسيارات وغيرها من المحلات وأعلن ادعاءاً آخر بأن هناك انقلابا عسكريا قام به الثوار الكويتيون ضد آل صباح ، وأن هؤلاء الثوار

استنجدوا به لتقوية مركزهم هناك ، وأنه استجاب لهذا الطلب فأرسل قواته المسلحة لنجدة ثوار الكويت .

ثالثا : وعندما أعلنت المعارضة الكويتية وقفتها الوطنية ضد الأجتياح العراقى وأنها تقف مع كل الشعب الكويتى وحكام الكويت الشرعيين من آل صباح لإخراج القوات العراقية الغازية من أرض الكويت أعلن صدام حسين تبريراً آخر قال فيه إن الحكم الجديد فى الكويت ــ والذى اختاره هوــ طلب الوحدة مع العراق لينضم كما قال الفرع إلى الأصل فى وحدة قوية غنية .

رابعا : وعندما لم ينطلِ هذا الأدعاء على أبناء الكويت وأبناء الأمة العربية على امتدادها من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى ، ولا على دول العالم فى الشرق والغرب على السواء اخترع دعوى شيطانية أسمها الحق التاريخى للعراق فى الكويت وراح زبانيته داخل العراق وخارجه يروجون لهذه الدعوى .

- فهل كان للعراق فى عصور التاريخ المختلفة سيطرة على الكويت ؟
- وهل فكرة الحق التاريخى مبرر لاجتياح الدول والسيطرة عليها ؟
- وماموقف دول العالم من فكرة الحق التاريخى على مستوى العالم ؟
- وهل تم تطبيق فكرة الحق التاريخى فى أى جزء من أجزاء العالم ؟
- وما موقفنا نحن كعرب من ادعاء الصهيونية بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين ؟
- وماذا يكون موقفنا من ادعاء صدام ونحن نستنكر ادعاء الصهيونية ؟

هذه مقدمة سقتها لأناقش هذه القضية الهامة التى واجهت الأمة العربية بل والأمة الإسلامية بل ودول العالم قاطبة فى وقت كان التضامن العربى والإسلامى فى أفضل ظروفه أمام النظام العالمى الجديد القائم على نبذ الشيوعية والإتجاه للديموقراطية إلى جانب اتجاه دول الجماعة الأوروبية إلى الوحدة السياسية بعد أن تحققت وحدتها الأقتصادية .

ومن خلال المناقشة أقارن بين ما ادعته الصهيونية ومافعلته فى فلسطين وبين ما ادعاه صدام حسين ومافعله بالكويت.

ونعالج أيضا موضوع الحرب العراقية الإيرانية من حيث العلاقات بين إيران والعراق عبر التاريخ والثورة الإيرانية والحرب بين الطرفين، حيث كان هناك ارتباط بين نتائج هذه الحرب واجتياح القوات العراقية لأرض الكويت.

الحرب العراقية الإيرانية

■ **مقدمـــــة:**

الحرب العراقية الإيرانية تظل معينا لا ينضب من البحث حول أسباب حدوثها وكيفية حدوثها والعناصر المشاركة فيها بطريقة مباشرة أوغير مباشرة، والمواقف المتعددة للقوى المحلية والعالمية..

فالحرب العراقية الإيرانية حرب بين دولتين إسلاميتين وهو أمر مؤسف، فبدلا من التجمع الإسلامى كما يدعو القرآن الكريم فى قوله: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» صدق الله العظيم. نجد هذه الحرب تسفك فيها دماء المسلمين بسلاح إسرائيلى وأمريكى وفرنسى وسوفيتى وصينى بصفة خاصة.

والحرب بين المسلمين تستدعى إذا كان موقف إسلامى حقيقى ــ بذل الجهود للمصالحة بين الطرفين المتحاربين تطبيقاً لقول الله سبحانه وتعالى: «**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما**» **صدق الله العظيم.**

والحرب العراقية الإيرانية حرب بين قوميتين قومية عربية تمثلها العراق وقومية فارسية تمثلها إيران، فهو صدام يرتكز على الخلاف العرقى بين الطرفين ومن هنا شاركت فى هذه الحرب دول أخرى عربية تؤيد العراق انطلاقا من الارتباط القومى واستنادا إلى ميثاق الدفاع العربى المشترك، ودول أخرى لها مصالح مع إيران سواء كانت عربية أو كانت معادية

للعروبة مثل إسرائيل وغيرها من الدول التى تستفيد من بيع الأسلحة كالصين..

والحرب العراقية الإيرانية حرب بين دولتين متجاورتين وفى منطقة تتمتع بميزات استراتيجية واقتصادية هى منطقة الخليج العربى، فالجوار بين العراق وإيران قديم قدم الوجود لهذين القطرين، وخلال مراحل التاريخ كان هناك صراع بين الحكم فى العراق والحكم فى فارس سواء كان قبل الإسلام أوحتى بعد دخول الإسلام لتلك البلاد.

ذلك أنه تكون فى فارس عام ١٥٠٠م أول دولة إسلامية مذهبها الدينى الرسمى هو المذهب الشيعى، وهى الدولة الصفوية تمد نفوذها من تبريز ـ عاصمة فارس ـ إلى العراق عام ١٥٠٨م، ثم حاولت الأستمرار فى مد هذا النفوذ إلى الأناضول والشام مما دفع الدولة العثمانية إلى الزحف شرقا بالاستيلاء على العراق والشام ومصر، ومن هنا دخلت فى صراع ـ وهى الدولة السنية المذهب ـ مع الدولة الصفوية الشيعية المذهب.

وبجانب ماذكرنا فإن العراق المستقل ـ بعد انتهاء الحكم العثمانى ـ بعد الحرب العالمية الأولى قد ورث الصراع مع فارس، واستمر هذا الصراع الذى لم تكن مشكلة تحديد الحدود بين العراق وإيران هى وحدها محك الصراع بين الطرفين وإنما كانت هناك عوامل أخرى قومية ومذهبية وسياسية ساهمت فى استمرار الصراع حتى اليوم.

والعراق دولة على رأس الخليج العربى، وإيران تقع على الخليج العربى الشمالى والجنوبى أى من رأسه حتى مدخله عند مضيق هرمز الذى يربطه بالمحيط الهندى عبر بحر عمان أوخليج عمان وهذه المنطقة تمثل مصدرا اقتصاديا عالميا بسبب توفر احتياطى هائل من البترول فى كل أقطار الخليج: إيران، العراق، الكويت، المملكة العربية السعودية، البحرين، قطر، دولة الإمارات العربية المتحدة، سلطنة عمان.

ونتيجة لهذه الثروة البترولية فى منطقة الخليج العربى، اهتمت القوى العالمية بأن يكون لها نفوذ فى المنطقة، وبدأت الخطط توضع من جانب الدول الكبرى بصفة خاصة بأن تكون لها تواجد مباشر أو غيرمباشر،

والتاريخ يعطينا الأمثلة على ذلك منذ محاولة البرتغاليين أوائل القرن السادس عشر ثم الهولنديين فالفرنسيين ثم البريطانيين الذين استمر تواجدهم بصفة مطلقة منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٧١م عندما بدأت تظهر أقطار الخليج العربى المستقلة.

والعراق وإيران موضع اهتمام استراتيجى بين القوتين الكبيرتين الحاليتين الاتحاد السوفييتى ــ وله حدود مشتركة مع إيران ــ والولايات المتحدة الأمريكية ولها استثمارات بترولية وتجارية هائلة ومصالح استراتيجية حيوية فى المنطقة، ومن ثم وجدنا مغازلة كل من القوتين لطرفى الحرب العراق وإيران.

فالعراق يحصل على معظم أسلحته من الاتحاد السوفييتى، كما يحصل على أسلحة أمريكية أيضاً وتعاطف سياسى خاصة بالنسبة لقرار رقم ٥٩٨ الصادر عن مجلس الأمن الخاص بالدعوة لوقف إطلاق النار بين البلدين، وإيران تحصل على أسلحة أمريكية إما عن طريق إسرائيل أو عن طريق وسطاء آخرين بعلم الحكومة الأمريكية فيما عرف بفضيحة إيران ــ جيت، كما أنها تحصل على أسلحة سوفييتية، وتحصل على تعاطف سوفييتى تمثل فى رفض الاتحاد السوفييتى فى فرض عقوبات اقتصادية ضد إيران لعدم قبولها قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار.

وهنا تظهر العوامل المرتبطة بالحرب العراقية الإيرانية باعتبارها عوامل عالمية إلى جانب العوامل المحلية باعتبار فهمها وتوضيح دورها مما يلقى الضوء كاملاً ــ إلى جانب الظروف المحلية ــ على الصراع بين الطرفين و يعطى مؤشرات لمسارها الحالى والمستقبل.

العلاقات العراقية الايرانية:

دخلت بلاد فارس فى حظيرة الدولة العربية الإسلامية فى عهد الخليفة أبوبكر الصديق على أنقاض حكم الأكاسرة الوثنيين، وانخرط الفرس بعد ذلك فى الإسلام فى ظل الدولة العربية الإسلامية فى عهود الخلفاء الراشدين عمربن الخطاب وعثمان بن عفان وعلىّ بن أبى طالب، فقد شارك الفرس فى

إسقاط الدولة الأموية التى اعتمدت على العنصر العربى فى تسيير أمورها منذ عام ٤٠ هـ الموافق لعام ٦٦٠م إلى عام ١٣٢هـ الموافق ٧٤٩م.

وفى عهد الدولة العباسية التى أعقبت سقوط الدولة الأموية كان للفرس دور بارز سواء فى قيامها أو فى تسيير أمورها، فكان أبومسلم الخراسانى الرجل الذى أسهم بدور واضح فى قيام الدولة العباسية على أنقاض الخلافة الأموية، ولكن طموحاته دفعت الخليفة العباسى أبوجعفر المنصور إلى التخلص منه ومن رجاله، وكانت أسرة البرامكة سنداً للخليفة هارون الرشيد ومن قبله أبوه الخليفة المهدى، ولكن طموحهم جعل هارون الرشيد يتخلص من بعضهم بالقتل ومن البعض الآخر بالسجن.

وعندما ضعفت الخلافة العباسية فى بغداد أخذت تظهر الدويلات الاسلامية فى بلاد فارس وغيرها من بلاد المشرق الإسلامى، حتى إذا جاء الغزو المغولى من وسط آسيا اجتاح بلاد فارس حتى وصل إلى بغداد فدمرها عام ٦٥٦هـ الموافق لعام ١٢٥٨م حيث فر آخر الخلفاء العباسيين ليعيش فى كنف السلاطين المماليك فى القاهرة.

وفى عام ١٥٠٠م قامت فى فارس دولة صفوية على أنقاض الدولة المغولية على أساس المذهب الشيعى، والدولة الصفوية تنتسب إلى الشيخ صفى الدين صاحب طريقة صوفية فى «أردبيل» بأذربيجان من بين عدة طرق صوفية انتشرت هناك أثناء الاضطراب الذى عم إيران والعراق عقب سقوط دولة المغول الكبرى. وقد أصبح لهذه الحركة قوات عسكرية تتخذ لباساً للرأس عبارة من تاج أحمر ذا إثنى عشر ذؤابة، كناية عن الإثنى عشر إماماً، ولهذا أطلق عليهم العثمانيون أثناء الصدام معهم عام ١٥١٤م صفة «قزل باش» أى الرأس الحمراء(٢).

ورغم انتصار القوات العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول بنفسه على القوات الصفوية بقيادة الشاه إسماعيل الصفوى فى سهل «جالديران» عام ١٥١٤م ودخول السلطان سليم الأول إلى العاصمة الصفوية «تبريز»

---

(٢) د. محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربى ص ١٠٢.

واستيلائه على أموال وكنوز الشاه ونسائه فإن هذا الانتصار لم ينه العداء بين الفريقين، بل استمر طويلاً وكان العراق ــ الذى خضع للصفويين منذ عام ١٥٠٨م ــ ميداناً للصراع والمعارك بين الطرفين، مما جعل العراق موزعاً توزيعاً يكاد يكون متوارثاً بين السنة والشيعة(٣).

ورغم حملة السلطان سليم الأول عام ١٥١٤م المشار إليها آنفاً لم يخضع العراق كله للحكم العثمانى، بل خضع شماله فقط فى الموصل وديار بكر، وحتى فى هذه المناطق لم يكن الحكم العثمانى مستقراً كل الإستقرار، أما العراق الأوسط والجنوبى فقد ظل فى يد الفرس(٤). وكان هذا الانقسام من أسباب استمرار الصراع بين الأتراك العثمانيين وبين الفرس الصفويين.

وفى عام ١٥٣٣م قاد السلطان سليمان المشرع (القانونى) حملة عسكرية استولى بها على بغداد، وانضمت مدينة البصرة آنذاك إلى العثمانيين طواعية، بذلك أصبح العراق كله تقريباً خاضعاً للدولة العثمانية حتى عام ١٦٣٣م. عندما أعاد الصفويين الكرة واستولوا عليه وبقوا به لمدة خمسة سنوات، إلى أن قاد السلطان العثمانى مراد حملة عسكرية فى ١٦٣٨م استولى بها على العراق وأعاده إلى حظيرة الدولة العثمانية(٥).

ولم تكن حملة السلطان العثمانى مراد على العراق آخر مراحل الصراع بين الفرس الصفويين والعثمانيين حول العراق، إذ أنه بعد سقوط حكم الأسرة الصفوية فى فارس على يد نادر شاه عام ١٧٣٣م، حاول هذا الحاكم الجديد الاستيلاء على العراق ولكنه فشل، ثم أعاد الكرة من عام ١٧٤٣ إلى عام ١٧٤٧م عندما توفى نادر شاه، وعقدت بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية معاهدة حددت الحدود التقليدية بين البلدين مع دخول العراق فى حوزة الدولة العثمانية، وبهذه المعاهدة انتهت فترة الصراع الطويلة بين الفرس الشيعة والعثمانيين السنة والتى كان العراق ميدانها.

---

(٣) د. رأفت الشيخ: فى تاريخ العرب الحديث طبعة أولى ١٩٧٥ ص ٩٢.

(٤) د. محمد أنيس ود. رجب حراز: الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ص ٣٨.

(٥) د. رأفت الشيخ: المرجع السابق ص ٦٢.

ومما يجب الإشارة إليه أن مدينة البصرة كان لها وضع خاص، فقد استولى عليها الفرس الصفويون أولاً فى عام ١٦٩٧م، ثم تركوها بعد عامين، ثم أغار عليها نادر شاه عام ١٧٤٣م. ثم ارتد عنها. وكانت البصرة بحكم موقعها على شط العرب على رأس الخليج مصدر اهتمام الدول الأوروبية، وقد استفادت العشائر العربية هناك من هذا الاهتمام إلى جانب استفادتها من الصراع العثمانى الفارسى(٦).

وقد ورث الباشوات المماليك فى العراق العداء مع الفرس، فقد كان العداء عنيفاً بين آخر هؤلاء المماليك وهو داود باشا وبين الفرس انقلب أثره المدمر على الفرس الشيعة المقيمين بالعراق، والمصالح الفارسية بالعراق وتوقف هذا العداء بتوقيع صلح «أرضروم» فى مارس ١٨٢٣م الذى أنهى إجراءات داود باشا ضد الفرس فى العراق وأعاد منطقة كردستان إلى حظيرة الدولة العثمانية(٧).

وكان شاهات فارس لا ينفكون يؤيدون ثورات أكراد شمال العراق، ومن ثم كانت الحرب مستمرة بين حكومة الباشوات فى بغداد وبين الأكراد حتى عقدت معاهدة أرضروم الثانية بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية فى مايو عام ١٨٤٧م وقد نصت على أن تتنازل فارس عن السليمانية ومناطق أخرى مقابل تنازل الدولة العثمانية لفارس عن الساحل الأيسر شط العرب ومناطق أخرى.

وفى عام ١٩١٣م عقد بين فارس والدولة العثمانية بروتوكول تم التوقيع عليه بمدينة إستانبول لتخطيط الحدود بين العراق وفارس، وشاركت كل من بريطانيا والروسيا فى التمهيد لهذا الإتفاق. وقد نص البروتوكول على وصف خط الحدود الفاصل بين البلدين والذى أصبح يمر فى منتصف شط العرب لمسافة أربعة أميال ثم يعود ليسير مع الضفة الشرقية للنهر وحتى عرض البحر (الخليج)؛

---

(٦) د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: دراسات فى النهضة العربية الحديثة ص ٢٣٠.

(٧) د. رأفت الشيخ: المرجع السابق ص ٦٦.

وعندما انتهت السيادة العثمانية رسمياً عن العراق عام ١٩٢١م ورث العراق الإتفاقات الموقعة بين الدولة العثمانية وبين فارس، وفى عام ١٩٣٧م عقدت بين العراق المستقل وإيران معاهدة فى الرابع من شهر يوليو أصبحت نافذة فى العام التالى (١٩٣٨م) بعد أن جرى التصديق عليها فى البلدين، وقد نصت على أن يكون خط الحدود هو الخط الذى رسمه بروتوكول عام ١٩١٣م.

وفى ١٩ أبريل ١٩٦٩م أعلنت إيران عدم الإلتزام بما جاء بمعاهدة عام ١٩٣٧م من جانب واحد وطالبت بتأسيس إدارة مشتركة للملاحة فى شط العرب باعتبار ذلك هو الأساس القانونى الوحيد المعترف به عامة لتحديد الحدود فى الأنهار الدولية الصالحة للملاحة، فى حين بقى العراق متمسكاً بمعاهدة ١٩٣٧م بكل بنودها.

ونتيجة لتشجيع الإيرانيين لأكراد شمال العراق بزعامة الملا مصطفى البرزانى توسطت الجزائر بين إيران والعراق حتى اجتمع كل من شاه إيران وصدام حسين نائب رئيس العراق فى الجزائر فى ٦ مارس ١٩٧٥، حيث اتفقا على مايلى:

١ـ إجراء تخطيط نهائى للحدود البرية بين البلدين وفقاً لما نص عليه بروتوكول إستانبول لعام ١٩١٣م.
٢ـ تحديد الحدود النهرية وفقاً لما نص عليه القانون الدولى الخاص بالأنهار الدولية الصالحة للملاحة، أى الإلتزام بخط الثالوج (الخط المار بمنتصف النهر).
٣ـ وضع حد نهائى لكل التسلل الناتج عن أشخاص مخربين بين البلدين.
٤ـ اعتبار هذا الاتفاق عنصراً لايتجزأ لحل شامل.

وكان معنى هذا الاتفاق الذى تم التوقيع عليه فى شهر يونيو من ذلك العام هو تنازل العراق مرغماً عن نصف مياه شط العرب لإيران مقابل عدم مساعدة إيران للأكراد بشمال العراق الثائرين ضد حكومة بغداد.

وعندما عاد آية الله خومينى إلى طهران من فرنسا فى أول فبراير ١٩٧٩م

تسلم زمام الحكم فى إيران رجال الدين أتباع الخومينى فى العاشر من نفس الشهر، لينتهى بذلك حكم أسرة بهلوى الذى استمر لما يزيد على نصف قرن من الزمان، وفى أواخر مارس من نفس العام تم طرح إعلان «الجمهورية الإسلامية» للاستفتاء العام أمام الشعب الإيرانى، وبناء على نتيجة الاستفتاء الذى استمر لمدة يومين أعلن آية الله خومينى اعتبار أول أبريل يوم «الجمهورية الإسلامية» فى إيران.

وقد أعلن الخومينى أن حكومته هى أول حكومة دينية فى التاريخ للمذهب الإثنى عشرى، وأن واجب الشيعة أن يحرصوا عليها لأنها تمثل أول إنصاف لهم فى التاريخ بعد ظلم إنصب عليهم طوال القرون الماضية لم يتمكنوا فيها من إقامة حكم باسمهم، وأن العالم السنى يقف فى وجه هذه الحكومة، وهذا الإنصاف الذى تحقق لهم، ولذلك يحاربهم، واستشهد بموقف العراق منهم (٨).

وخطورة هذا القول ترجع إلى تعبئة الرأى العام الإيرانى ضد العالم السنى، وحث الإيرانيين على الاستمرار فى الحرب ضد العراق السنى ومن يؤيده من دول عربية سنية المذهب، وأن حقهم الذى حصلوا عليه مؤخراً ــ وهو حق الحكم ــ يجب التمسك به والقتال من أجل بقائه فى أيديهم.

وتتمثل خطورة الثورة الإيرانية على الإسلام والدعوة الإسلامية فيما يلى:

١ ــ أنها فى بلد نام ككل البلاد الإسلامية.

٢ ــ الإدعاء بأنهم يمثلون الإسلام وهم يسيئون إلى الإسلام.

٣ ــ مهزلة المحاكم الثورية وحراس الثورة.

٤ ــ رفض الصلح مع العراق.

٥ ــ التهديد بتصدير الثورة وإسقاط حكومات أقطار الخليج العربى.

فإذا تحدثنا عن أثر قيام هذه الثورة الدينية فى بلد نام ككل البلدان الإسلامية وهى إيران فإننا نلاحظ تركيز أجهزة الدعاية الإيرانية على أنها ثورة شعبية بالمعنى التقليدى للكلمة وأنها نموذج فريد فى البلاد المتخلفة التى

---

(٨) د. عبدالمنعم النمر: الشيعة، المهدى، الدروز، تاريخ ووثائق ص ١٥٤.

لا تحدث بها ثورة إلا بواسطة القوات المسلحة كانقلابات عسكرية تطيح بالحكومات القائمة.

كما أن الدعاية الإيرانية تصور الثورة بأنها أطاحت بنظام حكم الشاه المستند إلى حراب الأمريكيين ورءوس أموالهم، فكأنهم يقولون لقد أسقطنا العميل الأمريكي ولم تستطع القوة الأمريكية فرضه على الشعب الإيراني.

كما أن الدعاية الخومينية أبرزت أن هذه الثورة الشعبية ظهرت في منطقة تتنافس عليها القوى الكبرى وتتواجد بها مصالح الدول العظمى، ومع ذلك فلم يحسب الشعب الإيراني لهذه القوى أي حساب، فهو يتمتع بشجاعة فائقة تجعله لا يعبأ بأية أساطيل في مياه الخليج ولا أية قواعد عسكرية قريبة منه (٩).

كل هذه الإدعاءات تجد تطبيلاً لها من المراقبين الأجانب فلا يملكون إلا الرثاء لها لأنهم يعلمون مواقف القوى الكبرى من تمثيلية الثورة في إيران ومن اعتقاد هذه القوى بأن الشاه قد انتهى دوره على مسرح السياسة في بلاده ولابد من تغييره حتى ولو بشخص يدعى الإسلام ليسيء إلى الإسلام.

وإذا ما انتقلنا إلى الإدعاء الإيرانى بأن زعماء الثورة يمثلون الإسلام الحقيقي باعتبار أن زعامة الثورة زعامة دينية أمسكت بمقاليد السلطة في البلاد، وتفرض على الإيرانيين أفكاراً ومفاهيم جديدة، فإن خروج هؤلاء الزعماء عن أصول الإسلام يسيء إلى الإسلام والمسلمين.

ومن الأدلة على ذلك ما جاء بكتاب «كشف الأسرار» للخوميني من أن الخلفاء الثلاثة أبوبكر وعمر وعثمان وجميع أكابر الصحابة [illegible] كانوا طلاب دنيا كما كانوا شر الخلق، فقد قبلوا الإسلام بألسنتهم فقط طمعاً في الحكم والسلطة فهم في الظاهر مسلمون ولكنهم في الباطن كفار

---

(٩) السيد زهرة: واقع الثورة الإيرانية [illegible] يوليو ١٩٨١م.

وزنادقة، وكانوا على استعداد لارتكاب أى عمل شرير من أجل تحقيق أهدافهم وأغراضهم(١٠).

الحـــرب:

شهد صيف عام ١٩٨٠م تصعيداً عسكرياً بين العراق وإيران، فقد أذاعت وكالة «أسوشيتد برس» Associated Press تقريراً فى شهر أكتوبر ١٩٨٠م عن تطور الأعمال العسكرية منذ شهور يونيو من ذلك العام جاء فيه:

١ــ أعلنت إيران فى ٣ يونيو عن مصرع ١٢٢ جندياً عراقياً خلال اشتباكات دامت ٤٨ ساعة بعد مصادمات على الحدود بين البلدين استمرت ثلاثة أيام.

٢ــ اتهم الرئيس العراقى صدام حسين فى ١٧ يونيو إيران بالشعور بالعداء إزاء الدول العربية ومحاولة التوسع فى منطقة الخليج.

٣ــ وفى ٥ أغسطس هرب خمسة ضباط إيرانيين إلى العراق، وفى ٨ من نفس الشهر ناشد السفير الإيرانى لدى موسكو السلطات السوفيتية وقف تزويد العراق بالأسلحة.

٤ــ كما أعلن فى ١٩ أغسطس عن انفجار أحد المصانع الإيرانية بإقليم خوزستان كانت نتيجته مصرع ٩٠ شخص وإصابة ٣٥ آخرين(١١).

وتوالت الأحداث حيث تبادل العراق وإيران الإعلان عن عمليات عسكرية حدودية حتى ٢١ سبتمبر، كان منها إعلان الرئيس العراقى صدام حسين فى ١٧ سبتمبر إلغاء معاهدة الحدود مع إيران التى أبرمت بينهما فى عام ١٩٧٥م، وكان منها إعلان إيران بامتداد المعارك إلى منطقة «خورامشهر» وعلى طول حدود إقليم خوزستان(١٢).

(١٠) الشيخ محمد منظور نعمانى ترجمة د. سمير عبدالحميد: الثورة الإيرانية فى ميزان الإسلام ص ٤٩.

(١١) Time : October 1980.

(١٢) مجلة السياسة الدولية العدد ٦٣ يناير ١٩٨١م.

وفى ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ أعلن الرئيس العراقى صدام حسين بياناً لمجلس قيادة الثورة العراقى أكد فيه أن القوات العراقية قررت الرد بقوة على الإعتداءات الإيرانية على أثر قرار إيران إغلاق حدودها ومطاراتها مما يدل على رغبة الزمرة الحاكمة فى إيران إعلان الحرب على العراق.

وأضاف بيان مجلس قيادة الثورة العراقية: لقد أعتقدنا أن الزمرة الحاكمة فى إيران من أحفاد المجوس الموغلين فى حقدهم على العراق سيوقفون اعتداءاتهم بعد قيام الجيش العراقى بتحرير الأراضى العربية المغتصبة على الحدود العراقية، ولكن إيران لجأت إلى إعاقة الحركة الملاحية فى شط العرب بقصف السفن المدنية العراقية والأجنبية، فكان لزاماً علينا أن ندافع عن أنفسنا ضد حالة الحرب التي فرضتها علينا إيران كحرب شاملة. ومن ثم صدرت الأوامر القوات العراقية لكى توجه ضربات رادعة إلى الأهداف العسكرية الإيرانية لإحباط مخطط أسيادهم للنيل من سيادة وأمن العراق(١٣).

ومن هذا البيان ومن استعراض تطور العداء والصراع بين العراق وإيران تتضح الحقائق الآتية:

أولاً: لم يكن يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠م بداية الحرب العراقية الإيرانية المشتعلة حتى الآن، بل بدأت العمليات العسكرية بين الطرفين منذ أول يونيو كما رأينا.

ثانياً: أن إيران بدأت العمليات العسكرية حسب ماذكرته وكالة الأنباء الأمريكية وسجلته مجلة تايم الأمريكية من إعلان إيران قتل ١٢٢ جندياً عراقياً فى اشتباكات على الحدود بينما لم تعلن عن خسائر الإيرانيين مما يدل على هجوم مفاجىء إيرانى على موقع عراقى على الحدود.

ثالثاً: جاء قرار إيران بغلق حدودها ومطاراتها وأجوائها دليل على نية إيران فى الحرب ضد العراق التى كان عليها أن تواجه هذا الإجراء

---

(١٣) نفس المرجع.

بأن تسبق فى اتخاذ الحيطة انطلاقاً من المبدأ العسكرى القائل بأن
الهجوم أفضل وسائل الدفاع .

رابعاً : لجوء إيران إلى تهديد الملاحة فى شط العرب بضرب السفن العراقية
والأجنبية دليل على عمل حربى لابد من مواجهته من جانب
العراق .

ومع استمرار الحرب طوال هذه السنوات ، فقد أعلن العراق عن استعداده لوقف الحرب والبحث عن طريق السلام ، وفى البداية كان عرض السلام العراقى مشروطاً بحصوله على مطالبه المحدودة فى شط العرب التى اغتصبها الشاه باتفاقية عام ١٩٧٥م ، ولكنه الآن وفى إطار تكثيف عروضه للسلام لإحراج حكام إيران عاد إلى قبول الأوضاع السائدة قبل انطلاق الحرب من عقالها فى شهر سبتمبر ١٩٨٠م ، ويتفق العرض العراقى مع نظرته لمنظور الصراع مع إيران ، أما حكام إيران فما زالوا يحافظون على منظورهم للصراع كصراع شامل ، ولم يحدث من المتغيرات حتى الآن ما يدفع حكام إيران إلى تغيير موقفهم (١٤) .

ادعاء الصهيونية بحق اليهود التاريخى فى فلسطين

تاريخ اليهود :

كان قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية تطبيقاً لدعوى الصهيونية العالمية بحق اليهود التاريخى فى أرض فلسطين . فكيف تم ذلك ؟ عاش اليهود كمعتنقى ديانة سماوية إلى جانب العرب سواء منهم الذين يعتنقون الإسلام أم أولئك الذين يعتنقون المسيحية على أرض فلسطين مئات بل آلاف السنين جنباً إلى جنب كما عاشوا فى أقطار أخرى ، وظل الحال على هذا النحو حتى ظهرت الحركة الصهيونية العالمية فى أواخر القرن التاسع

---

(١٤) عبده مباشر : الحرب العراقية الإيرانية كتاب اليوم العدد ٢٦٣ ديسمبر ١٩٨٦م ص ٢٠٤ .

عشر. وطالبت بتجميع اليهود المشتتين فى أنحاء العالم لإحياء الدولة اليهودية القديمة «جوديا» وعاصمتها «أورشليم» التى كانت قائمة فيما يعرف الآن بفلسطين ثم هدمها الرومان وقضوا على كيانها وشتتوا شعبها هكذا تذكر الصهيونية !!

وظل اليهود فى أنحاء العالم يعتنقون هذه الفكرة الصهيونية، فكرة الحق التاريخى لهم فى «أورشليم» وما حولها، ويدعون أنهم ورثة ملك سيدنا سليمان الحكيم، ويحاولون تفسير نصوص فى التوراة تتفق مع أهدافهم بأن لهم جذوراً فى فلسطين عليهم إحياءها من جديد بحكم الحق التاريخى.

فيذكر المؤرخ البريطانى الشهير أرنولد توينبى Toynbee فى كتابه «دراسة للتاريخ» أن بعض القبائل الإسرائيلية التى عاشت فى التيه توقفت شرق نهر الأردن لتسمين العجول التى نهبوها من أرض «باشان» وكانت مملكة يسيطر عليها الملوك العموريون ومركزهم «عشتاروت» وقد هزمتهم القبائل الإسرائيلية فى موقعة «إذرعى» عام ١٩٤٥ قبل الميلاد وقضوا على سكان تلك المملكة ونهبوا ماشيتهم وامتلكوا أراضيهم غصباً وقهراً. وقد جاء ذلك فى سفر التثنية الإصحاح الثالث. وتضيف رواية أرنولد توينبى أن هذه القبائل الإسرائيلية استقرت فى مراعى «جلعاد» وهى بقعة جبلية تقع إلى الشرق من نهر الأردن وجنوب نهر اليرموك.

انظر فيما قاله «توينبى» لقد كان اليهود منذ فجر تاريخهم عدوانيين واستمرت روحهم العدوانية ضد البشرية لامتلاء قلوبهم بالحقد والكراهية ضد بنى البشر.. فماذا فعلت القبائل المسالمة فى أرض «باشان» لكى تسعى قبائل بنى اسرائيل العدوانية إلى تدمير مملكة هؤلاء السكان المسالمين ولكنها الكراهية اليهودية لبنى البشر.

ويضيف «أرنولد توينبى» موضحاً حركة الإسرائيليين كما يوضحونها بأفكارهم مفسرين التوراة على هواهم بأن الفلسطينيين الذين وصفهم الإسرائيليون وغيرهم بهذا الاسم فى بداية القرن السابع عشر قبل الميلاد تعبيراً عن الإحتقار، ثم استخدم هذا الاسم بعد ذلك تعبيراً عن ضآلة

المكانة الاجتماعية والثقافية، وذلك تحت تأثير حالة سكان فلسطين أيام التوراة وقبل أن يسكنها العرب الذين تسموا بالفلسطينيين.

فيذكر «توينبى» أن الفلسطينيين دخلوا فى هذا الوقت المبكر قبل الميلاد فى صراع مع الإسرائيليين يصفها بأنها معركة خاسرة للعرب للإستحواذ على سهل «يزرعيل» وهو اسم عبرى لمكان يعرف الآن باسم «مدرج بنى عامر» ــ كما جاء فى سفر القضاء ٧/٣٣ــ وللاستحواذ على «الشفلاة» وهى كلمة عبرية كذلك تعنى التلال المنخفضة وموقعها الآن السهل الساحلى الممتد من «غزة» إلى «يافا» ــ كما جاء فى سفر أخبار الأيام ص٢٨/٣٨ــ ويصف توينبى الصراع بين الفلسطينيين واليهود بأنه كان صراعاً شديد الوطأة خاصة أن القبائل اليهودية المعتدية كانت أشد قوة ومراساً فى الحرب، وهى تلك القبائل التى عرفت باسم إسرائيليو تلال «إفرايم» و«يهوذا».

وتذكر لنا المصادر أن اسم اسرائيل نفسه كان غير معروف عند المؤرخ اليونانى «هيرودوت» الذى زار مصر قبل الميلاد وسجل صفحات من تاريخها وتاريخ المنطقة وكانت أرض اسرائيل ــ كما يذكر أرنولد توينبى ــ فى الصورة العامة التى رسمها «هيرودوت» عن العالم السورى ما تزال تحجبها أرض الفلسطينيين (أو السهل الساحلى) التى ظل اسمها حتى اليوم فلسطين.

ويردد الإسرائيليون روايات توضح تفوقهم الفكرى على البشرية بسرد رواية تقول بالنص كما جاءت فى التوراة سفر الملوك الأول (٣/٥ــ١٢) تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلاً وقال الله اسأل ماذا أعطيك؟ فقال سليمان: اعط عبدك قلباً فهيماً، فحسن الكلام فى عينى الرب لأن سليمان سأل هذا الأمر فقال له الله من أجل أنك قد سألت هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة ولا سألت لنفسك غنى ولا سألت أنفس أعدائك، بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم، هوذا قد فعلت حسب كلامك، هوذا أعطيك قلباً حكيماً مميزاً، إنه لم يكن لمثلك قبل، ولا يقوم بعدك نظيرك.

وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله : غنى وكرامة حتى إنه لا يكون رجل مثلك فى الملوك كل أيامك .

فهنا لابد لنا من وقفة . فنحن المسلمين نعتقد بأن تفوق سيدنا سليمان فى العلم والفهم والملك والسلطان حقيقة لأن القرآن الكريم أخبر بها فى وضوح لا لبس فيه . والآيات من ٧٨ إلى ٨٢ من سورة الأنبياء تقول : بسم الله الرحمن الرحيم : « وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين . وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون . ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين . ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين » صدق الله العظيم .

والآيات من ١٥ إلى ٤٤ من سورة النمل تقول : بسم الله الرحمن الرحيم : « ولقد آتينا داود وسليمان علماً ، وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين . وورث سليمان داود وقال أيها الناس عُلّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء إنّ هذا لهو الفضل المبين . وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون . حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين . وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم » وتستمر الآيات ٢٤ حتى ٤٤ تروى قصة بلقيس ملكة سبأ .

وتذكر الآيات من ٣٠ إلى ٤٠ من سورة ص : بسم الله الرحمن الرحيم : « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أوّاب . إذ عُرض عليه بالعشىّ الصافناتُ الجياد . فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب . رُدوها علىّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق . ولقد فتنّا سليمان وألقينا

على كرسيه جسداً ثم أناب. قال رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب. فسخّرنا له الريح تجرى بأمره رضاء حيث أصابْ. والشياطين كل بناء وغواص. وآخرين مقرنين فى الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مئاب» صدق الله العظيم.

كما تذكر الآيات ١٢ و١٣ و١٤ من سورة سبأ: «ولسليمان الريح غُدُوّها شهر ورَوَاحُها شهر وأسَلْنا له عَيْنَ القِطْرِ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يَزِغْ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير. يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور. فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين» صدق الله العظيم.

هذه الآيات كلها من سور الأنبياء والنمل وص وسبأ تبين ما أعطاه الله للنبى سليمان من العلم والفهم والملك والسلطان الذى امتد إلى الجن والطير والحيوان والريح والحشرات إلى جانب الإنس.. إن الإيمان بهذا يدخل فى صميم العقيدة الإسلامية. لكن تفسير اليهود لهذا التفوق للنبى سليمان بأنه يعطى خصوصية لبنى اسرائيل فى العلم والفهم على غيرهم من البشر حتى أصبحوا شعب الله المختار فهذا شىء آخر.

لقد روج اليهود بأنهم شعب الله المختار استناداً إلى أنهم ورثة سليمان الحكيم وهو ضرب من الإدعاء لا صحة له ولا برهان لهم به. ونحن لا ننساق وراء المؤرخين الغربيين خاصة إذا نظروا إلى ما اختص الله به نبيه سليمان فعدوه ضرباً من الأساطير فهذا شأنهم وهذه عقيدتهم ونحن لا نقرهم عليها، لأننا نؤمن بأنه حقيقة كما وردت فى القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فإذا روّج الإسرائيليون لفكرة التفوق وفكرة شعب الله المختار لأن العبرانيين (أى الاسرائيليين) بفضل قوة فهمهم الروحانى قديماً قد فاقوا ــ كما يدعون ــ ما قام به الفلسطينيون من مهارة حربية وما أتى به الفينيقيون من

أعمال بحرية بارزة، اعتماداً على ميراث سليمان النبى من الحكمة والعلم فإنهم بذلك يدّعون باطلاً و يروجون ضلالاً.

وهذه المقولة التى يستند إليها اليهود تتمثل فى نقطتين هما:

النقطة الأولى: أنهم سكنوا فلسطين منذ آلاف السنين ومن ثم فإنهم اليوم فى القرن العشرين الميلادى يطالبون بحقهم التاريخى فى هذه الأرض و يسعون إلى تأكيد هذا الحق التاريخى وإن نجحوا جزئياً فى ذلك بإقامة دولة اسرائيل على جزء من فلسطين فإنهم يسعون إلى زيادة رقعة هذه الدولة لتصبح ممتدة من النيل إلى الفرات أرض الأجداد كما يدّعون زوراً وبهتاناً. المهم أنهم نجحوا فى غفلة من العرب تحقيق فكرة الحق التاريخى بالقوة فى قلب الوطن العربى.

النقطة الثانية: أنهم أى اليهود شعب الله المختار المتفوق على كل شعوب الأرض بدليل أن الله سبحانه وتعالى اختص ملكهم سليمان بالحكمة والعقل الراجح وهم ورثته وبالتالى فإن تميزهم بالعقل والفهم الحسن أكبر ميزة يحصل عليها بشر.

وهنا نتوقف عند هذه المقولة ذات الشقين: الحق التاريخى لليهود فى فلسطين، وأنهم شعب الله المختار، وهم بهذه الصفة ينظرون إلى أعدائهم بأنهم أعداء الله، إذ كيف يعادى أحد مَنْ اختاره الله واختصه وميّزه على كافة البشر. نقف عند هذه المقولة لنناقش مواقف الأطراف الدولية منها:

أولاً: واقفت بريطانيا على منح اليهود وطناً قومياً فى فلسطين يقيمون فيه دولتهم أو بحسب تعبيرهم لإعادة حقهم التاريخى فى فلسطين وظلت بريطانيا تساعد اليهود حتى قامت دولة اسرائيل على أرض فلسطين عام ١٩٤٨م.

ثانياً: كانت الحركة الصهيونية العالمية أكثر تحركاً وتنظيماً من العرب ولها رجال ذوى نفوذ فى الدول الكبرى الأربع: بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية ولم تكن تبغى الحركة الصهيونية أن يظل وعد «بلفور» اتفاقاً خاصاً بينها و بين بريطانيا ولكن أن يصبح هذا الوعد عنصراً فعالاً فى كل السياسات التى تخطط لمنطقة الشرق الأوسط.

ثالثاً: مارست الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة ضغوطاً شديدة بحكم سيطرتها على أجهزة الإعلام وعلى كثير من الشركات الرأسمالية من أجل دفع الحكومة الأمريكية إلى تبنى وجهة النظر الصهيونية بتحقيق مخططاتها نحو فلسطين. وقد تمكنت الحركة الصهيونية من الحصول على تأييد الحزبين الأمريكيين الديموقراطى والجمهورى لأهدافها وذلك أثناء انتخابات عام ١٩٤٤. وقد ظل التأييد الأمريكى للحركة الصهيونية بمختلف صوره قائماً منذ الدقيقة الأولى لإعلان قيام دولة اسرائيل فى مايو عام ١٩٤٨م وحتى الآن.

رابعاً: رفض العرب فكرة الحق التاريخى لليهود فى فلسطين منذ البداية برفضهم لوعد بلفور ولقيام دولة اسرائيل. وقام الشعب الفلسطينى بدور أساسى فى هذا الرفض بثوراته ضد الهجرة اليهودية فى ظل الانتداب البريطانى، وحتى بعد أن اضطرت أعداد كبيرة منه إلى مغادرة فلسطين أمام بطش اليهود وصاروا لاجئين فى الأقطار العربية استمرت مقاومة الشباب الفلسطينى داخل فلسطين المحتلة بقيادة مؤمنة بالله وبالوطن الفلسطينى المطهر من النجس الإسرائيلى رافضين فكرة الحق التاريخى لليهود فى فلسطين.

والخلاصة أن اليهود نجحوا بمساعدة خارجية فى فرض فكرة الحق التاريخى التى أدعوها بأنها لهم فى فلسطين وذلك على حساب العرب، وهؤلاء اليهود الذين وصفهم الفيلسوف الفرنسى «فرانسوا دى أرو يه ڤولتير» بأنهم أحقر شعوب الأرض وأنهم إذا غلبوا استذلوا وإذا انتصروا أذلوا. وأن فى طباعهم الخيانة والغدر. فكيف يكونون شعب الله المختار؟

وأما دعواهم بالحق التاريخى فى فلسطين فانها دعوة حديثة نادت بها الحركة الصهيونية العالمية دون أن يكون هناك منطق تاريخى لهذا الإدعاء فليس بمجرد وجود حكم ما لمدة محدودة على أرض ما يعطى الذين يدعون بالانتساب لهذا الحكم الحق فى الإدعاء بأنهم ورثة هذا الحكم الذى جاء فى المرة الأولى على حساب العرب وهذه المرة على حساب العرب كذلك.

وهكذا زعم اليهود عدة مزاعم منها أنهم شعب الله المختار، ومنها أن لهم حقاً تاريخياً فى أرض فلسطين، وهذه المزاعم لا أساس لها وذلك للأسباب الآتية :

أولاً ــ زعم شعب الله المختار:

بالنسبة للزعم الأول بأن اليهود شعب الله المختار كما روجوه فى التوراة، نجد الفيلسوف الفرنسى «فرانسوا مارى أرويه دى ڤولتير Francois Marie Aroute de Voltair يذكر فى كتابه الرسائل الفلسفية الذى نشره عام ١٧٣٤م، نقداً عنيفاً لقصص العهد القديم (التوراة) والتاريخ المستند إليه وخاصة تاريخ اليهود.

فقد ذكر ڤولتير فى كتابه هذا أن التاريخ سجل أن اليهود هم فى الأصل جماعة من الساميين ــ أى أبناء سام بن نوح عليه السلام ــ الرحّل الذين عاشوا فى العصور القديمة مشتتين فى الصحراء الممتدة بين مصر وسوريا وأنهم حاولوا الإغارة على مصر فطردهم ملكها «أماسيس».

ويضيف ڤولتير إلى ذلك قائلاً: من الخطأ الظن بأن اليهود كانوا مضطهدين فى الدولة الرومانية أو غيرها لقولهم بإله واحد فى عالم وثنى، بل لأنهم يكرهون الأمم الأخرى إذ أن اليهود ــ فى رأيه ــ شعب متبربر لئيم جاهل يزدرى أكثر الأمم حضارة، وأنهم ــ أى اليهود ــ أحقر شعوب الأرض.

وزاد ڤولتير وصفاً لليهود فذكر أن اليهود إذا كتب لهم النصر على غيرهم فتكوا بالمغلوبين وبطشوا بالنساء والأطفال فى نشوة جنونية، وإن كتبت عليهم الهزيمة تجدهم فى مذلة مشينة ثم تساءل ڤولتير قائلاً: هل شمل الله هذا الشعب الوضيع ــ كما وصف اليهود ــ كما تقول التوراة ليكون شعب الله المختار؟ أو ليكونوا مخلصى الجنس البشرى ؟(١٥).

---

(١٥) ويل ديورانت: قصة الفلسفة ص ٤٢٤ ــ ٤٢٨.
وألبان ج ويدجرى: التاريخ وكيف يفسرونه ص ١٤٣ ــ ١٤٤.
ود. أحمد صبحى: فلسفة التاريخ ص ١٨٣.

وقد أبرز ڤولتير خطأ الاستناد إلى قصص العهد القديم ــ التوراة ــ واتخاذها أساساً للتاريخ، ليس فقط لمبالغة هذه القصص فى الاهتمام باليهود واحتقار شعوب الشرق الأخرى بل لأن هذه القصص موضع شك من الناحية التاريخية.

هذه شهادة محايدة لم تأت من عربى تصف ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار بأنه كذبة تاريخية أو تزييف للتاريخ التاريخ منه براء، لأن هذا الادعاء ما هو سوى تبرير لجرائم الصهيونية التى تسعى لإبادة الشعوب اقتصادياً أو حربياً استناداً بأن هذه الشعوب ليست موضع محبة الله أو اختياره، ومن ثم تفريغ الأرض منهم ليحتلها شعب الله المختار وهم اليهود.

وهذه الأكذوبة الصهيونية روجها اليهود بين الشعوب والدول وحاولوا إقناع الناس بها مستخدمين وسائلهم الإعلامية والمالية ومستغلين جهل البعض بالتاريخ الحقيقى ويركزون على هذا الزعم «شعب الله المختار» ومن يعترض على إرادة الله فى اختيار اليهود كأفضل الشعوب عند الله سبحانه وتعالى.

وهذه الأكذوبة تذكرنا بزعم ساد أوروبا فى العصور الوسطى حتى أسقطته الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩م، هذا الزعم القائل بحق الملوك المقدس فى الحكم الذى عرف بالتفويض الإلهى.. هذا الزعم الذى روج له رجال الدين والأسر الحاكمة فى دول أوروبا حتى يظل الحكم احتكاراً لهذه الأسر، ومن يثور ضد هذه الأسر فكأنما يثور على تفويض الله سبحانه وتعالى لهذه الأسر بحكم دول أوروبا.. هذا الزعم الذى أسقطه جان جاك روسو فى كتابه العقد الاجتماعى الذى صار دستور الثورة الفرنسية، حيث أوضح أن الأصل فى الحكم تعاقد بين الحاكم والمحكومين (الشعب) وأن الحكم إذا أخل بشروط التعاقد كان للشعب الحق فى إزاحته.

وعلى هذا علينا كمسلمين إسقاط هذا الزعم الصهيونى بأن اليهود شعب الله المختار كما أسقطت الثورة الفرنسية زعم ملوك أوروبا بالتفويض الإلهى أى الإدعاء بالحق الإلهى المقدس فى الحكم.. حيث أن الزعم الصهيونى لا يمكن قبوله دينياً أو منطقياً لليهود، لأن هذا الزعم يتناقض مع قول الله

سبحانه وتعالى فى أمة محمدبن عبدالله صلى الله عليه وسلم : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» صدق الله العظيم.. من إذن الأمة المفضلة عند الله خالق البشر جميعاً.. اليهود أم المسلمين ؟؟

كما أن لنا فى رأى البروفيسور أرنولد توينبى المؤرخ البريطانى فى كتابه «دراسة التاريخ» عن الزعم الصهيونى بأن اليهود شعب الله المختار مايؤكد فساد هذا الزعم، حيث ذكر «توينبى» : لأنى لست عربياً ولا يهودياً فليس لى أية مصلحة شخصية فى أن أحابى أو أحمل على أى الفريقين، وإنى أعتقد فيما يتعلق بالمشكلة القائمة بين العرب الفلسطينيين والصهيونيين أن الفلسطينيين العرب على صواب، وأن الصهيونيين على خطأ، وأن هذا الرأى تأتى قيمته من أنه يقوم على الوقائع (التاريخية) التى أراها بنفسى.

ويضيف «توينبى» قائلاً : فإننا عندما نعتقد بأنفسنا بأننا شعب الله المختار فإنه يوسوس إلينا أن نحتقر الأديان الأخرى وأن نخمد أنفاسها عندما نقدر على ذلك. وأن مأساة جرائم الصهيونية ضد العرب المسلمين، بادعائها أن اليهود شعب الله المختار، أعظم شأناً من مأساة جرائم ألمانيا النازية(١٦).

كما أن جريدة «جويسن نويزلتر» التى تصدر فى نيويورك نشرت يوم ٢٧ أبريل عام ١٩٥٣م مقالاً بقلم الكاتب اليهودى «وليام زوكرمان» تحدث فيه عن فكرة العقيدة الصهيونية، حيث ذكر عن الزعم الصهيونى بأن اليهود شعب الله المختار مانصه : أن اليهود أنما وجدوا فى العالم وحيثما سكنوا جغرافياً، وكيفما تأثروا ثقافياً، ومهما انتموا سياسياً، وإلى أى دولة يدينون بالولاء هم شعب واحد يختلف عن بقية الشعوب ولا يمكن لهم أن يفقدوا ميزتهم العنصرية الجامعة(١٧).

---

(١٦) جامعة الدول العربية : مقال للبروفيسور ارنولد توينبى.

(١٧) جامعة الدول العربية : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ص ٦.

وهكذا يتضح أن الزعم الصهيونى بأن اليهود شعب الله المختار زعم باطل مهما روج له المروجون من الصهاينة والاستعماريين، وعلى المسلمين تفنيد هذا الزعم ومقاومته لأنه يتنافى مع تعاليم الإسلام الحنيف ويتنافى مع الإنسانية التى ينتمى إليها اليهود والمسلمين معاً.

ثانياً ــ زعم الحق التاريخى:

وبالنسبة للزعم الصهيونى بأن لليهود حق تاريخى فى فلسطين، فإنه أيضاً زعم باطل نشأ فى القرن التاسع عشر أثناء التسابق الإستعمارى الأوروبى للسيطرة على شعوب القارتين الأفريقية والآسيوية، ومن هنا تلاقت المصالح الصهيونية مع المصالح الإستعمارية فى البحث عن وطن لليهود خارج أوروبا، وهنا ظهرت الفكرة الصهيونية الداعية لعودة اليهود إلى أرض الميعاد.

وتنسب الصهيونية إلى جبل يقع شرق مدينة القدس يسمى جبل صهيون كان النبى داود قد بنى عليه قصراً ومعبداً وحصناً. ويتركز المفهوم الصهيونى بصفة خاصة فى ضرورة تكوين مجتمع خالص يتمتع بالحكم الذاتى فى فلسطين، وقبل ظهور دعوة «تيودور هرتزل» الصحفى اليهودى النمساوى الذى كان أول من جهر بفكرة الصهيونية فى كتابه «الدولة اليهودية» الذى أصدره عام ١٨٩٥م كانت هناك حركة فكرية يهودية تنادى بعودة اليهود إلى فلسطين خلاصاً من الظلم الذى تعرض له اليهود فى أرض الشتات، وفى عام ١٨٨٢م تأسست مستعمرة «ريشون لوزيون» Rishon le zion أى الأولون فى صهيون وجاء إنشاؤها بالقرب من مدينة يافا الفلسطينية(١٨).

وتلى ذلك إنشاء مستعمرات أخرى فى نفس العام تهجر إليها مزارعين يهود، وتأسست تبعاً لذلك شركة «البيكا» وهى منظمة للاستيطان فى فلسطين، وقد وضعت تحت تصرف هذه الشركة الأموال لشراء الأراضى

---

(١٨) محمد عبد الرؤوف سليم: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ ــ ١٩١٨ القسم الأول ص ١٥ ــ ٢٢.

وتدريب المهاجرين الجدد على الفلاحة فى المستعمرات الأربعة التى تكونت عام ١٨٨٢م وهى إلى جانب «ريشون لوزيون» و«زيخرون يعقوب» و«روشبينا» و«بتاح تكفا». وقد شاء اليهود أن ينسبوا حركتهم السياسية إلى تل جبال القدس ليجعلوا لدعوتهم طابعاً قومياً يربط بينها وبين فلسطين(١٩).

كانت هذه الخطوات تحقيقاً للزعم اليهودى بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين وتأسيساً على هذا الحق المزعوم فلهم أن ينزحوا إلى فلسطين أفواجاً متلاحقة متراصة من جميع أنحاء العالم وأن يتخذوا منها وطناً لهم ويقيموا فيها دولة يهودية لهم ـ طبقاً لهذا الزعم ـ ليسوا غرباء يهاجرون إلى أرض غريبة أو أجنبية، بل أنهم أصحاب الأرض وسكانها الأليون يعودون إلى ديارهم وأوطانهم بعد أن شردوا منها وظلوا مبعدين عنها أحقاباً ودهوراً وعصوراً(٢٠).

وطبقاً لهذا الزعم فإن اليهود مهما أقاموا فى الأوطان الأخرى واستقروا فى بلدان العالم هم أولاً وأخيراً غرباء ضيوف مؤقتون أينا كانوا، فهم متغيبون عن بلادهم التاريخية وعليهم أن يجمعوا شملهم من جميع أركان المعمورة، وأن يعودوا إلى وطنهم الأصلى، ورسالة الصهيونية هى خلاص اليهود من منفاهم ووضع حداً لتشردهم الأبدى(٢١).

وكان صدور كتاب تيودور هرتزل «الدولة اليهودية» نقطة تحول فى التاريخ الصهيونى حيث جاء به: وطننا التاريخى ـ فلسطين ـ الذى لا ينسى والذى يجلب سحر اسمه اليهود. وفى مؤتمر «بال» بسويسرا الذى عقد فى المدة من ٢٩ ـ ٣١ أغسطس ١٨٩٧م جاء فى نص البرنامج الذى وافق عليه المجتمعون: إن هدف الصهيونية هو تأسيس موطن للشعب اليهودى فى فلسطين يتحقق عن طريق القانون العام(٢٢).

---

(١٩) جامعة الدول العربية: الهجرة اليهودية إلى فلسطين ص ٥ ـ ٧.

(٢٠) د. حسن صبرى الخولى: سياسة الاستعمار والصهيونية جـ١ ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٢١) جامعة الدول العربية: الهجرة اليهودية إلى فلسطين ص ٦ ـ ٧.

(٢٢) محمد عبد الرؤوف سليم: المرجع السابق ص ٢٤ ـ ٢٨.

ولقد نجحت الصهيونية فى تزييف الحقائق التاريخية لدى الرأى العام فى أوروبا وفى الولايات المتحدة الأمريكية وثبت فى أذهان هؤلاء وأولئك أن لليهود حقاً تاريخياً فى فلسطين، واستقر هذا الزعم الباطل فى أذهان العالم الغربى مما كان له أثره فى تأييد قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين عام ١٩٤٨م، فهل هذا الزعم له سند تاريخى حقاً وما أصل العلاقة بين اليهود وفلسطين فى التاريخ القديم ؟

من الثابت تاريخياً أن الكنعانيين الوافدين من جزيرة العرب استوطنوا فلسطين منذ فجر التاريخ وكانت فلسطين تعرف باسم أرض كنعان التى كانت أرض الخيرات حتى جاءت لتلك الأرض غزوتان إحداها من جزيرة كريت قامت بها قبيلة «فلستيا» التى استقرت فى السهل الساحلى وسميت الأرض بفلسطين نسبة إليها، وكان ذلك بعد حوالى ألف وخمسمائة سنة من استقرار الكنعانيين فى تلك الأرض(٢٣).

وكانت الغزوة الثانية هى غزوة العبرانيين التى خرجت من مدينة «أور» جنوب شرق العراق وجاءت إلى أرض كنعان حوالى عام ١٨٠٥ قبل الميلاد، وهم ينتسبون إلى سيدنا إبراهيم الخليل الذى هاجر من مدينة «أور» إلى مدينة «حبرون» جنوب مدينة القدس الحالية والتى عرفت بعد ذلك باسم الخليل نسبة إليه، واشترى إبراهيم عليه السلام قطعة أرض لتكون مدفناً له فى «حبرون» كما تذكر التوراة، كما اشترى أحد أبنائه مدفناً مماثلاً فى نابلس.

وتذكر المصادر التاريخية أن اسم العبرانيين جاء لأن هذه القبائل التى وفدت من «أور» إلى أرض كنعان عبرت نهر الأردن، وهذا يعنى أنها وافدة وليست أصيلة فى أرض كنعان وهذا يعنى أن العرب أسبق وجوداً فى أرض فلسطين، كما أن شراء إبراهيم قطعة أرض وكذلك أحد أبنائه يدل على أن اليهود «العبرانيين» لم يكونوا يملكون أرضاً فى أرض كنعان (فلسطين) قبل مجىء إبراهيم عليه السلام.

---

(٢٣) د. حسن صبرى الخولى: المرجع السابق ص ٣٨ – ٣٩.

وقد دخل العبرانيون فى صراع دموى مع الكنعانيين منذ أن وفد هؤلاء العبرانيون إلى أرض كنعان كان منها حادث تدمير مدينة أريحا على يد « يشوع » والشعب اليهودى التائه بعد وفاة موسى عليه السلام ، حيث أنهم أهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة ، وطفل رضيع ـ من الكنعانيين ـ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضة وآنية النحاس فإنهم جعلوها فى خزانة الرب[٢٤] .

كما جاء فى سفر التثنية الإصحاح رقم ٢٠ ما نصه : « إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التى أنت صائر إليها لترثها ، واستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والعززيين والحوبيين واليبوسيين ، سبع أمم أعظم وأكثر منك وأسلمهم الرب إليك وضربهم فأبسلهم إبسالاً ، لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رأفة ولا تصاهرهم » . كما جاء فى السفر نفسه الاصحاح رقم ٧ : ما نصه : « أما مدن أولئك الأمم التى يعطيها لك الرب ميراثاً فلا تستبق فيها نسمة بل أبسلهم إبسالاً » .

ونتيجة لهذه الأعمال الوحشية تمكن العبرانيون من إقامة دولة يهودية بدأت بحكم « داود » حوالى ١٠٠٠ قبل الميلاد وانتهت بحكم ابنه سليمان الذى حكم من ٩٦٠ إلى ٩٣٥ قبل الميلاد ، أى أنها لم تستطع أن تعمر أكثر من سبعين سنة تقريباً . وبعد وفاة سليمان انقسمت الدولة اليهودية إلى مملكتين الأولى فى الشمال تسمت باسم إسرائيل وعاصمتها « السامرة » والثانية فى الجنوب إسمها « يهوذا » وعاصمتها أورشليم أو القدس وقد قضى « سرجون » ملك الأشوريين على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ قبل الميلاد وأسر كثيرين من شباب المملكة وعاد بهم إلى آشور وأحل محلهم قبائل من بابل وسوريا وجزيرة العرب .

ورغم أن مملكة « يهوذا » عاشت قرابة ١٣٥ سنة بعد سقوط وزوال مملكة إسرائيل إلا أنها انتهت عام ٥٨٦ قبل الميلاد على يد الملك الكلدانى « نبوخذ نصّر » الذى استولى على أورشليم ودمرها ودمر هيكلها والمدن

---

(٢٤) نفس المرجع ص ٣٩ نقلاً عن سفر يوشع .

اليهودية الأخرى ، وأمر بترحيل ٥٠ ألف من سكان مملكة «يهوذا» إلى بابل الذين ظلوا هناك حتى استخلصهم الفرس ـ الذين استولوا على بابل ـ فى احتلال مصر وفى مقابل ذلك بنى الفرس لليهود هيكل سليمان من جديد(٢٥) .

ومن الملاحظ أنه على الرغم من قيام مملكة «إسرائيل» ومملكة «يهوذا» على أرض كنعان فإن الكنعانيين ظلوا يعيشون على أرضهم ولم يتركوها ليصبحوا لاجئين فى البلاد المجاورة حيث يؤكد سفر القضاة : بنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم ، فسكن اليبوسيون مع بنى بنيامين فى أورشليم إلى هذا اليوم . ولم يطرد منشىء أهل بيت شان وقراها ولاسكان «يلعام» وقراها ولاأهل «تفنك» وقراها ، ولاسكان «مجدو» وقراها ، فعزم الكنعانيون على السكن فى تلك الأرض .. ولم تشدد إسرائيل فى وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردوهم طرداً ، وإفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين فى «جازر» فسكن الكنعانيون فى وسطه فى «جازر»(٢٦) .

وبعد هزيمة الفرس على يد الاسكندر الأكبر صارت فلسطين أرضاً يونانية ، ثم صارت بعد البطالمة أرضاً رومانية إلا أن اليهود أشعلوا ثورتين فى فلسطين ضد الرومان كانت الأولى فى عهد الامبراطور نيرون حيث استطاع الرومان تدمير القدس وهيكل سليمان والفتك باليهود ، وكانت الثورة الثانية فى عهد الإمبراطور هادريان عام ١٣٢ قبل الميلاد حيث أخذت الثورة بمقتل عشرات الألوف من اليهود ولم ينج منهم إلامن استطاع مغادرة فلسطين إلى مدن البحر المتوسط وجزرها سواء فى أوروبا كأسبانيا وايطاليا واليونان وغيرها أو المدن العربية المزدهرة مثل الإسكندرية وطرابلس وغيرها .

بعد أن استعرضنا الزعم الصهيونى بأن لليهود حقاً تاريخياً نتساءل أين العرب ؟ لقد تأكد من هذا الاستعراض وجود العرب قبل اليهود فى فلسطين ، كما تأكد أن للعرب كيانهم السياسى فى فلسطين قبل قيام

---

(٢٥) نفس المرجع ص ٤٢ـ ٤٣ .

(٢٦) نفس المرجع ص ٤٢ .

الكيانات اليهودية الهزيلة «إسرائيل» و«يهوذا» كما تأكد كذلك أن الكيان السياسى للعرب على أجزاء متناثرة من أرض فلسطين.

ثم تجىء الحركة الصهيونية الحديثة لتتحدث عن الحق التاريخى لليهود فى فلسطين أليس هذا افتئاتاً على أصحاب الحق الشرعيين وهم العرب، ثم عندما نسمع فى مؤتمر السلام المنعقد فى باريس عام ١٩١٩م رأى «وايزمان» زعيم الصهيونية العالمية يرد على سؤال وزير الخارجية الأمريكية «لنسنج» عن المقصود بالوطن القومى لليهود فى فلسطين: المقصود بهذه اللفظة هو أن تصبح فلسطين يهودية كما أن انجلترا انجليزية وأمريكا أمريكية»(٢٧).

ادعاء صدام حسين بالحق التاريخى للعراق فى الكويت

العراق والكويت:

هل كان للعراق حق تاريخى فى الكويت فى الزمن الماضى حتى يأتى صدام حسين ويجتاح الكويت بقواته المسلحة بدعوى الحق التاريخى للعراق فى الكويت؟ سؤال يتبادر إلى الذهن بعدما حدث ما حدث منه ونظام حكمه وقواته المسلحة فى دولة الكويت العربية المسالمة.

لم نسمع النعرة العنصرية زمن الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وعبر عصورها التاريخية زمن الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، فلم نسمع عن المسلمين اعتزازهم وتعصبهم لأوطانهم المحلية وإنما كان الكل يفخر بأنه مسلم من بلاد الشام أو من بلاد الرافدين أو من وادى النيل أو من بلاد الحجاز والجزيرة العربية وهكذا.. فالكل فى حق الحياة سواء كما قال الشاعر.

وعندما جاء الحكم العثمانى للمنطقة العربية منذ عام ١٥١٤م وحدث الصراع بين العثمانيين السنة والصفويين الشيعة فى إيران كان العراق ميدان

---

(٢٧) جامعة الدول العربية: الهجرة اليهودية إلى فلسطين ص١١.

هذا الصراع ولم يمتد الصراع ليشمل الكويت إذ لو كانت الكويت جزءاً من العراق لخضعت لما خضع له العراق من سيطرة عثمانية أو سيطرة إيرانية. هذا على الرغم من أن الصراع على العراق ظل طوال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر الميلادية رغم عقد معاهدات بين الطرفين العثماني والإيراني أعوام ١٧٤٧، و١٨٢٣م، و١٨٤٢م لتحديد الحدود بين الطرفين باعتبار العراق ولاية عثمانية.

وطبقاً لمنشور التنظيمات الخيرية الذى صدر فى شهر يونيو عام ١٨٥٦م انقسم العراق إلى ثلاث ولايات هى:

١ـ **ولاية بغداد** وهى الولاية الأساسية منذ الوجود العثمانى على أرض العراق فى القرن السادس عشر.

٢ـ **ولاية الموصل** فى الشمال والتى أنشئت عام ١٨٧٩م لإحكام السيطرة على ثورات الأكراد ضد الحكم العثمانى.

٣ـ **ولاية البصرة** فى الجنوب التى أنشئت عام ١٨٨٤م والتى امتدت سيطرتها على أجزاء من الخليج العربى وخاصة مشيخات قطر والاحساء والكويت بعد أن نجحت حملة مدحت باشا والى العراق عام ١٨٧٠م لمد النفوذ العثمانى إلى مشيخات الخليج العربية.

وقد ظل موقف الكويت له استقلاله حتى مع الاعتراف بالسيادة العثمانية وفى ظل ولاية البصرة العثمانية. كيف كان ذلك؟

أصبح آل صباح وهم فرع من قبائل العتوب النجدية العربية شيوخاً لمنطقة الكويت حوالى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى (١٧٥٠م تقريباً) قادمين من الجنوب بعد أن أمضوا على شاطىء الخليج فى قطر والأحساء نحو نصف قرن، وحرصوا على الاحتفاظ بكيان داخلى فى وطنهم هذا دافعوا عنه وتمسكوا بعدم الخضوع لأية قوة بقدر ما يطيقون.

فعندما استطاع البريطانيون إرغام القواسم شيوخ رأس الخيمة على توقيع معاهدة الهدنة والمعاهدة المانعة عام ١٨٢٠م، ومعاهدات مماثلة مع معظم شيوخ القبائل فى الساحل العمانى وفى قطر والبحرين، اعتذر شيخ الكويت آنذاك «جابر الصباح» والذى حكم فى الفترة من عام ١٨١٣ إلى عام

١٨٥٩م ، عن رفع العلم البريطانى على داره بالكويت محتجاً بأن علاقته بالدولة العثمانية كدولة مسلمة تمنعه من ذلك .

ومع ذلك فلم يكن شيخ الكويت خاضعاً خضوعاً كاملاً للدولة العثمانية رغم اعترافه عام ١٨٢٩م بالسيادة العثمانية ، ورفع العلم العثمانى على داره بالكويت. ولا يعنى الاعتراف بالسيادة العثمانية من جانب شيخ الكويت الارتباط بالعراق الخاضع للدولة العثمانية كولاية من ولاياتها المتعددة فى الوطن العربى وفى أوروبا .

وكانت قوات محمد على والى مصر العثمانى قد امتد نشاطها ووجودها إلى الأحساء بعد عام ١٨١٩م ، وتعامل مبعوث هذا الوالى مع شيخ البحرين ومع الشيخ جابر حاكم الكويت تعاملاً تعاونياً دون أن يكون لمصر قوات عسكرية فى البحرين أو الكويت .

وتمثل تعاون الشيخ جابر الصباح مع مبعوث محمد على فى عقد اتفاقية لإمداد القوات المصرية فى نجد الأحساء بالأموال والمواد الغذائية وعندما وصل مبعوث محمد على إلى الكويت استطاع أن يرسل من هناك عدة سفن محملة بالأغذية وخاصة الشعير، كما استطاع أن يجمع معلومات عن الكويت والجنوب العراقى المطل على الخليج ، وقد استطاع هذا المبعوث أيضاً أن يحصل على تقدير حاكم الكويت حتى أنه كان يأخذ مكان الصدارة فى مجلس الحاكم .

ونتج عن التعاون بين الشيخ جابر الصباح ومبعوث محمد على استخدام قيادة قوات محمد على فى الأحساء سفن الأسطول الكويتى الكبير والمجهز تجهيزاً جيداً فى نقل شحنة من الأسلحة والأعتدة العسكرية من ميناء الحديدة باليمن إلى ميناء القطيف بالأحساء فى شهر نوفمبر عام ١٨٣٩م .

وكان من الطبيعى أن ينعكس هذا التعاون المصرى الكويتى على العلاقة بين الكويت وحكومة الهند البريطانية التى كانت تسعى للانفراد بالنفوذ فى المنطقة دون سائر القوى الأخرى ، ولذلك استاءت حكومة الهند البريطانية من استقبال الشيخ جابر الصباح للمبعوث المصرى بالكويت استقبالاً طيباً منذ عام ١٨٣٨ ، مما فسره البريطانيون كتبدل لموقف الشيخ

جابر الذي لم يستقبل الملازم «إدمونز» مساعد المقيم العام البريطاني في الخليج الاستقبال الودي المعهود، عندما وصل إلى الكويت في نوفمبر عام ١٨٣٩م.

ونظراً لأن البريطانيين لم يشاءوا توجيه إنذار للشيخ جابر، على غرار الإنذارات البريطانية لحاكم الشارقة وحاكم البحرين اللذان تعاونا أيضاً مع قوات محمد علي، فقد التمسوا للشيخ جابر الصباح العذر بأن مسلكه مع الملازم إدمونز» لم يكن صادراً عن نوايا سيئة نحو البريطانيين، لكنه كان يهدف إلى خداع الوكيل المصري – مبعوث محمد علي – عن حقيقة العلاقة القائمة بينه، أي بين الشيخ جابر وبين السلطات البريطانية. وهو تبرير فيه من خداع النفس وقبول الأمر الواقع من جانب البريطانيين أكثر من الحقيقة التي عرفها مساعد المقيم العام البريطاني «إدمونز».

وعندما انسحبت قوات محمد علي والي مصر ليس فقط من منطقة الخليج بل من كل شبه الجزيرة العربية بعد أزمة عام ١٨٤٠م، استعانت الدولة العثمانية ١٨٤٥م بالشيخ جابر الصباح لحماية ميناء البصرة بأسطول الكويت الكبير والقوي.

وحقاً حاول والي بغداد العثماني محمود نامق باشا الذي تولى الباشوية في الفترة من عام ١٨٦٦م إلى عام ١٨٦٩م مد النفوذ العثماني إلى الكويت عن طريق إنشاء جمرك وإدخال نظم الإدارة العثمانية وإسناد منصب القائمقامية إلى أمير الكويت، ولكن هذه المحاولة لم يكتب لها الإستمرار حيث رأى شيخ الكويت قضاء على مكانة الكويت لحساب البصرة، واستمر ميناء الكويت يباشر دوره الاقتصادي المتميز بالمنطقة.

ومع ذلك ساهم الشيخ عبدالله الصباح منذ عام ١٨٧٠م في مساندة حملة مدحت باشا والي بغداد العثماني على الأحساء ومنطقة الخليج ووافق على قبول الفرمان العثماني باعتبار الكويت سنجقية مستقلة استقلالاً ذاتياً، وتشكل قضاء عثماني بالكويت تتوارثه أسرة الصباح وتلقب شيوخ آل الصباح في ظل هذا التنظيم لقب قائمقام أسرة بالشيخ قاسم بن محمد آل ثاني شيخ قطر.. وذلك في إطار تجنب الصراع بين البريطانيين والعثمانيين

حول المنطقة .. وتمشياً مع فكرة الجامعة الإسلامية التى روجت لها الدولة العثمانية ورأى فيها الحكام المسلمون دعوة مقبولة ومناسبة لمقاومة الأطماع الإستعمارية بموقف إسلامى واحد.

فكما قبل الشيخ عبد الله الصباح منصب القائمقام بالكويت قبل الشيخ قاسم ابن محمد آل ثانى نفس المنصب فى مشيخة قطر ورفع العلم العثمانى على داره فى الدوحة منذ عام ١٨٧١م رغم معارضة والده الشيخ محمد الذى ظل يرفع العلم العربى على بيته وكان العثمانيون قد أرسلوا قوة عسكرية إلى شبه جزيرة قطر فى ذلك العام بأمر مدحت باشا والى العراق العثمانى بعد أن احتلت القوات العثمانية ميناء القطيف بالأحساء.

ويبدو أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى قبل التعاون مع العثمانيين بحكم أنهم القوة البرية الإسلامية التى تعاون معها من قبيلة آل الصباح بالكويت وأنه قبل مثل الشيخ عبدالله الصباح ـ بالوجود العثمانى من أجل مناوأة سيطرة بريطانيا البحرية فى الخليج، ويدل على ذلك التحركات المحمومة للمقيم العام البريطانى ومساعده فى الخليج عقب نزول القوات العثمانية ورفع العلم العثمانى فى الكويت وفى الدوحة.

وقد أصبحت قطر قائمقامية تتبع لواء الأحساء الذى يحكمه متصرف يخضع لوالى ولاية البصرة ـ كما كانت الكويت تابعة لوالى البصرة العثمانى ـ ويتبع قائمقامية قطر بعض القرى الصغيرة على رأس كل منها مدير يخضع إلى قائمقام قطر. وكان الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى أول قائمقام عثمانى لقطر عام ١٨٧٦م، طالما لايتدخل العثمانيون فى زعامته الداخلية.

ومع ذلك فعندما حاول العثمانيون إحكام قبضتهم على قطر حدث صدام بين قوة العثمانيين الموجودة بقطر وقوات الشيخ قاسم بن محمد آل ثانى فى ٢٦ مارس ١٨٩٣م كانت نتيجتها إلحاق الهزيمة بالقوات العثمانية وعزل والى البصرة العثمانى الذى دبر الهجوم على قطر وأدار المعركة بنفسه ويدعى محمد حافظ باشا.

هذا نموذج للعلاقة بين العثمانيين ومشيخات الخليج وفيه تشابه بل تطابق بين قطر والكويت فى علاقة كل منها بالدولة العثمانية وليس بالعراق ، وإذا كانت ولاية البصرة العثمانية تشرف على هذه العلاقة فإن ذلك لصالح الدولة العثمانية وليس لصالح العراق .. فالعراق خاضع للسيادة العثمانية على نفس المستوى بخضوع مشيخات الخليج للسيادة العثمانية ، ولم يكن ولاة العراق العثمانيين عراقيون بل كانوا عثمانيين ينفذون سياسة بغداد ، حيث كانت الأخيرة مركز ولاية وليست عاصمة دولة .

ومن هذا المنطلق نقول إن الكويت لم تكن جزءاً من العراق فى العهد العثمانى كما لم تكن قطر جزءاً من العراق فى نفس العهد ، ومن ثم فإن الإدعاء بأن الكويت كانت خاضعة لمتصرفية البصرة أو ولاية البصرة فى العهد العثمانى بما يجعلها أى الكويت جزءاً من العراق ادعاء غير صادق وتبرير لاجتياح نظام الحكم الحالى فى العراق لأرض الكويت ، وهو تبرير غير منطقى لايمكن قبوله ، وإلا اختلطت الأمور وظهرت دعاوى مماثلة كالقول بأن العراق نفسه كان مقر كسرى أنوشروان امبراطور فارس !!

ونأتى الآن لفترة مابعد الحرب العالمية الأولى حيث صار العراق خاضعاً للانتداب البريطانى بموجب معاهدة سان ريمو عام ١٩٢٠م حيث أن العراق الذى انتهى حكم الدولة العثمانية عليه بهزيمتها فى الحرب العالمية الأولى ، بموقعه على رأس الخليج مركز هام فى شبكة المواصلات البرية والجوية بين الشرق والغرب ، ثم كان لظهور البترول وماله من أهمية استراتيجية كمادة أولى فى تسيير آلة الحرب الميكانيكية الحديثة ، وأهمية اقتصادية فى استثمار رؤوس الأموال البريطانية ، والعراق خزان هائل للبترول عصب الحضارة فى القرن العشرين . وكان اهتمام البريطانيين بالعراق بعد الحرب العالمية الأولى قائماً على تقديرهم لهذه العوامل الجديدة مجتمعة فعملوا على أن يمتد نفوذهم الجديد على العراق كله .

ولذلك فقد قررت دول الوفاق المنتصرة فى معارك الحرب العالمية الأولى وضع العراق تحت الانتداب استناداً إلى معاهدة سيفر ١٩٢٠م والتى نصت على فصل العراق عن الدولة العثمانية ، والاعتراف به دولة مستقلة بشرط أن

تتولى إدارتها دولة منتدبة طبقاً لما نصت عليه المادة ٢٢ من معاهدة (فرساى) الموقعة فى ١٨ يونيو عام ١٩١٩م.

وبعد ثورة العراق ضد الانتداب البريطانى فى يونيو عام ١٩٢٠م تقرر فى مؤتمر القاهرة فى مارس ١٩٢١م أن يكون فيصل بن الشريف حسين ملكاً على العراق. وتمت مبايعته فى ٢٣ أغسطس عام ١٩٢١م إثر استفتاء نظمته السلطات البريطانية فى العراق وقد تشكلت أول حكومة عراقية مؤقتة برئاسة عبد الرحمن الكيلانى فى أكتوبر عام ١٩٢١م. ثم عقدت معاهدة تحالف بين الحكومة العراقية والحكومة البريطانية فى عام ١٩٢٢ تم التصديق عليها بعد عامين أى ١٩٢٤م. ومع ذلك ظلت بريطانيا تسيطر على مقدرات الأمور بالعراق بوجود قوات وقواعد بريطانية على أرض العراق أحبطت كل انتفاضة وطنية بالعراق.

وقد ظل النفوذ البريطانى بالعراق مسيطراً حتى قامت ثورة عام ١٩٥٨م بهدف تخليص العراق من هذا النفوذ الأجنبى وإجلاء القواعد الأجنبية من على الأرض العراقية ولم نسمع طوال تلك الفترة أى من عام ١٩٢٠ ـ عام فرض الإنتداب البريطانى على العراق ـ حتى قيام ثورة ١٤ يوليو عام ١٩٥٨م أية إدعاءات بأن الكويت جزءاً من العراق.

أما عن الكويت فى هذه المرحلة فإنه كان لآل صباح علاقة طيبة مع البريطانيين من ممثلى شركة الهند الشرقية البريطانية الذين استفادوا من الكويت منذ عام ١٧٧٥م فى إرسال واستلام مراسلات الشركة البريطانية، واستمرت العلاقات طيبة ـ كما رأينا من قبل ـ حتى نقلت وكالة الشركة من البصرة إلى الكويت، وساعدت الشركة آل صباح فى صد زحف الوهابيين حملة رسالة الإصلاح السلفية على الكويت، وأظهر شيخ الكويت استعداده للمشاركة مع البريطانيين فى حملاتهم الحربية ضد القواسم فى رأس الخيمة.

واتساقاً مع هذه العلاقات عرض الشيخ مبارك آل صباح منذ أن وصل إلى السلطة فى الكويت عام ١٨٩٦م أن يدخل فى حماية بريطانيا، ورغم تردد بريطانيا فى قبول هذا العرض حرصاً على علاقتنا مع تركيا إلا أنها

سارعت عام ١٨٩٩م إلى عقد معاهدة مع شيخ الكويت على نفس نسق المعاهدات مع كل من مسقط والبحرين، تضع الكويت تحت حماية بريطانيا. وجاءت هذه المسارعة البريطانية بسبب ظهور نشاط روسى فى الخليج عام ١٨٩٨م لمد خط حديدى من البحر المتوسط إلى الخليج وبناء محطة للفحم وميناء فى الكويت.

كما كان لظهور النشاط الألمانى فى العراق وتوقع امتداده إلى الخليج والمتمثل فى الامتياز الذى حصلت عليه ألمانيا من الدولة العثمانية بمد خط حديدى من برلين إلى بغداد فالبصرة، كان لذلك أثره فى تدعيم الوجود البريطانى فى الخليج والعراق، فعقدت بريطانيا مع شيخ الكويت عدة اتفاقيات أحكمت النفوذ البريطانى هناك نظير اعتراف بريطانيا بإمارة الكويت بحدودها الحالية واعترافها كذلك بآل صباح حكاماً يتوارثون السلطة هناك، وظل الحال كذلك أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها.

وهنا تأتى المقابلة.. العراق يخضع للنفوذ البريطانى فى النصف الأول من القرن العشرين ويتولى الحكم فيه رجال ارتبطوا بصداقة بريطانيا أمثال نورى السعيد ومحمد فاضل الجمالى وغيرهما، هل يمكن لهما أو لغيرهما من حكام العراق قبل ثورة عام ١٩٥٨م التطلع للكويت المشمول بالحماية البريطانية؟ هل يمكن لرجال الحكم فى العراق الذين وقعوا حلف بغداد المعادى للتحرز العربى أن يصطدموا بالغرب أعضاء حلف بغداد والذين يرتبطون مع الكويت باتفاقات حماية وامتيازات؟

بأى منطق يقول نظام الحكم فى العراق أن له حقاً تاريخياً فى الكويت؟ ولماذا سكتت حكومات العراق المتعاقبة منذ عام ١٩٢١م حتى عام ١٩٦١م عندما بدأ عبد الكريم قاسم مغامرته بالتهديد بالاستيلاء على الكويت؟.. أربعون عاماً ولم تخرج ادعاءات من بغداد بأن هناك حقاً تاريخياً للعراق فى الكويت ثم يدعى عبد الكريم قاسم حاكم العراق مدعى الثورية والعروبة أن الكويت جزء من العراق ويعلن قراراً بضم الكويت إلى العراق وتعيين حاكم الكويت محافظاً على بلاده من قبل حاكم العراق

براتب شهري قدره خمسين ديناراً.. أليس هذه سخرية من سخريات القدر؟"..

لماذا اختار عبد الكريم قاسم حاكم العراق عام ١٩٦١م ليعلن ادعائه على الكويت بعد أن مر على قيام ثورة العراق ثلاث سنوات؟ إن ادعاء عبد الكريم قاسم بالنسبة للكويت جاء بعد أن أعلنت كل من بريطانيا والكويت اتفاقهما على إنهاء العمل بمعاهدة الحماية الموقعة بين الطرفين عام ١٨٩٩م، وبذلك صارت الكويت دولة مستقلة ذات سيادة واعترفت بهذا الاستقلال بريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب مصر والمملكة العربية السعودية ومعظم الأقطار العربية..

جاءت دعوى عبد الكريم قاسم بأن للعراق حقاً تاريخياً في الكويت وأن الكويت جزء من العراق مشابهة للدعوى الباطلة التي أثارها حاكم العراق الطاغي صدام حسين بعد حوالي ثلاثين سنة من الإدعاء الأول.. وإذا كان ادعاء عبد الكريم قاسم قد تم إفشاله بموقف مصر والمملكة العربية السعودية وبريطانيا فلم يجرؤ حاكم العراق أن يتقدم بقواته نحو حدود الكويت، فإن حاكم العراق الطاغي صدام حسين غزا الكويت أولاً ثم ادعى أن للعراق حق تاريخي في الكويت، وكأنه وعى الدرس من محاولة عبد الكريم قاسم... وياليته درس للعدالة والحق وليس درساً في الضلالة والبطالة؟

إن حكام العراق الذين وقفوا ضد استقلال الكويت أوائل الستينات من القرن الحالي لم ينجحوا كما رأينا في فرض ادعاءاتهم بأن الكويت جزء من الأرض العراقية ولذلك لا يمكن أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة، ولكن حكام العراق اضطروا في ٤ أكتوبر ١٩٦٣م إلى الاعتراف باستقلال الكويت تحت حكم آل صباح وسحبوا اعتراضاتهم على انضمام الكويت إلى كل من الجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة..

هكذا رأينا عبر مراحل التاريخ أنه لم يكن للعراق سيطرة على الكويت وبمعنى آخر لم تكن الكويت جزءاً من العراق تحت حكم العراقيين... وبذلك ينتفي الإدعاء العراقي بأن للعراق حق تاريخي في الكويت.

وبالتالى نستطيع القول أن هذا الإدعاء دعوى شيطانية تهدف إلى الاجتياح والاغتصاب والتدمير لكل شىء وكل قيمة تحرص عليها العروبة ويدعو إليها الإسلام.

وإذا كان نظام الحكم العراقى يدعو إلى ضم الكويت إلى العراق بدعوى أن الكويت كان قضاء من أقضية ولاية البصرة فى العهد العثمانى فلماذا لا يتحدثون عن ضم العراق نفسه إلى تركيا وريثة الدولة العثمانية.. إذا أخذنا بمقولة وادعاء نظام الحكم العراقى بشأن الحق التاريخى فإن العراق نفسه يصبح من ممتلكات الجمهورية التركية الحالية. إذ نحن نعلم أن العراق ظل خاضعاً للأتراك العثمانيين طوال أربعة قرون من عام ١٥١٤م حتى عام ١٩٢٠م عندما فرض الإنتداب البريطانى على العراق وإنهاء السيادة العثمانية عليه.

إذن نحن أمام دعوى شيطانية تذكرنا بعصور تاريخية خلت على امتداد العالم أذاقت العالم ويلات حروب أفنت الأخضر واليابس وأفنت ملايين البشر. ونحن الآن على مشارف القرن الحادى والعشرين وقد خطا العالم نحو التنمية ومواجهة تحديات التكنولوجيا المعاصرة، ومن ثم فإن دعوى صدام حسين الشيطانية بالحق التاريخى للعراق فى الكويت لا تتناسب مع العصر ولا يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون.

الفكرة تاريخياً:

■ وهنا نتساءل؟ هل الحق التاريخى مبرر لاجتياح الدول؟

للإجابة على هذا التساؤل نقول إن فكرة الحق التاريخى استخدمتها بعض الدول فى عصور تاريخية مختلفة ولكن كان يلحق بها الفشل فى كثير من الأحيان حيث أدى هذا الإدعاء إلى الإثارة وعدم الاستقرار فى العلاقات الدولية، ومن ثم تنشب الحروب المدمرة بين الأقطار.

■ وإذا أسلمنا جدلاً بصحة فكرة الحق التاريخى وضرورة تطبيقها فهل يقبل نظام الحكم فى بغداد تطبيق هذه الفكرة على العراق نفسه وعلى غيره؟

- لقد كان مقر إيوان كسرى أنوشروان امبراطور فارسي بأرض العراق فهل نوافق على ضم العراق لإيران لو طالبت بالحق التاريخي. وهل نوافق إيران إذا ادعت أن العراق فى العصر الحديث كان جزءاً منها زمن الشاه إسماعيل الصفوى من عام ١٥٠٨ ولمدة قرن ونصف من الزمان.

- لقد كان العراق جزءاً من الدولة العثمانية منذ أوائل القرن السادس عشر ولمدة أربعمائة عام حتى فرض الانتداب البريطانى على العراق بموجب قرارات موتمر سان ريمو عام ١٩٢٠م. فهل نعطى لتركيا المعاصرة وريثة الدولة العثمانية أرض العراق حلالاً تطبيقاً لفكرة الحق التاريخى!
- لقد حكمت الدولة العثمانية أجزاء كثيرة من الوطن العربى إلى جانب العراق منها مصر والشام بأجزائه السياسية المعروفة الآن وهى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، وليبيا وتونس والجزائر واليمن وبعض أقطار الخليج العربية والحجاز، فهل نسمح لتركيا الآن المطالبة بضم هذه الأقطار إليها استناداً إلى فكرة الحق التاريخى؟
- حكم المسلمون بلاد الأندلس لمدة قاربت على ٨٠٠ سنة حتى أخرجهم منها الأسبان بسقوط آخر معاقل المسلمين هناك وهى غرناطة عام ١٤٩٢م، فهل توافق أسبانيا على فكرة الحق التاريخى فتقبل أن تفقد استقلالها وتضع نفسها تحت سيادة أية دولة عربية أو إسلامية.

- ولقد حكم الاسكندر الأكبر ومن بعده البطالمة امبراطورية شاسعة فى العالم سواء فى أوروبا أو فى آسيا وأفريقيا وكانت معظم أقطار المشرق العربى جزءاً من هذه الإمبراطورية. فهل سمعنا من دولة اليونان المعاصرة وريثة الاسكندر والبطالمة أى إدعاء بحقها التاريخى فى أى جزء من أجزاء امبراطورية الإسكندر والبطالمة؟
- ولقد حكم الرومان من روما امبراطورية كبرى فى أوروبا وأفريقيا وآسيا وكانت أقطار شمال أفريقيا جزءاً من هذه الامبراطورية إلى جانب مصر واليمن، فهل سمعنا من إيطاليا وريثة الامبراطورية الرومانية ـ اللهم إلا فترة موسولينى ـ الإدعاء بالحق التاريخى فى أى جزء من الأجزاء التى كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية.

• ولقد حكم ملوك مصر الفرعونية مصر والشام وشمال السودان لفترات من التاريخ خاصة زمن كل من أحمس وحتشبسوت وتحتمس الثالث ورمسيس الثانى وغيرهم .. فهل سعت مصر إلى المطالبة بالحق التاريخى فى هذه الأقطار؟ بالقطع لم يحدث.

• اجتاح الامبراطور نابليون الأول امبراطور فرنسا فى المدة من عام ١٨٠٤ إلى عام ١٨١٥م معظم دول غرب أوروبا مثل ألمانيا (الامارات الألمانية ومملكة بروسيا) والنمسا وإيطاليا وبولندة وبلجيكا وهولندا وأسبانيا والبرتغال وضمها إلى فرنسا، فهل سمعنا من حكومة فرنسا الحاضرة المطالبة بميراث الامبراطور نابليون الأول فى أوروبا الغربية؟

• حكمت بريطانيا مستعمرات لها فى أمريكا وفى أفريقيا وفى آسيا، وصارت هذه المستعمرات دولاً مستقلة مثل الولايات المتحدة الأمريكية والأقطار العربية المستقلة والأقطار الآسيوية، فهل تسمح هذه الدول المستقلة بأى ادعاء بريطانى بالحق التاريخى لبريطانيا وتعود عجلة الزمن إلى الوراء من جديد إلى عصر المستعمرات؟

• كما أن فرنسا كونت مستعمرات لها فى أمريكا وفى أفريقيا وفى آسيا، ثم استقلت هذه الأقطار الآن، فهل نوافق نحن شعوب الأقطار التى خضعت للإستعمار الفرنسى بالعودة إلى أحضان فرنسا كجزء منها كما كنا؟

• واحتلت إيطاليا أجزاء من أفريقيا مثل ليبيا وأرتيريا والصومال الجنوبى ثم إثيوبيا خلال سنوات من القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين فهل نسمح لإيطاليا الآن المطالبة بالسيطرة من جديد على مستعمراتها السابقة هذه؟

• حقيقة حاول زعيم إيطاليا الدكتاتور الفاشى موسولينى فى الفترة من عام ١٩٢٢ إلى سقوطه عام ١٩٤٣م إحياء الامبراطورية الرومانية القديمة فى ظل فكرة الحق التاريخى. ولكن النتيجة كانت سقوطه وخسارة كبيرة لحقت بالشعب الإيطالى والأرض الإيطالية.

• وحقيقة حاول زعيم ألمانيا الدكتاتور هتلر النازى فى الفترة من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٤٥م إحياء الامبراطورية الجرمانية بضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندة ادعاء بالحق التاريخى وبأن هذه الأقطار تسكنها شعوب ألمانية،

ثم التوسع فى أوروبا على حساب فرنسا وبلجيكا وهولندة ثم شرق أوربا كله حتى الاتحاد السوفييتى، ثم الامتداد إلى أقطار شمال أفريقيا فى طريقه إلى مصر، مدعياً أنه وريث الامبراطورية الجرمانية التى حكمت فى العصور الوسطى.. فماذا كانت النتيجة؟ خراب العالم وخراب ألمانيا وإذلالها بعد الحرب العالمية الثانية وانهيار النظام النازى وانتحار هتلر نفسه.

هذه أمثلة سقتها لكى نعرف مدى الجريمة التى ساق صدام حسين العراق والأمة العربية والإسلامية إليها.. جريمة أسماها الحق التاريخى كانت نتيجتها كما رأينا وعاصرنا تدمير للعراق وقتل لأبناء الكويت والعراق واستنزاف لخيرات وإمكانات الأقطار العربية المتمسكة بالحق والعدل.

▪ ونصل إلى تساؤل آخر عن موقف دول العالم من ادعاء صدام حسين بالحق التاريخى للعراق فى الكويت. حيث لم يحدث فى التاريخ منذ نشأة هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م أن اتحدت دول العالم كما اتحدت ضد اجتياح قوات صدام حسين لأرض الكويت.

فقد أجمعت شعوب الأمة الإسلامية والتى مثلها وزراء خارجية الدول الإسلامية الذى كان مجتمعاً بالقاهرة عند حدوث الاجتياح العراقى للكويت وأصدر المؤتمر بياناً استنكر فيه غزو الجيش العراقى للكويت، وطالبه بانسحابه وعودة حكومة الكويت الشرعية إلى ممارسة دورها فى حكم الكويت وفى التعامل على المستوى العربى والإسلامى والعالمى.

كما أن مؤتمر القمة العربية الذى عقد بالقاهرة بدعوة من الرئيس محمد حسنى مبارك يوم ١٠ أغسطس قرر تنفيذ قرارات مجلس الجامعة العربية المنعقد بالقاهرة على مستوى وزراء الخارجية يومى ٢ و٣ أغسطس ١٩٩٠م بانسحاب القوات العراقية من أرض الكويت وعودة الحكم الشرعى، كما قرر مؤتمر القمة تنفيذ قرارات مجلس الأمن أرقام ٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٢ بوصفها تعبيرا عن الشرعية الدولية. وأدان المؤتمر العدوان العراقى على الكويت وطالب العراق بسحب قواته من الكويت. واستنكار المؤتمر لطلب

المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية الأخرى بنقل قوات عربية لمساندة القوات المسلحة فيها دفاعاً عن أراضيها وسيادتها الإقليمية ضد أى عدوان خارجى .

ولا يقلل من قوة وقيمة قرارات القمة العربية ومجلس الجامعة العربية رفض العراق لها ، أو تحفظ بعض الأقطار العربية على مسألة تدويل المشكلة وعلى الاستعانة بقوات صديقة غير عربية . فإن هذه القرارات الحاسمة وجدت تجاوباً من معظم الدول العربية ومن الدول الإسلامية ومن دول العالم شرقه وغربه ، حيث سارعت مصر وسوريا والمغرب بإرسال قوات عسكرية إلى المنطقة تنفيذاً لهذه القرارات .

مواقف دول العالم

وبالنسبة لمواقف دول العالم ، فإن قرارات مجلس الأمن الدولى بالحصار الاقتصادى براً وبحراً وجواً تدل على رفض دول العالم واستنكاره لاجتياح قوات صدام حسين لأرض الكويت وتشريد أهلها ، والمطالبة بانسحاب القوات الغازية وعودة الحكم الشرعى ، وإسقاط دعوى صدام حسين بأن للعراق حقاً تاريخياً فى الكويت .

كما أن التأييد الفورى من الولايات المتحدة الأمريكية للشرعية فى الكويت ومساندة المملكة العربية السعودية ضد التهديدات العراقية ، لم يكن وحده ضد الاجتياح العراقى لأرض الكويت ، لقد جاءت قرارات الحكومة الأمريكية متتالية لمواجهة الغزو العراقى للكويت بالادعاء بالحق التاريخى إذ جمدت الودائع المالية والممتلكات الكويتية والعراقية فى الولايات المتحدة وفروع المؤسسات الأمريكية فى الخارج يوم ٢ أغسطس .

كما أمر الرئيس الأمريكى « جورج بوش » يوم ٨ أغسطس الطائرات الحربية والقوات العسكرية الأمريكية بالتوجه إلى المملكة العربية السعودية لمساعدتها فى الدفاع ضد أى هجوم عراقى محتمل ، وذلك بناء على طلب من السعودية ، وأعلن رفض الولايات المتحدة الأمريكية لقرار العراق ضم

الكويت، وفى ١٧ أغسطس بدأت الولايات المتحدة تنفيذ العقوبات الاقتصادية ضد العراق بالقوة إذا دعت الضرورة لذلك.

وفى ٢٢ أغسطس أعلنت المصادر الرسمية الأمريكية أن القوات الأمريكية فى منطقة الخليج تقترب من مائة ألف جندى، وأصدر الرئيس «جورج بوش» أوامره باستدعاء احتياطى الجيش الأمريكى الذى يقدر بنحو ٤٠ ألف جندى لتعزيز القوات الأمريكية فى الخليج. وفى اليوم التالى ــ ٢٣ أغسطس ــ أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن هيئة قيادة أركان القوات الأمريكية فى الخليج بدأت انتشارها فى المنطقة. وفى اليوم التاسع والعشرين من نفس الشهر أعلن الكونجرس الأمريكى بمجلسيه الشيوخ والنواب تأييده لسياسة الرئيس «بوش» فى مواجهة الغزو العراقى للكويت، كما رفضت الحكومة الأمريكية اقتراح الرئيس العراقى صدام حسين باجراء مفاوضات مباشرة مع الرئيس الأمريكى جورج بوش.

وأما موقف المملكة المتحدة ــ أى بريطانيا ــ من ادعاء صدام حسين بالحق التاريخى للعراق فى الكويت، كتبرير لغزو القوات العراقية أرض الكويت وتشريد أهله، فقد تمثل فى إعلان صدر عن الحكومة البريطانية فى ٩ أغسطس عن اشتراك القوات البريطانية المسلحة فى قوة متعددة الجنسيات للعمل فى منطقة الخليج، كما رفضت اقتراح صدام حسين باجراء مفاوضات مباشرة بينه وبين السيدة «مارجريت تاتشر» رئيسة وزراء بريطانيا، هذا إلى جانب اشتراك المملكة المتحدة فى قرارات مجلس الأمن لفرض الحصار الاقتصادى الشامل ضد العراق، وتجميد أرصدة العراق والكويت فى البنوك البريطانية وفروع المؤسسات البريطانية فى الخارج.

وأما فرنسا فقد تشابه موقفها مع موقف كل من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وخاصة استنكار الغزو العراقى للكويت تحت أى ادعاء سواء كان حقاً تاريخياً كما يذكر صدام حسين أو غير ذلك، والمطالبة بانسحاب القوات العراقية من الكويت، وترك الشعب الكويتى حراً فى التعامل مع حكومته الشرعية.

وجاءت إجراءات الحكومة الفرنسية منسجمة مع الإجراءات العالمية، فقد شاركت فى استصدار القرارات عن مجلس الأمن بفرض الحصار الاقتصادى ضد العراق، وفى تجميد الأرصدة العراقية والكويتية فى البنوك والمؤسسات الفرنسية داخل وخارج فرنسا، والاشتراك بقوة عسكرية ضمن القوات متعددة الجنسيات المرسلة إلى الخليج لتخليص الكويت من قبضة نظام الحكم العراقى الغاشم، وإيقاف تهديداته للمملكة العربية السعودية ولبقية أقطار الخليج العربى الأخرى، وبدأت المشاركة الفرنسية بوحدة عسكرية قوامها مائة جندى وست طائرات مروحية إلى المملكة العربية السعودية تتزايد طبقاً لتطور الأمور، وقد تزايدت بالفعل القوة المسلحة الفرنسية طوال شهور الأزمة.

وبالنسبة لموقف الاتحاد السوفييتى المعروف بصداقته لنظام الحكم العراقى فى إطار معاهدة للصداقة والتحالف بين البلدين، فقد تمثل هذا الموقف من اجتياح الجيش العراقى لأرض الكويت فى مطالبة بيان سوفييتى أمريكى مشترك صدر فى موسكو يوم ٣ أغسطس عن محادثات وزيرى خارجية البلدين بانسحاب القوات العراقية الفورى وغير المشروط من الكويت وعودة السيادة الكاملة لهذا البلد.

وفى ٩ أغسطس أدان الاتحاد السوفييتى قرار العراق بضم الكويت، وطالب بعمل جماعى تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة للرد على هذا الموقف، كما أكدت الحكومة السوفييتية معارضتها استخدام القوة لإنهاء أزمة الخليج. وفى ١٧ أغسطس أكد «إدوارد شيفرنادزة» وزير الخارجية السوفييتى آنذاك أن حكومته سترسل قوات عسكرية إلى منطقة الخليج إذا اتخذ مجلس الأمن قراراً بتشكيل وإرسال قوات متعددة الجنسيات إلى هناك لمواجهة الأزمة التى فجرها غزو العراق للكويت.

كما أن الرئيس السوفييتى «ميخائيل جورباتشوف» هدد يوم ٢٤ أغسطس فى رسالة منه إلى الرئيس العراقى صدام حسين بأن المجتمع الدولى ممثلاً فى مجلس الأمن سيكون مضطراً لاتخاذ إجراءات إضافية لإرغام العراق

على الإلتزام بقرارات المجلس والمتعلقة بضرورة الانسحاب من الكويت وإطلاق سراح جميع الرعايا الأجانب.

وأما موقف دول المجموعة الأوروبية فقد جاء منسجماً مع الموقف الدولى باستنكار الغزو العراقى للكويت تحت أى ادعاء من جانب صدام حسين وحكومته، والمطالبة بالانسحاب العراقى من الكويت وعودة الحكومة الشرعية، وتأييد قرارات مجلس الأمن بإحكام الحصار الاقتصادى حول العراق حتى تنسحب القوات العراقية، ومساندة المملكة العربية السعودية وأقطار الخليج العربية ضد تهديدات صدام حسين.

وكان موقف منظمة الوحدة الأفريقية مؤيداً للشرعية الدولية برفض اجتياح العراق للكويت والمطالبة بانسحاب القوات الغازية من أرض الكويت وعودة الحكومة الشرعية، وعدم الاعتراف بادعاء صدام حسين بالحق التاريخى للعراق فى الكويت، وتأييد قرارات مجلس الأمن الدولى بفرض الحصار على العراق، ومساندة حكومات المملكة العربية السعودية وأقطار الخليج العربية الأخرى ضد التهديدات العراقية.

وأما تركيا فقد استنكرت الغزو العراقى للكويت تحت أى ادعاء سواء كان حقاً تاريخياً أو انقلاباً عسكرياً أو سياسياً، وأيدت قرارات مجلس الأمن بإحكام الحصار الاقتصادى ضد العراق. كما قررت الحكومة التركية يوم ٧ أغسطس إغلاق خط أنابيب البترول الممتد من كركوك والموصل عبر أراضيها ووقف جميع أعمال الاستيراد والتصدير مع العراق والكويت تحت الاحتلال. كما صرح مسئول تركى كبير بالقوات المسلحة بأن تركيا وضعت قواتها الجوية فى حالة تأهب، وألغت جميع الأجازات لمواجهة احتمالات حدوث أى توتر فى الخليج، وأصبحت القوات التركية المسلحة فى حالة استنفار كامل أمام تهديدات نظام الحكم العراقى للمملكة العربية السعودية ولأقطار الخليج العربية الأخرى.

وكان موقف إيران الجارة غير العربية الثانية من ادعاءات صدام حسين بالحق التاريخى للعراق فى الكويت تبريراً للغزو مثار تساؤل من الجميع حيث حاول صدام حسين كسب تعاطف إيران معه أمام الموقف الدولى

الرافض لإدعاءاته وقطاته بالكويت. ولكن رغم المفاجأة المذهلة التي أعـ[illegible]
صدام حسين بانسحاب القوات العراقية من الأرض الإيرانية وإطلاق [illegible]
الأسرى الإيرانيين دون قيد أو شرط، والاعتراف بحق إيران في مياه شـ[illegible]
العرب بموجب اتفاقية الجزائر للعام ١٩٧٥م، لقد تمثل الموقف الإيراني [illegible]
الميدانية في الآتي:

١ـ أعلنت إيران يوم ٩ أغسطس رفضها قرار العراق بضم الكويت. وقال بيان حكومي أن إيران بوصفها دولة كبرى بمنطقة الخليج لن تسمح بتغيير جغرافية المنطقة السياسية.

٢ـ وفي ١١ أغسطس دعت إيران إلى حل إقليمي لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت بالتعاون بين إيران ودول الخليج العربية.

٣ـ وفي ١٦ أغسطس أكد الرئيس الإيراني «علي أكبر رافسنجاني» أن السلام مع العراق قضية منفصلة تماماً عن قضية العدوان العراقي على الكويت.

٤ـ وفي ١٩ أغسطس طالبت إيران من السكرتير العام للأمم المتحدة تكليف قوات حفظ السلام المنتشرة على الحدود الإيرانية العراقية بالإشراف على انسحاب القوات العراقية إلى الحدود الدولية بين البلدين.

٥ـ وفي ٢١ أغسطس أكملت القوات العراقية انسحابها من الأرض الإيرانية التي كانت تحتلها والتي تقدر مساحتها بـ ٢٥٠٠ كيلومتر مربع.

٦ـ وفي ٢٦ أغسطس أكمل العراق تسليم جميع أسرى الحرب الإيرانيين المسجلين لديه، وبعد الزيارات المتبادلة بين المسؤلين العراقيين والإيرانيين في محاولة من حكام بغداد للتحالف مع حكام طهران لمواجهة الموقف العالمي والحصار الاقتصادي المفروض على العراق بسبب غزوه للكويت.

٧ـ ورغم المعارضة الإيرانيين ضد وجود القوات العربية والاسلامية والدولية في مياه الخليج وفي أراضي المملكة العربية السعودية، فإن الحكومة

الإيرانية رفضت الاعتراف بضم العراق للكويت، وطالبت بانسحاب القوات العراقية من أرض الكويت.

٨- ثم كانت عملية هبوط الطائرات المدنية والحربية العراقية فى مطارات إيران بعد بدء عملية عاصفة الصحراء لتثير تساؤلات حول حقيقة الموقف الإيرانى من الأزمة.

٩- وأخيراً يأتى الاعتراض الإيرانى على اشتراك مصر فى ترتيبات أمن الخليج، علماً بأن مصر تمثل عمقاً استراتيجياً للملكة العربية السعودية، كما تمثل سوريا نفس العمق الاستراتيجى للمملكة.. هذا الموقف الإيرانى يثير تساؤلات أخرى؟

المقارنــة

بعد أن استعرضنا كيف ادعت الصهيونية بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين وحققت هذا الادعاء على حساب عرب فلسطين، وموقف الأطراف العربية من هذا الإجراء الإسرائيلى المدعوم من قوى عالمية، وكيف ادعى صدام حسين بالحق التاريخى للعراق فى الكويت واجتياحه لأرض الكويت وتشريد شعبها. وتدمير الحياة فيها، وموقف الأطراف العربية والعالمية من الأزمة، نأتى إلى المقارنة بين الصهيونية وصدام حسين على النحو الآتى:

أولاً: ادعت الصهيونية بأن لليهود حق تاريخى فى فلسطين، وادعى صدام حسين بأن للعراق حق تاريخى فى الكويت.

ثانياً: اغتصب اليهود أرض فلسطين كلها على مرحلتين الأولى عام ١٩٤٨م والثانية عام ١٩٦٧م، واغتصب صدام حسين أرض الكويت كاملة فى الثانى من شهر أغسطس ١٩٩٠م حتى أرغم على تركها.

ثالثاً: شرّد اليهود شعب فلسطين الذى فرّ لاجئاً إلى الأقطار العربية المجاورة، وشرّد صدام حسين شعب الكويت الذى لجأ إلى الأقطار العربية الشقيقة المساندة لحق الكويت.

رابعاً: كان قيام إسرائيل على أرض فلسطين تهديد للأقطار العربية المجاورة

مصر وسوريا ولبنان والأردن بل لم يسلم منها العراق نفسه مثل الاعتداءات الإسرائيلية المتتالية أعوام ١٩٥٦ و١٩٦٧ وما بعدها حتى عام ١٩٧٣م ، واحتلال جنوب لبنان ، وضرب المفاعل النووى العراقى. وكان اجتياح صدام حسين لأرض الكويت تهديد لأقطار المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة وقطر والبحرين. وقد توالت التهديدات التى أطلقها صدام حسين ضد هذه الأقطار بل وضد مصر أيضاً بسبب موقفها المساند للحق العربى وللأمن القومى ، كما سبق وساندت بالعراق عندما احتلت القوات الإيرانية أرضاً عراقية فى الفاو وغيرها.

خامساً: رفض العرب الادعاء الصهيونى فى فلسطين ، كما رفضوا ادعاء صدام فى الكويت. وإن اختلف الموقف الدولى وخاصة موقف الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا ، حيث ساندت موقف الصهيونية فى فلسطين وقاومت موقف صدام حسين فى الكويت.

سادساً: اغتصب اليهود أراضى العرب وممتلكاتهم فى فلسطين واغتصب صدام حسين كل أرض الكويت وأموالها فى البنوك ورصيدها الذهبى والسلع والأجهزة من المحلات الكويتية بل وممتلكات الكويتيين بمنازلهم.

سابعاً: قتل اليهود واغتصبوا الآلاف من عرب فلسطين ، وقتل جنود صدام حسين الآلاف من الرجال واغتصبوا الآلاف من النساء فى الكويت بطريقة وحشية.

ثامناً: حاول اليهود بذر بذور الشقاق بين الأطراف العربية بعضها البعض بأسلوب الخبث الذى تعوده اليهود بعد أن نجحوا فى كسب الرأى العام الأوروبى والأمريكى فى صفهم ضد الحق العربى ، وحاول صدام حسين تفريق الصف العربى بين دول تسانده ودول تساند الحق والعدل حتى انتهت الأزمة فعاد المنشقون يسعون إلى التضامن العربى.

تاسعاً: حاولت اسرائيل غرس مستوطنات فى أرض فلسطين يسكنها المهاجرون اليهود من الاتحاد السوفييتى وإثيوبيا وغيرها ، وحاول

صدام حسين تغيير التركيبة السكانية فى الكويت بنقل عائلات عراقية إلى هناك بعد تشريد الأرض من أصحابها تمشياً مع إعلانه بأن الكويت جزء من العراق .

عاشراً: انفرد صدام حسين بأنه عدو الحياة الطبيمية ، فقد أسال بترول الكويت فى مياه الخليج لقتل الحياة البرية والبحرية والبشرية . كما أشعل النيران فى حوالى ستمائة بئر بترول كويتى مما أدى إلى تلوث البيئة فى المنطقة كلها بالإضافة إلى خسارة عربية وعالمية من احتراق البترول .

وهنا وجدنا أن صدام حسين وضع نفسه مع الصهيونية فى مخبأ واحد .. فهل نثق فيه بعد ذلك ؟

الدروس المستفادة

مما سبق نستخلص الحقائق الآتية :

١ ــ أن فكرة الحق التاريخى للعراق فى الكويت لا أساس لها ، وإنما ساقها صدام حسين لتبرير اجتياح قواته لأرض الكويت وتشريد أهلها لاجئين فى الأقطار العربية وغير العربية .

٢ ــ ان الإدعاء بالحق التاريخى للعراق فى الكويت أكذوبة كبرى ، حيث أنها بداية لفرض سيطرة وطغيان حاكم العراق ليس على الكويت فقط بل على غيرها من الأقطار العربية وليس أدل على ذلك من الآتى :

أ ــ لماذا حشد صدام حسين جيوشه بأعداد كبيرة على الحدود السعودية ، هل له حق تاريخى فى الأراضى السعودية ؟

ب ــ لماذا تهاجم وسائل إعلام العراق وتهدد بلسان صدام حسين نفسه وبلسان رجال نظام حكمه دولة الإمارات العربية المتحدة ؟ هل دولة الإمارات كانت جزءاً من العراق فى أية حقبة تاريخية ؟

٣ــ إن الإدعاء بالحق التاريخي يثير الاضطراب وعدم الاستقرار، لأنه يفتح باباً لمطالبات عديدة من أطراف دولية كثيرة كما رأينا، وإذا فتح هذا الباب فإن العراق نفسه لن ينجو من مطالبات البعض بالحق التاريخي في الأرض العراقية.

٤ــ أن لجوء نظام الحكم في العراق إلى مهاجمة كل من مصر والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة إعلامياً بسبب موقف البلدين المساند لحق الكويت لم يؤثر في موقف أيهما أو كليهما حتى انجلت الغمة.

٥ــ أن التأييد العربي والعالمي لشعب وحكومة الكويت الشرعية يدل على فساد نظام حكم صدام حسين الذي أدى إلى تجميع دول العالم ضده، ولا يُعقل أن يكون هو الصائب وكل دول العالم مخطئة.

٦ــ أن المساندة العربية والدولية للمملكة العربية السعودية للدفاع عن أراضيها ضد تهديدات صدام حسين وزمرته دليل على سلامة موقف المملكة التي رفضت فكرة الحق التاريخي لليهود في فلسطين منذ طرحت هذه الفكرة، ودافع مؤسس المملكة الحديثة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود عن حق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه، وما زال أبناؤه يدافعون عن هذا الحق.

٧ــ أن خروج بعض الأطراف العربية عن الإجماع العربي والدولي المساند لحق الكويت الشرعي لا يقلل من قيمة وقوة التأييد العربي والإسلامي والعالمي. حقيقة كان تأييد بعض الزعامات العربية لخطوات صدام الطائشة في الكويت وفي الخليج طعنة للتضامن العربي، ولكن هذا التأييد ذاب مع هزيمة صدام حسين أمام قوات التحالف المدافعة عن الحق.

٨ــ أثبت صدام حسين عدم وفاءه حيث أن الكويت والمملكة العربية السعودية وأقطار مجلس التعاون لدول الخليج العربية الأخرى تحملت كثيراً من التضحيات المادية والبشرية لمساندة العراق في حربه مع إيران.

٩ــ صب صدام حسين جام غضبه على مصر ورئيسها محمد حسني مبارك بسبب رفض مصر لما فعله صدام حسين، على الرغم من عضوية مصر

فى مجلس التعاون العربى مع العراق والأردن واليمن ، بل أرسل صدام حسين الإرهابيين إلى مصر لترويع الآمنين من أبناء شعب مصر الذى ساند العراق فى البناء وفى أثناء الحرب ضد إيران .

١٠ـ كان خير درس خرج به العرب من هذه الأزمة بعد هزيمة صدام حسين وطرد قواته من أرض الكويت هو الاتفاق على ترتيبات أمنية بالمنطقة تشترك فيها قوات دول مجلس التعاون الخليجى ومصر وسوريا ، وهى الترتيبات التى صدرت عن « إعلان دمشق » .

١١ـ أن يعى العرب الدرس بأن يطالبوا بتطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة على إسرائيل لإعادة الحق للعرب كما فُرضت القرارات الدولية على صدام حسين حتى عاد الحق إلى أهل الكويت .



مصادر الكتاب

الوثائــق

أولاً ــ غير المنشورة:

أ ــ وثائق عربية:

١ ــ وثائق السودان ــ ١، ٢/٢/٤.

ب ــ الوثائق الأمريكية:

Foreign Relations. 1942-1946.

ج ــ الوثائق البريطانية:

F.O. 403, 8, 26, 87, 88; 90, 116, 123, 125, 126, 131, 221.: 1875-1890

Further Correspondance respecting the Red Sea and Somali Coast. 18.

ثانياً ــ المنشـورة:

١ ــ جامعة الدول العربية: مقال للبروفيسور أرنولد توينبي ــ القاهرة د. ت.

٢ ــ جامعة الدول العربية: الهجرة اليهودية إلى فلسطين (قسمين) القاهرة د. ت.

٣ ــ تقرير عن المالية والإدارة والحالة العمومية فى مصر والسودان سنة ١٩٠٣م رفعه الإيرل كرومر قنصل جنرال دولة انكلترا ووكيلها السياسى فى مصر إلى جناب المركيز لنسدون ناظر خارجيتها.

٤ ــ وزارة الخارجية السعودية مكة المكرمة: مجموعة المعاهدات، جدة ١٩٥٦م.

فى
بحوث المؤتمـرات

١ــ د. محمد أنيس: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ــ ٣ أجزاء ــ القاهرة ١٩٦٩م.

٢ــ د. عبد الله الصالح العثيمين: عوامل نجاح الملك عبد العزيز فى توحيد البلاد، مؤتمر تاريخ الملك عبد العزيز ــ الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٣ــ د. عبد الله بن عبد المحسن التركى: الملك عبد العزيز والمملكة العربية السعودية، المنهج القويم فى الفكر والعمل، مؤتمر تاريخ الملك عبد العزيز ــ الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٤ــ د. عبدالله بن يوسف الشبل: صفحة من تاريخ الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، مؤتمر العلاقات المصرية السعودية فى عهد الملك عبد العزيز ــ الزقازيق ١٩٨٧م.

٥ــ د. عبدالله بن عبد المحسن التركى: منهج الملك عبد العزيز فى السياسة الدولية وأثره فى العلاقات السعودية المصرية ــ مؤتمر العلاقات المصرية السعودية ــ الزقازيق ١٩٨٧م.

٦ــ عصام رفعت: الملك عبد العزيز آل سعود على ضفاف النيل، دراسة فى العلاقات المصرية السعودية فى إطار المناخ العربى والدولى ــ مؤتمر العلاقات المصرية السعودية ــ الزقازيق ١٩٨٧م.

المصادر العربية

١ـ ابراهيم فوزى: السودان بين يدى غردون وكتشنر ـ جزءان القاهرة ١٩٠١م.

٢ـ د. السيد رجب حراز: التوسع الإيطالى فى شرق أفريقيا ـ القاهرة ١٩٦٠م.

٣ـ د. السيد رجب حراز: أرتيريا الحديثة ـ القاهرة ١٩٧٤م.

٤ـ د. السيد رجب حراز: المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ـ القاهرة ١٩٧٠م.

٥ـ ألبان ج ويدجرى ترجمة عبدالعزيز جاويد: التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبى ـ القاهرة ١٩٧٢م.

٦ـ د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: دراسات فى النهضة العربية الحديثة ـ القاهرة ١٩٧٢م.

٧ـ د. أحمد أبو حاكمة: تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٨م.

٨ـ أحمد شفيق باك: مذكراتى فى نصف قرن ـ جزءان ـ القاهرة ١٩٣٤ـ١٩٣٦م.

٩ ـ أحمد عسه: معجزة فوق الرمال، الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٦٦م.

١٠ـ د. أحمد صبحى: فى فلسفة التاريخ ـ الإسكندرية د.ت.

١١ـ الحسن بن أحمد الهمدانى: تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى: صفة جزيرة العرب ـ القاهرة د.ت.

١٢ـ أمين السعيد: تاريخ الدولة السعودية ـ جزءان ـ بيروت ١٩٦٤م.

١٣ـ الشيخ محمد منظور نعمانى ترجمة د. سمير عبدالحميد: الثورة الإيرانية فى ميزان الإسلام ـ القاهرة ١٩٨٤م.

١٤ـ بنو إميشان ترجمة عبد الفتاح ياسين: عبد العزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة ـ بيروت ١٩٦٥م.
١٥ـ ك.م. بانيكار ترجمة عبد العزيز جاويد: آسيا والسيطرة الغربية ـ القاهرة ١٩٦٢م.
١٦ـ د. جلال يحيى: التنافس الدولي فى شرق أفريقيا ـ القاهرة ١٩٥٩م.
١٧ـ د. جمال زكريا قاسم: الخليج العربى ـ دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤ـ ١٩٤٥، القاهرة ١٩٦٧م.
١٨ـ جورج كيرك ترجمة عمر الإسكندرى: موجز تاريخ الشرق الأوسط. القاهرة ١٩٥٧م.
١٩ـ جون هاتش ترجمة عبد العليم منسى: تاريخ أفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ـ القاهرة ١٩٦٩م.
٢٠ـ حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين ـ الطبعة الخامسة ـ القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
٢١ـ د. حسن صبرى الخولى: سياسة الإستعمار والصهيونية ـ جزءان ـ القاهرة ١٩٧٠م.
٢٢ـ د. حسين فوزى النجار: الشرق العربى بين حربين ـ القاهرة د.ت.
٢٣ـ حمزة لقمان: تاريخ الجزر اليمنية ـ بيروت ١٩٧٢م.
٢٤ـ خليفة المنتصر: ليبيا قبل المحنة وبعدها ـ طرابلس ١٩٦٠م.
٢٥ـ خير الدين الزركلى: الوجيز فى سيرة الملك عبدالعزيز ـ الطبعة الرابعة ـ بيروت ١٩٨٧م.
٢٦ـ دونالد هولى ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحى: عمان ونهضتها الحديثة ـ مسقط ١٩٧٩م.
٢٧ـ د. رأفت غنيمى الشيخ: فى تاريخ العرب الحديث ـ طبعة أولى ـ القاهرة ١٩٧٥م.
٢٨ـ د. رأفت غنيمى الشيخ: تطور التعليم فى ليبيا فى العصور الحديثة ـ طرابلس ١٩٧٢م.

٢٩ـ د. رأفت غنيمي الشيخ: أفريقيا في العلاقات الدولية ـ القاهرة ١٩٧٥م.
٣٠ـ د. رأفت غنيمي الشيخ: في تاريخ العرب الحديث ـ القاهرة ١٩٨٩م.
٣١ـ د. رأفت غنيمي الشيخ: أمريكا والعلاقات الدولية ـ القاهرة ١٩٧٩م.
٣٢ـ د. رأفت غنيمي الشيخ: العرب دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ـ القاهرة ١٩٨٣م.
٣٣ـ د. زاهر رياض: شمال أفريقيا في العصر الحديث ـ القاهرة ١٩٦٧م.
٣٤ـ زعيمة الباروني: صفحات خالدة من الجهاد للمجاهد الليبي سليمان الباروني ـ القاهرة ١٩٦٠م.
٣٥ـ د. صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي ـ القاهرة ١٩٧٧م.
٣٦ـ د. صلاح العقاد: تطور السياسة الفرنسية في الجزائر ـ القاهرة ١٩٥٩م.
٣٧ـ د. صلاح العقاد: المغرب العربي ـ القاهرة ١٩٦٩م.
٣٨ـ د. صلاح العقاد: المشرق العربي المعاصر ـ القاهرة ١٩٧٩م.
٣٩ـ ضرار صالح: تاريخ السودان الحديث ـ الخرطوم د.ت.
٤٠ـ عبده مباشر: الحرب العراقية الإيرانية ـ كتاب اليوم العدد ٢٦٣ ديسمبر ـ القاهرة ١٩٨٦م.
٤١ـ د. عبد المنعم النمر: الشيعة، المهدي، الدروز، تاريخ ووثائق ـ القاهرة ١٩٨٧م.
٤٢ـ عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة ـ بيروت ١٩٧٨م.
٤٣ـ د. عبد الشافي غنيم ود. رأفت الشيخ: قضايا إسلامية معاصرة ـ القاهرة ١٩٨٠م.
٤٤ـ د. عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ـ ٣ أجزاء ـ القاهرة ١٩٨٠م.

٤٥ــد. عبدالعظيم رمضان: الجيش المصرى فى السياسة ــ القاهرة ١٩٧٧م.
٤٦ــعبد الحميد الموافى: مصر فى جامعة الدول العربية ــ القاهرة ١٩٨٣م.
٤٧ــعزيز سامح: الأتراك العثمانيون فى أفريقيا الشمالية ــ (مترجم) ١٩٦٩م.
٤٨ــعبد الواسع بن يحيى الواسعى اليمانى: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن ــ الطبعة الثانية ــ القاهرة ١٩٤٧م.
٤٩ــعبد الله العلى المنصور الزامل: أصدق البنود فى تاريخ عبدالعزيز آل سعود ــ بيروت ١٩٧٢م.
٥٠ــفتحى رضوان: مصطفى كامل ــ سلسلة اقرأ ــ القاهرة ١٩٨١م.
٥١ــفؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية ــ الرياض ١٩٦٨م.
٥٢ــعيد مسعود الجهنى: فيصل بن عبدالعزيز قائد أمة ورائد جيل ــ الرياض د.ت.
٥٣ــد. على ابراهيم عبده: المنافسة الدولية فى أعالى النيل ــ القاهرة ١٩٥٨م.
٥٤ــد. محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربى ــ القاهرة ١٩٤٦م.
٥٥ــد. محمد أنيس ود. السيد رجب حراز: الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ــ القاهرة ١٩٦٧م.
٥٦ــد. محمد عبد الرؤوف سليم: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ــ١٩١٨م ــ جزءان ــ القاهرة ١٩٧٤م.
٥٧ــمحمد رفعت: تاريخ مصر السياسى فى الأزمنة الحديثة ــ القاهرة ١٩٢٧م.
٥٨ــد. محمد مصطفى صفوت: الإحتلال الإنجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى إزاءه ــ القاهرة ١٩٥٢م.

٥٩ـ د. محمد مصطفى صفوت: مؤتمر برلين ١٨٧٨م وأثره فى البلاد العربية ـ القاهرة ١٩٥٧م.

٦٠ـ محمد المانع ترجمة د. عبد الله الصالح العثيمين: توحيد المملكة العربية السعودية ـ الرياض ١٩٨٧م.

٦١ـ د. محمد صبرى: الإمبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ـ القاهرة ١٩٤٨م.

٦٢ـ د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسيادة على السودان، الوضع التاريخى للمسألة ـ القاهرة ١٩٤٦م.

٦٣ـ د. محمد فؤاد شكرى: مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسة فى القرن التاسع عشر ـ القاهرة ١٩٥٧م.

٦٤ـ د. محمد فؤاد شكرى: السنوسية دين ودولة ـ القاهرة ١٩٤٨م.

٦٥ـ محمد سعيد المسلم: ساحل الذهب الأسود، دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربى ـ بيروت ١٩٦٢م.

٦٦ـ د. محمد صفى الدين: أفريقيا بين الدول الأوروبية ـ القاهرة ١٩٧٥م.

٦٧ـ د. محمد رياض وآخرون: أفريقيا، دراسات لمقومات القارة ـ بيروت ١٩٧٣م.

٦٨ـ محى الدين القابسى: فهد فى صور ـ الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٦٩ـ مكى شبيكة: السودان عبر القرون ـ القاهرة ١٩٦٤م.

٧٠ـ مكى شبيكة: السودان فى قرن ١٨١٩ ـ ١٩١٩م ـ القاهرة ١٩٤٧م.

٧١ـ نجيب صدقة: قضية فلسطين ـ بيروت ١٩٤٦م.

٧٢ـ نور الدين السالمى: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ـ جزءان ـ الطبعة الخامسة ١٩٧٤م.

٧٣ـ نقولا زيادة: ليبيا من الإحتلال الإيطالى إلى الإستقلال ـ القاهرة ١٩٦٤م.

الدوريات

١ــ مجلة السياسة الدولية العدد ٦٥ يوليو ١٩٨١م مقال السيد زهرة بعنوان واقع الثورة الإيرانية وسيناريوهات المستقبل.

٢ــ مجلة السياسة الدولية العدد ٦٣ يناير ١٩٨١م.

٣ــ Time Magazine, October 1980.

٤ــ جريدة الأهرام عدد ١٥ أبريل ١٩٧٧م.

٥ــ جريدة الثورة اليمنية العدد ٢٩١١ــ ٣ ربيع الثاني ١٣٩٧هـ/ ٢٣ ماس ١٩٧٧م.

٦ــ جريدة الثورة اليمنية العدد ٢٩١٢ــ ٤ ربيع الثاني ١٣٩٧هـ/ ٢٤ مارس ١٩٧٧م.

٧ــ د. ريتشارد ستيفنس: استعراض لبداية العلاقة الأمريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة عمان ومسقط (١٨٢٣ــ ١٨٥٦م) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ــ الكويت.

٨ــ د. محمد محمود السروجي: الموقف الدولي والإحتلال الإيطالي لطرابلس. مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ــ العدد ٢٢ عام ١٩٦٨م.

المصادر الأجنبيــة

1- Dr. M. Anis : England and the Suez-Route in 18th Century Cairo, 1954.
2- Chirol, V.: The Eguptian Problem, London 1920.
3- Holt, P.M.: Egypt and the Fertile Crescent, 1516-1922, U.S. 1969.
4- Shebeika, M.: British Policy in the Sudan, 1882-1902. London 1952.
5- Cromer : Modern Egypt, 2 Vols. 3rd edition, London 1911.
6- Langer : The diplomacy of Imperailism, 1890-1902, New York, 1951.
7- Holt, P.M. : A Modern History of the Sudan, London.
8- Coupland, E.: Exploitation of East Africa (1856-1890) London 1939.
9- Hamilton, Ch.U. : Americans and oil in the Middle East, 1962. U.S.
10 The American Assembly, Columbia University : The United states and the Middle East. U.S. 1964.
1 De Nova, G.A.: American interests and Policies in the Middle East, 1900-1939, U.S. 1968.
12- Plok, W.R. : The U.S. and the Arab World, U.S. 1965.
13- Lenczowski, G. : The Middle East in the World Affairs, 1971 U.S.
14- Kirkwood, K. : Britain and Africa, London, 1965.
15- Langer, : European Alliances, London.

** فهرست **

(تابع) الفهرست

.....

رقم الايداع ١٩٩١/٩٩٧٩

I.S.B.N
977-5796-77-7